

دار التقريب بين المذاهب الإسلامية

المُوسَوعَةُ الْقَرآنِيَّةُ خَصَائِصُ السُّورَاتِ

إعداد

جعفر شرف الدين

تقديم

د. عبد العزيز بن عثمان التويجري

مراجعة

الأستاذ أحمد حاطوم د. محمد توفيق أبو علي

سورة المرسلات

٧٧

المبحث الأول

أهداف سورة «المرسلات»^(١)

سورة المرسلات سورة مكّية ، آياتها خمسون آية ، نزلت بعد سورة الهمزة وسورة المرسلات سورة قصيرة الآيات ، عاصفة الملائم ، شديدة الإيقاع ، كأنها سياط لاذعة تلهم صدور المنكرين ، توقف القلب البشري وقفه المحاكمة الرهيبة ، فتواجده بسييل من الاستفهامات والاستذكارات ، والتهديدات ، تنفذ إليه كالسهام المستونة.

«وتعرض السورة عدداً من المشاهد المتنوعة عن الكون وخلق الإنسان واليوم الآخر ، وعذاب الجرمين ونعمتهم المتّقين. وعقب كل مشهد تلفح المذنب لفحة من التهديد والوعيد ، حين تقول ﴿وَيَوْمٌ يَوْمٌ ذِلٌّ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ (١٥) ويترکرر هذا التعقيب عشر مرات في السورة ، وهو لازمة الإيقاع فيها ، وهو أنساب تعقيب ملامحها الحادة ، ومشاهدها العنيفة ، وإيقاعها الشديد ، وهذه اللازم تذكرنا باللازم المكررة في سورة الرحمن ، عقب عرض كل نعمة من نعم الله على العباد ﴿فَإِنَّمَا أَلِهٌ رِّبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (١٦). كما تذكرنا باللازم المكررة في سورة القمر ، عقب كل حلقة من حلقات العذاب : ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ وتكرارها هنا على هذا النحو يجعل للسورة سمة خاصة ، وطعمها مميّزاً حادّاً»^(٢).

(١). انتقى هذا الفصل من كتاب «أهداف كل سورة ومقاصدها» ، لعبد الله محمود شحاته ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩ - ١٩٨٤.

(٢). في ظلال القرآن / ٢٩ - ٢٣١ ، بتصرف.

سلسلة أفكار السورة

تبدأ السورة بقسم عاصف ثائر ، بمشهد الرياح أو الملائكة ، يتبعه عشر جولات متتابعة ، تشير في النفس طائفية من التأملات ، والمشاعر ، والخواطر ، والتأثيرات والاستجابات .

١ . [فالآيات ٨ . ١٥] تصف مشاهد القيامة وتصور الانقلابات الكونية الهائلة في السماء والأرض . وفي هذا اليوم تنتهي حسابات الرسل مع البشر ، ويتبين الصادق من الكاذب .

٢ . [والآيات ١٩ . ١٦] تصف مصايع الغابرين ، وتشير إلى سنن الله تعالى في المكذبين ، فكما أهلك قوم نوح بالغرق ، وأهلك أمم عاد وثمود وفرعون ، فهو يفعل ذلك بكل مكذب برسالات السماء ، وهدي الأنبياء .

٣ . [والآيات ٢٠ . ٢٤] تصف النشأة الأولى ، وما تشير إليه من تقدير وتدبير .

٤ . [والآيات ٢٥ . ٢٨] تصف الأرض التي تضم أبناءها إليها ، أحياها وأمواتها ، وقد جهزت لهم بالاستقرار والجibal والمياه .

٥ . [والآيات ٢٩ . ٣٤] تصف حال المكذبين يوم القيمة ، وما يلقونه من تجريع وتأنيب .

٦ . [والآيات ٣٥ . ٣٧] استطراد مع موقف المكذبين ، وبيان ألوان العذاب والهوان الذي يتعرضون له .

٧ . [والآيات ٣٨ . ٤٠] تصف ضعف الإنسان ، وفقدان حيلته ، أمام الجمع والحسن والحساب والجزاء .

٨ . [والآيات ٤١ . ٤٥] تصف نعيم المتقين ، وطعامهم وشرابهم وتكريمه .

٩ . [والآيات ٤٦ . ٤٧] خطفة سريعة مع المكذبين ، في موقف التأنيب .

١٠ . [والآيات ٤٨ . ٥٠] وصف لحال المكذبين ، وامتناعهم عن الإيمان . والاستجابة لآيات القرآن .

وبعض هذه المشاهد قد سبق ذكره ، وتكرر وروده في القرآن الكريم ، وفي السور المكية بوجه خاص . ولكنها تعرض هنا سريعة أخذادة ، لها رنين وجدة في مشاهد جهنّم ، وفي مواجهة المكذبين بهذه المشاهد ، وفي أسلوب

العرض والخطاب كله ؛ ومن ثم تبرز شخصية خاصة للسورة حادة الملامح ، متنوعة في أساليب الخطاب ، متنقلة من قسم إلى خير إلى استفهام إلى أمر ، فذلك كلام الله ، ومن أحسن من الله حديثا؟

مع آيات السورة

[الآيات ١ . ٧] : يقسم الله تعالى بطوائف الملائكة ، يرسلهن بالمعروف والإحسان ، وأوامره الكريمة ، فيعصفن عصف الرياح مسرعات وينشرن شرائعه في الأرض ، فيفرقن بما بين الحق والباطل ، ويلقين إلى أنبيائه ذكرا يريد تبليغهم إياها ، عذرا للمحقّفين ، ونذرا للمبطلين ؛ يقسم بهذه الملائكة على أن ما توعدون من مجيء القيامة واقع لا محالة. وقيل إن القسم في هذه الآيات بالرياح ، وآثارها في الكون ، ونشرها السحاب في الأفق.

وقيل إن القسم في الآيات الثلاث الأولى بالرياح متتابعة كعرف الفرس ، **﴿فال العاصفات عصفا﴾** (٢) الشديدة المهلكة ، **﴿والنّاشرات نَشرا﴾** (٣) التي تنشر المطر ، فأقسام سبحانه بالرياح النافعة والضارة. والقسم في الآيات [٤ . ٦] بالملائكة : فإنها تنزل بأمر الله على الرسل ، تفرق بين الحق والباطل ، وتلقى إلى الرسل وحيا فيه إعذار إلى الخلق وإنذار.

ولعل من إعجاز القرآن أن الآية تشير إلى معنى وتحتمل معنى ، وتستبع معنى آخر ؛ ولعل هذا التجهيل والخلاف في مفهوم الآية مقصود الله سبحانه ، ليكون أثراها أقوى في النفس.

وقد ذكر ابن حجر الطبرى تفسير هذه الآيات ، وعند تفسير **﴿والنّاشرات نَشرا﴾** (٣) بين أن بعض المفسرين قال هي الرياح ، وبعضهم قال : هي المطر ، وبعضهم قال : هي الملائكة.

ثم عقب الطبرى بقوله : «أولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره أقسام بالنّاشرات نشرا ، ولم يخصّص شيئاً من ذلك دون شيء ، فالرياح تنشر السحاب ، والمطر ينشر الأرض ، والملائكة تنشر الكتب ، ولا دلالة من وجه يحب التسليم له ، على أن المراد من ذلك بعض دون بعض ، فدل ذلك

على أن المراد بالآية كل ما كان ناشرا»^(١).

[الآيات ١٥ . ٨] : يوم تطمس النجوم فيذهب نورها ، وتغرس السماء أي تشدق ، وتنسف الجبال فهي هباء. وإلى جانب هذا الهول في مشاهد الكون ، تعرض السورة أمراً مؤجلاً ، هو موعد الرسل لعرض حصيلة الدعوة والشهادة على الأمم ، والقضاء والفصل بين كل رسول وقومه ، ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَا ذَا أَجْبَتُمْ﴾ [المائدة / ١٠٩]. وفي هذا اليوم عذاب وخزي لمن كذب بالله ورسله وكتبه ، وبكل ما ورد على ألسنة الأنبياء وأخبروا به.

[الآيات ١٦ . ١٩] : تحول هذه الآيات في مصارع الأولين والآخرين ، وفي ضربة واحدة تكشف مصارع الأولين ، من قوم نوح ومن بعدهم ، وتكشف مصارع الآخرين ، ومن لف لفهم. وعلى مد البصر تتبدل المصارع والأشلاء ، فهي سنة الله التي لا تتبدل ، من سيادة الصالحين ، وهلاك المجرمين. وفي الآخرة هلاك وعذاب شديد للمكذبين. [الآيات ٢٤ . ٢٠] : هذه الآيات جولة في الإنسانية والإحياء ، مع التقدير والتدبر ، فهي تصف خلق الإنسان من نطفة مراقة ، تستقر في حزب مكين وهو الرحمن ، حتى تصير جنينا مكتملاً ﴿فَقَدْرَنَا﴾ وقت ولادته ﴿فَنِعْمَ الْفَادِرُونَ﴾ [آلية ٢٣] ، نحن ، على التدبر وإحكام الصنعة. وفي الآخرة عذاب شديد للمكذبين بأيات الله وقدرته وحكمته.

[الآيات ٢٥ . ٢٨] : وهذه الآيات جولة في خصائص الأرض ، وتقدير الله فيها لحياة البشر ، وإياداعها الخصائص الميسرة لهذه الحياة : ﴿لَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاثَةً﴾ (٢٥) تختضن بها وتحمّلها ﴿أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ (٢٦) ، ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾ [آلية ٢٧] ثابتات سامقات ، تتجمّع على قممها السحب ، وتنحدر عنها مسامط الماء العذب ، أفيكون هذا إلا عن قدرة وتقدير ، وحكمة وتدبر؟ .. أبعد هذا يكذب المكذبون؟ ﴿وَيَلِلْيَوْمِئِدِ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٢٨).

[الآيات ٢٩ . ٣٤] : تنتقل الآيات في وصف مشهد من مشاهد القيامة ، والكفار ينطلقون بعد طول احتباس إلى

(١). تفسير الطبرى / ٢٩ / ١٤٢ مطبعة بولاق ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٩ هـ.

(٢). الكفات : ما يكفي أي يضم ويجمع.

العذاب الذي كانوا يكذبون به في الدنيا.

إنه انطلاق خير منه الاركان والاحتباس ، ﴿أَنْطَلَقُوا إِلَى ظَلٍّ ذِي ثَلَاثٍ شَعْبٍ﴾ (٣٠) ، وهو دخان جهنم يتشعب لعظمته ثلاث شعب ، ومتعدد ألسنته إلى أقسام ثلاثة ، بعضها أشد من بعض ، ولكنه ظل خير منه الوهج ﴿لَا ظَلِيلٌ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَمِ﴾ (٣١) ، إنه ظل خانق حار لافح ، وتسميته بالظل من باب التهكم والسخرية ، فهو لا يظل من حر ذلك اليوم ، ولا يقي من هب جهنم (١).

﴿إِنَّمَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ﴾ (٣٢) كأنه جمال صفر (٣٣) أي أن هذه النار يتطاير منها شر متفرق في جهات كثيرة ، كأنه القصر عظما وارتفاعا ، وكأنه الجمال الصفر لونا وكثرة وتتابعا وسرعة حركة ؛ وفي اللحظة التي يستغرق فيها الحس بهذا الهول ، يحيىء التعقيب المعهود : ﴿وَنَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٣٤).

[الآيات ٣٧ . ٣٥] : هذا يوم لا يتكلّمون فيه بحجّة نافعة تقدّهم مما هم فيه ، ولو كانت لهم حجّة لما عذّبوا هذا العذاب ، ولا يؤذن لهم بالاعتذار ولا يقبل منهم ، فالملائكة لم يكذب بعذاب يوم القيمة.

«وقد سُئل ابن عباس رضي الله عنهمما عن هذه الآية ، وعن قوله تعالى : ﴿مُمْ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَيْكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ (٣١) [الزمر] ، فقال : في ذلك اليوم مواقف ، في بعضها يختصّون ، وفي بعضها لا ينطقون ، أو لا ينفعهم فجعل نطقهم كلاماً ناطقاً» (٢) والعرب تقول من ذكر ما لا يفيد : ما قلت شيئاً.

[الآيات ٣٨ . ٤٠] : هذا يوم الفصل

(١). في الشعر العربي :

والمسـ تـجـيـرـ بـعـمـ روـ عـنـ دـكـرـتـهـ كـالـمـسـ تـجـيـرـ مـنـ الرـمـضـاءـ بـالـنـارـ والرمضاء هي الرمل الساخن من شدة الحر ، أي من قصد عمراً وهو في كربة فلن يجد ما يخفف عنه ، بل سيجد ما يزيده ألمًا ، وينقله إلى ما هو أشدّ ، كمن ينتقل من حرارة الرمال إلى حرارة النار. وكذلك الكفار يتخلّون من حرارة المحسّر ، إلى ظل خانق لا يحمي من الحر ولا يقي من النار ، وهو ظل مؤلم لا مرير.

(٢). تفسير النسفي ٤ / ٢٤٢ ، ٢٤٣.

لا يوم الاعتذار ، وقد جمعناكم والأولين أجمعين ، فإن كان لكم تدبير فدبّروه ، وإن كانت لكم حيلة في دفع العذاب عنكم فاحتالوا لخلص أنفسكم من العذاب. وفي هذا تقييع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا ، وإظهار لعجزهم وقصورهم حينئذ ، فهم في صمت كظيم ، وتأنيب أليم. والويل الشديد في ذلك اليوم للملكّذين بالبعث والجزاء.

[الآيات ٤١ - ٤٥] : إن المتقين في ظلال حقيقة ، هي ظلال الأشجار على شواطئ الأنهر ، فلا يصيبهم حرّ ولا قرّ ، ويتمتعون بما تشتهيه أنفسهم من الفواكه والماكل الطيبة. ومع التكريم الحسي يلقون ألوان التكريم المعنوی ، فيقال لهم على مرأى وسمع من الجميع : ﴿كُلُوا وَاشْرُبُوا هَنِئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٤٣) : جزاء بما عملتم في الدنيا من طاعة ربكم ، واجتهدتم في ما يقرّبكم من رضوانه ، فهل جزاء الإحسان في الدنيا إلا الإحسان في الجنة؟.

ويمثل هذا الجزء نجزي كل الذين يحسنون في أعمالهم وأقوالهم ، وشأنهم الإحسان ، ويقابل هذا التعيم الويل للملكّذين.

[الآياتان ٤٦ - ٤٧] : كلوا وتمتعوا قليلاً في هذه الدار بقية أعماركم ، وهي قليلة المدى إذا قيست بالآخرة ، وهناك ستحرمون ، وتعذبون طويلاً : ﴿وَيَوْمٌ يُؤْمَنِدُ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤٧).

[الآيات ٤٨ - ٥٠] : وإذا قيل لهؤلاء الملكّذين اعبدوا الله وأطاعوه ، لا يستجيبون ولا يمثلون ، ﴿وَيَوْمٌ يُؤْمَنِدُ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤٩) بأوامر الله ونواهيه ، ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٠) : أي إذا لم يؤمنوا بهذه الدلائل على تجلّيها ووضوحها ، فبأيّ كلام بعد هذا يصدقون؟ والذي لا يؤمن بهذا الحديث الذي يهزّ الرواسي ، وبهذه الهزّات التي تنزل الجبال ، لا يؤمن بحديث بعده أبداً ، إنما هو الشقاء والتعasse والمصير البائس ، والويل المدّخر لهذا الشقيّ المتعوس.

إن هذه السورة ببنائها التعبيري ، وإيقاعها المناسب ، ومشاهدها العنيفة ، ولذعها الحاد ، حملة لا يثبت لها كيان ، ولا يتماسك أمامها إنسان ؛ فسبحان الذي نزل القرآن وأودعه ذلك السلطان.

مقاصد السورة

من مقاصد سورة المرسلات ما يأتي :

- ١ . القسم بالملائكة على أن البعث حقّ ، وأنّ القيمة آتية.
- ٢ . الإخبار عن هلاك القرون الماضية ، ووعيد المكذبين بالمصير نفسه.
- ٣ . المنّة على الخلائق بنعمة الخلق والتّكوين ، وسائل النعم في الأنفس والآفاق.
- ٤ . وصف عذاب المكذبين بما تشيّب من هوله الولدان.
- ٥ . وصف نعيم المتقين وما يلقونه من الكرامة في جنات النعيم ، وبيان عظمة الخالق وكمال قدرته.

والحمد لله الذي بنعمته تكون الصالحات ، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تعهتم بإحسان إلى يوم الدين.

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «المرسلات»^(١)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة المرسلات بعد سورة الهمزة ، ونزلت سورة الهمزة بعد سورة القيامة ، وكان نزول سورة القيامة فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة المرسلات في ذلك التاريخ أيضا.

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم ، لقوله تعالى في أواها : ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾^(٢) ، وتبلغ آياتها خمسين آية.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة : إثبات وقوع ما يوعدون به من العذاب ، وبهذا جاء سياقها في الإنذار والترهيب والترغيب ، كما جاء سياق السورة السابقة ؛ ولهذا ذكرها بعدها مناسبا لها.

إثبات وقوع العذاب

الآيات [٥٠ . ١]

قال الله تعالى : ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾^(٣) (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاثِرَاتِ نَشْرًا فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا^(٤) (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ دُكْرًا^(٥) (٥) عُدْرًا أو نُدْرًا^(٦) (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعًا^(٧) (٧) فأقسم ، سبحانه ، بهذا على وقوع ما يوعدون به من العذاب ، ثم ذكر أنه إذا طمست النجوم وحصل غير هذا مما ذكره ، فإنه يكون يوم الفصل في عذابهم ؛ وويل يومئذ لهم ، ثم ذكر ، جل وعلا ، أنه كما أهلك الأولين

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «النظم الفي في القرآن» ، للشيخ عبد المعال الصعيدي ، مكتبة الآداب بالجمالية . المطبعة النموذجية بالحكمة الجديدة ، القاهرة ، غير مؤرخ.

وآخرين يهلكهم هم ، وويل يومئذ لهم ؛ ثم ذكر أنه قد خلقهم من ماء مهين ، وجعل الأرض كفاتا ، إلى غير هذا مما يدل على قدرته على عذابهم. ثم انتقل السياق إلى الترغيب بعد الترهيب ، فذكر ، سبحانه ، أن المتقين في ظلال وعيون ، إلى غير هذا مما ذكره في ترغيبهم ، ثم عاد السياق إلى ترهيب المكذبين ، فأمرهم ، على سبيل التهديد ، أن يأكلوا ويتمتعوا ، إنهم مجرمون ؛ وذكر أنهم ، إذا قيل لهم اركعوا ، لا يركعون : ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤٩) فِيَّ حِدِيثٍ بَعْدَ يُؤْمِنُونَ﴿﴾ (٥٠).

المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «المرسلات»^(١)

أقول : وجه اتصالها بالسورة السابقة : أنه تعالى ، لما أخبر في خاتمتها ، أنه ﴿يُنذِّلُ﴾
مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴿ (٣١) ، افتتح هذه بالقسم على أن ما
يوعدون واقع ، فكان ذلك تحقيقا لما وعد به هناك المؤمنين ، وأوعد الظالمين . ثم ذكر وقته
وأشرطه بقوله سبحانه : ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طَمِسَتْ﴾ (٨) إلى آخره .
ويحتمل أن تكون الإشارة بما يوعدون إلى جميع ما تضمنته السورة من وعيد للكافرين
(٢) ، ووعيد للأبرار .

(١). انتقي هذا المبحث من كتاب : «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطى ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، دار
الاعتصام ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.

(٢). وهناك مناسبة بين «القيامة» و «الإنسان» و «المرسلات» من ناحية خلق الإنسان . ففي «القيامة» قال
تعالى : ﴿إِنَّمَا يُكَلِّفُكُم مِّنْ مَّا تَمَّتِي مَنْ كَانَ عَلَّقَ فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾ (٣٧) ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الرَّوْجِينَ الدَّكَرَ وَالْأَثْنَى﴾ (٣٨)
(٣٩) ، فذكر بداية الخلق . وفي «الإنسان» تدرج إلى الحديث عن إتمام بناء الإنسان حتى صار شديد الأسر :
﴿تَخْرُجُنَاهُمْ وَشَدَّدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ [الآية ٢٨] . ولما كانت قوة الإنسان مظنة كبرىائه ، ذكره ، في «المرسلات» ،
بهانة أصله : ﴿إِنَّمَا تَخْلُقُكُم مِّنْ مَاءٍ مَّهِينَ﴾ (٤٠) . ومعاني السور الثلاث تدور حول الأصول . ولذلك قال تعالى
في «المرسلات» : ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكَيْدُونَ﴾ (٤١) ، إعلاماً بقهره للعباد .

المبحث الرابع

مكونات سورة «المرسلات»^(١)

أخرج ابن أبي حاتم عن أبي هريرة ، قال :

١ . ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾ [الآية ١] : الملائكة^(٢).

وعن أبي صالح ، أنه قال في :

٢ . ﴿وَالنَّاشرَاتِ﴾ [الآية ٣].

٣ . ﴿فَالْفَارِقَاتِ﴾ [الآية ٤].

٤ . ﴿فَالْمُلْقَيَاتِ﴾ [الآية ٥] : الملائكة^(٣).

(١). انتقي هذا المبحث من كتاب «مفہمات القرآن فی مبھمات القرآن» للسيوطی ، تحقيق إیاد خالد الطباع ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، غير مؤرخ.

(٢). وأخرج الطبری / ٢٩٠ عن ابن مسعود وابن عباس ومجاہد وغيرهم : أَنَّهَا الرياح ، ثُمَّ قال : «وَلَا دلالة تدل على أَنَّ المعنى بذلك أَحَدُ الْجَنِينِ دُونَ الْآخَرِ ، وَقَدْ عَمِّ جَلَّ ثَنَاؤه بِإِقْسَامِهِ بِكُلِّ مَا كَانَتْ صَفَتُهُ مَا وُصِّفَ ، فَكُلُّ مَنْ كَانَ صَفَتُهُ كَذَلِكَ فَدَخَلَ فِي قَسْمِهِ ذَلِكَ ، مَلْكًا أَوْ رَجُلًا أَوْ رَسُولًا مِّنْ بَنِي آدَمَ مَرْسَلًا».

(٣). وأخرجه الطبری / ١٤٢ ، وروى عن آخرين : أَنَّهَا الرياح ، وقال آخرون : هي المطر. قال أبو جعفر الطبری : «وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا بِالصَّوَابِ أَنْ يَقُولَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ أَقْسَمَ بِالنَّاشرَاتِ نَشَرًا لَمْ يَخْصُّ شَيْئًا مِّنْ ذَلِكَ دُونَ شَيْءٍ ؛ فَالرِّيَاحُ تَنْشَرُ السَّحَابَ ، وَالْمَطَرُ يَنْشَرُ الْأَرْضَ ، وَالْمَلَائِكَةُ تَنْشَرُ الْكِتَبَ . وَلَا دلالة مِنْ وَجْهٍ ، يَجِبُ التَّسْلِيمُ لِهِ ، عَلَى أَنَّ الْمَرَادَ مِنْ ذَلِكَ بَعْضُ دُونِ بَعْضٍ ، فَذَلِكَ عَلَى كُلِّ مَنْ كَانَ نَاسِراً».

المبحث الخامس

لغة التنزيل في سورة «المرسلات»^(١)

١ . قال تعالى : ﴿كَانَهُ جِمَالٌ صُفْرٌ﴾ (٣٣).

قرئ : (جملت) بكسر الجيم بمعنى جمال (جمع جمل) ، و (جمالة) بالضم ، وهي
القلس^(٢) للجسور أو السفينـة.

وقرئ (جمالات) و (جمالـات) بالضم والكسر ، للقلوس.

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «من بدیع لغة التنزيل» ، لإبراهیم السامرائی ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، غير مؤرّخ.

(٢). القلس : الحبل الضخـم.

المبحث السادس

المعاني اللغوية في سورة «المرسلات»^(١)

قال تعالى : ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ غُرْفًا﴾ (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ (٢) وَالنَّاسِرَاتِ نَشْرًا﴾ (٣)
فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾ (٤) فَالْمُلْكِيَّاتِ ذِكْرًا﴾ (٥) عَذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ (٦) كلها قسم على ﴿إِنَّا تُوعَدُونَ لَوَاقِع﴾ (٧).

وقال : ﴿فِإِذَا النُّجُومُ طُمِسَت﴾ (٨) فأضمر الخبر والله أعلم.

وقال سبحانه : ﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كَفَافًا﴾ (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ (٢٦) على الحال.

وقال تعالى : ﴿مَمْ نُتَبَعِّهُمُ الْأَخْرِينَ﴾ (١٧) بالرفع لأنه قطع من الكلام الأول ، وإن شئت جزمه إذا عطفته على ﴿مُهْلِكَ﴾.

وقال تعالى : ﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ (٢٧) أي : جعلنا لكم ماءً تشربون منه. وقال : ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُم﴾ [الإنسان / ٢١] للشفة ، وما كان للشفة فهو بغير ألف ؛ وفي لغة قليلة قد يقول للشفة أيضاً «أسقيناه» ؛ قال لبيد^(٢) [من الوافر ، وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد المائتين] :

سقى قومي بني مجد وأسقى نميرًا والقبائل من هلال^(٣) وقال تعالى : ﴿إِلَى ظَلِيلِ ذِي ثَلَاثِ شَعَبٍ﴾ (٣٠) لا ظَلَيلٌ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهِ﴾ (٣١) ثم استأنف السياق : ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ

(١). انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش ، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد ، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتاب ، بيروت ، غير مؤرخ.

(٢). هو لبيد بن ربيعة العامري أحد شعراء المعلقات ، وأحد محضرمي الجاهلية والإسلام. ترجمته في طبقات فحول الشعراء ١ / ١٣٥ ، والشعر والشعراء ١ / ٢٧٤ ، والأغاني ١٤ / ٩٣ و ١٥ / ١٣٦.

(٣). الشاهد في ديوانه ٩٣ والصحاح واللسان (سقي).

كالقصر (٣٢) أي : كالقصور ^(١) وقرأ بعضهم (كالقصر) أي : كأعناق الإبل .
وقال تعالى : **كَأَنَّهُ جِمَالٌ صُفْرٌ** (٣٣) ، بعض العرب يجمع «الجمال» على
«الجمالات» ^(٢) كما تقول «الجزرات» وقرأ بعضهم (جمالات) ^(٣) وليس يعرف هذا الوجه .
وقال تعالى : **هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطَقُونَ** (٣٥) فرفع ^(٤) ، ونصب بعضهم ^(٥) على قوله
: «هذا الخبر يوم لا ينطقون» وكذلك **هَذَا يَوْمٌ الْفَصْلُ** ^(٦) [آلية ٣٨] ، وترك التنوين
للإضافة ، كأنّ السياق : «هذا يوم لا نطق» وإن شئت نوّنت اليوم إذا أضمرت فيه ، كأنّك
قلت «هذا يوم لا ينتظرون فيه» .

(١). القراءة بفتح القاف وسكون الصاد هي في الطبرى ٢٩ / ٢٣٩ إلى قراء الأمصار وابن عباس ، وفي البحر
٨ / ٤٠٧ إلى الجمهور .

(٢). هي في معانى القرآن ٣ / ٢٢٥ إلى عمر بن الخطاب ، وفي الطبرى ٢٩ / ٢٤٢ إلى عامة قراء المدينة
والبصرة وبعض الكوفيين ، وفي السبعة ٦٦٦ إلى ابن كثير ونافع وابن عامر وأبي بكر عن عاصم ، وفي الكشف ٢
/ ٣٥٨ ، والتيسير ٢١٨ ، والجامع ١٦٥ إلى غير حفص والكسائي ، وفي البحر ٨ / ٤٠٧ إلى الجمهور
ومنهم عمر بن الخطاب .

(٣). في الطبرى ٢٩ / ٢٤٣ إلى ابن عباس ، وزاد في الجامع ١٩ / ١٦٥ مجاهداً وحميداً ، وزاد في البحر ٤٠٨
قتادة وابن جبير والحسن وأبا رجاء ، وأهل حميداً ومجاهداً ، وكذلك في المحتسب ٢ / ٣٤٧ .

(٤). في معانى القرآن ٣ / ٢٢٥ هي إجماع القراء . وفي البحر ٨ / ٤٠٧ إلى الجمهور .

(٥). في الشواذ ١٦٧ إلى الأعرج والأعمش ، وزاد في البحر ٨ / ٤٠٧ زيد بن علي وعيسى وأبا حيوة وعاصماً
في رواية .

(٦). الصفات ٣٧ / ٢١ أيضاً .

المبحث السابع

لكل سؤال جواب في سورة «المرسلات»^(١)

إن قيل : قوله تعالى : ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يُنْطِقُونَ﴾ (٢٥) ينفي وجود الاعتذار منهم لأن الاعتذار إنما يكون بالنطق ، فمافائدة نفي الاعتذار بعد نفي النطق؟
قلنا : معناه أنهم لا ينتظرون ، بعذر مقبول وحججة صحيحة ، لا ابتداء ولا بعد أن يؤذن لهم في الاعتذار ، فإنّ الأسير والجاني الخائف ، عادة ، قد لا ينطق لسانه بعذر وحجته ، ابتداء ، لفطر خوفه ودهشته ، ولكن إذا أذن له في إظهار عذر وحجته ، انبسط وانطلق لسانه ، فكانت الفائدة في الجملة. الثاني : نفي هذا المعنى : أي لا ينتظرون بعذر ، ابتداء ولا بعد الإذن.

فإن قيل : قوله تعالى : ﴿يَوْمٌ لَا يُنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ [غافر / ٥٢] يدلّ على وجود الاعتذار منهم ، فكيف التوفيق بينه وبين ما نحن فيه؟
قلنا : قيل : المراد ، بتلك ، الظالمون من المسلمين ، وبما نحن فيه يراد الكافرون ؛
وآخر تلك الآية يضعف هذا الجواب : أي قوله تعالى : ﴿وَهُمُ الْغَنَّمُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر] .

(١). انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها» ، لحمد بن أبي بكر الرازي ، مكتبة الباي الحلي ، القاهرة ، غير مؤرخ.

المبحث الثامن

المعاني المجازية في سورة «المرسلات»^(١)

قوله سبحانه : ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسْتُ﴾ (٨) هو استعارة. والمراد بطمس النجوم ، والله أعلم ، فهو آثارها ، وإذهاب أنوارها ، وإزالتها عن الجهات التي كان يستدلّ بها ، وبهتدى بسمتها. فصارت كالكتاب المطموس الذي أشكت سطوره ، واستعجمت حروفه. والطمس في المكتوبات حقيقة. وفي غيرها استعارة.

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب : «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي ، تحقيق محمد عبد الغني حسن ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، غير مؤرخ.

سورة النبأ

٧٨

المبحث الأول

أهداف سورة «النَّبِيُّ»^(١)

سورة «النَّبِيُّ» سورة مكية ، آياتها أربعون آية ، نزلت بعد سورة «المرسلات» . تبدأ سورة النَّبِيُّ بسؤال موح ، مثير للاستهجان والاستعظام ، وتضخيم الحقيقة التي يختلفون عليها ، وهي أمر عظيم لا خفاء فيه ولا شبهة ، ثم يأتي تحديدهم بأنهم سيعلمون حقيقة هذا النَّبِيُّ [الآيات ١ . ٥] .

ثم يلفت السياق الأنظار إلى عدد من المشاهد والحقائق ، المتمثلة في خلق الأرض ، وإرساء الجبال ، وخلق الذكر والأئمَّة للتناول والتکاثر وإشباع الرغبة وحاجة كل طرف إلى الآخر ، وخلق الليل سكنًا ، والنوم راحة وأمنا ، والنهار سعيًا ومعاشًا ، وخلق السماء والشمس ، وإنزال المطر وإنبات النبات والبساتين [الآيات ٦ - ١٦] .

ثم يعود السياق إلى مشهد القيمة والبعث في [الآيات ١٧ - ٢٠] ويصف جهنم وأهواها وعداجها ، وجود أهلها وتكذيبهم بأيات الله [الآيات ٢١ - ٣٠] .

ثم يصف نعيم المتقين في الجنة وصنوف التكريم والحسن المعنوي [الآيات ٣١ - ٣٦] . وتحتم السورة بمشهد جليل ، في يوم القيمة ، يوم تقوم الملائكة صفًا ، ويشتَّد الهول ، ويلقى كل إنسان جزاء عمله [الآيات ٣٧ - ٤٠] .

(١). انتقى هذا الفصل من كتاب «أهداف كل سورة ومقاصدها» ، لعبد الله محمود شحاته ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩ - ١٩٨٤ .

مع آيات السورة

كان المشركون ، كلّما اجتمعوا في ناد من أنديتهم ، أخذوا يتحدّثون ويسأل بعضهم بعضاً ، ويسألون غيرهم ، فيقولون : أساخر هو أم شاعر ، أم كاهن ، أم اعتراه بعض آهتنا بسوء؟ ويتحدّثون في شأن القرآن : أسرح هو ، أم شعر ، أم كهانة؟ ويقول كلّ واحد ما شاء له هواه ، والرسول سائر قدماً في تبليغ رسالته ، وأمامه مصباحه المنير الذي يضيء للناس سبيل الرشاد ، وهو الكتاب الكريم. كما كانوا يتحدّثون في شأن البعث ، ويأخذ الجدل بينهم كلّ مأخذ ، فمنهم من ينكّره البتة ، ويزعم أنه إذا مات انتهى أمره ، وما هي إلّا أرحام تدفع ، وأرض تبلغ ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْر﴾.

ومنهم من كان يزعم أنّ البعث للأرواح دون الأجساد ، لأنّ الأجساد تأكلها الأرض وتعبث بها يد البلى ؛ وربما لقي أحدهم بعض من آمن بالنبي (ص) ، فيسائله عن ذلك استهزاء وسخرية.

وفي هؤلاء وأشباههم نزلت هذه السورة ، للرد عليهم ، وإقامة للحجّة على أن الله سبحانه قادر على أن يبعثهم بعد موتهم ، وإن صاروا تراباً ، أو أكلتهم السباع ، أو أحرقهم النيران ، لأنّ الله أخصى كل شيء عدداً ، وأحاط بكلّ شيء علماً.

معنى الآيات

[الآيات ٣٠ - ١] : عن أي شيء يتساءل مشركون مكة؟ إنهم يتساءلون عن الخبر العظيم الشأن ، وهو البعث أو نزول الوحي على النبي الأمين ، الخبر الذي اختلفوا فيه ؛ فمن قائل إنه مستحيل ، ومن شاك فيه متّرد يقول ، كما ورد في التنزيل : ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبٌ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنَّ إِلَّا ظَنًا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [٣٢] (الجاثية).

[الآيات ٤ و ٥] : ترد الآيات على تسؤالهم وشكّهم ، بالتهديد الملفوف ، وهو أوقع من الجواب المباشر وأعمق في التأثير ، وتقول : فليزدّجروا عمّا هم فيه ، فإنهم سيعلمون عمّا قليل حقيقة الحال ، إذا حلّ بهم العذاب والتّكال ، وأن ما يتساءلون عنـه ، ويضحّكون منه حق لا شكّ فيه ، ولا ريب في وقوعه.

[الآيات ٦ - ١٦] : تنتقل الآيات من موضوع النّبأ العظيم ، لعرض أمّا

الأبصار والبصائر ، مظاهر القدرة الإلهية في خلق هذا الكون ، فتذكرة تسعه مشاهد ،
يتصرونها بأعينهم ، ولا يخفى عليهم شيء منها :

- ١ . انبساط الأرض وتمهيدها لتحصيل المعاش ، وإثراء الحياة.
- ٢ . سمو الجبال لتشييت الأرض وحفظ التوازن.
- ٣ . خلق الناس ذكورا وإناثا ، ليتحقق الائتناس والتعاون ، ويعم النفع.
- ٤ . جعل النوم راحة للأجسام ، وسكننا للأرواح ، وانقطاعا عن الإدراك والنشاط.
- ٥ . جعل الليل لباسا ساترا ، يكون فيه السبات والانزواء.
- ٦ . جعل النهار معاشا ، تحدث فيه الحركة والنشاط.
- ٧ . ارتفاع السموات فوقنا ، مع إحكام الوضع ، ودقة الصنع ، وقوّة البناء وشدة مقاسكه.
- ٨ . وجود الشمس المنيرة المتوجة ، تسكب الأشعة والضوء والحرارة.
- ٩ . نزول المطر وما ينشأ عنه من الحب والنبات ، والجنات الآلاف ، الكثيفة ،
الكثيرة الأشجار ، الملتفة للأغصان.

وتؤلي هذه الحقائق المشاهد على هذا النظام البديع ، والتقدير الحكيم ، يوحي بأن
وراء هذا الكون قوّة تدبّره ، وحكمة تنظمّه ، وتشعر بالخالق الحكيم القدير ، الذي أبدع كلّ
شيء خلقه ، فتبارك الله أحسن الخالقين.

﴿الآيات ٢٠ - ٢٧﴾ : الناس لم يخلقوا عبشا ، ولن يتركوا سدى ، والذي قدّر حياتهم
ذلك التقدير الحكيم ، الذي يظهره المقطع الماضي من السياق ، قد جعل لهم يوما مؤقتا ،
للفصل والقضاء بينهم. في ذلك اليوم ينفح إسرافيل (ع) في البوق ، فيأتي الناس جميعا
مسرعين ، جماعات ، والسماء المبنية المتينة فتحت ، وانشقّت وتصدّعت على هيئة
لا عهد لنا بها ، فكانت طرقا وأبوابا. والجبال الراسية الثابتة تصبح هباء مثارا في الهواء ، ومن
ثم فلا وجود لها ، كالسراب الذي ليس له حقيقة.

﴿الآيات ٢١ - ٣٠﴾ : تمضي الآيات خطوة وراء النفح والمحشر ، فتصوّر مصير الطغاة
، وتذكرة ما يأتي :

إِنَّ جَهَنَّمَ خَلَقْتَ وَوَجَدْتَ مَكَانًا مُتَرْصِّدًا لِلطَّاغِينَ ، يَنْتَظِرُ حَضُورَهُمْ ، وَيَتَرَقَّبُ وَصُولَهُمْ. إِنَّ جَهَنَّمَ مَرْجُعُ الطُّغَاةِ وَمَكَانٌ إِيَّاهُمْ وَعُودُهُمْ. روى ابن جرير عن الحسن أنه قال :

لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز النار ، فإن كان معه جواز نجا ، وإلا احتبس.

وسيمكث الطغاة في النار دهورا متلاحمـة ، يتبع بعضها بعضا ، فكـلـما انقضـى زـمـن تجـددـ لهم زـمـن آخر. إـلـهـمـ لـنـ يـذـوقـواـ فيـ جـهـنـمـ طـعـامـاـ إـلـاـ الحـمـيمـ ، وـهـوـ المـاءـ المـغـليـ ، وـالـعـسـاقـ ، وـهـوـ الصـدـيدـ الـذـيـ يـسـيلـ منـ جـرـاحـ أـهـلـ النـارـ ، ﴿جـزـاءـ وـفـاقـ﴾ (٢٦). قال مقاتل : وافق العذاب الذنب ، فلا ذنب أعظم من الشرك ، ولا عذاب أعظم من النار ؛ إـلـهـمـ كـانـواـ لاـ يـتـوـقـعـونـ الحـسـابـ ، وـكـذـبـواـ بـجـمـيعـ الـبـرـاهـينـ الدـالـلـةـ عـلـىـ التـوـحـيدـ وـالـنـبـوـةـ وـالـمـعـادـ ، وـجـمـيعـ ماـ جـاءـ فـيـ الـقـرـآنـ ؛ بـيـنـمـاـ كـانـ اللـهـ يـحـصـيـ عـلـيـهـمـ كـلـ شـيـءـ إـحـصـاءـ دـقـيقـاـ لـاـ يـفـلـتـ مـنـهـ شـيـءـ ، وـسـجـلـ أـعـمـالـهـمـ فـيـ الـلـوـحـ الـمـحـفـوظـ ، أوـ كـتـبـهـاـ فـيـ صـحـفـ أـعـمـالـهـمـ. وـيـقـالـ لـهـمـ عـلـىـ أـلـسـنـةـ خـزـنـةـ جـهـنـمـ مـنـ بـابـ التـأـنـيبـ الـمـيـئـسـ مـنـ كـلـ رـجـاءـ : ذـوقـواـ أـشـدـ الـعـذـابـ بـمـاـ كـسـبـتـ أـيـديـكـمـ ، وـلـنـ زـيـدـكـمـ إـلـاـ عـذـابـاـ مـنـ جـنـسـهـ.

[الآيات ٣١ - ٣٦] : تعرض هذه الآيات المشهد المقابل ، مشهد الأتقياء في النعيم ، بعد مشهد الطغاة في الجحيم : إـلـهـمـ يـفـوزـونـ بـالـنـعـيمـ وـالـثـوـابـ ، وـمـنـ بـعـضـ مـظـاهـرـهـ : الـحـدـائـقـ الـكـثـيرـةـ ، وـالـبـسـاتـينـ وـالـأـعـنـابـ ، ﴿وـكـوـاعـبـ﴾ وـهـنـ الـفـتـيـاتـ الـناـهـدـاتـ ، الـلـوـاـتـيـ استـدارـتـ أـشـدـاؤـهـنـ ، ﴿أـتـرـابـ﴾ (٣٣) مـتـوـافـقـاتـ السـنـ وـالـجـمـالـ ، ﴿وـكـأسـاـ دـهـاقـ﴾ (٣٤) مـتـرـعـةـ بالـشـرـابـ ، وـلـاـ يـجـريـ بـيـنـهـمـ حـيـنـ يـشـرـبـونـ لـغـوـ الـكـلـامـ ، وـلـاـ يـكـذـبـ بـعـضـهـمـ بـعـضـاـ. هـذـهـ النـعـيمـ جـزـاءـ مـنـ اللـهـ عـلـىـ أـعـمـالـهـمـ ، وـهـيـ عـطـاءـ وـتـفـضـلـ مـنـ اللـهـ عـلـىـ حـسـبـ أـعـمـالـهـمـ ، وـفـيـ الـحـدـيـثـ الشـرـيفـ : «إـنـكـمـ تـدـخـلـونـ الـجـنـةـ بـفـضـلـ اللـهـ ، وـتـقـسـمـونـهـاـ بـحـسـبـ أـعـمـالـكـمـ».

[الآيات ٤٠ - ٣٧] : هذا الجزء السابق للطغاة وللتقة ، من مالك السماوات والأرض ، والمدبر لشئونهما ، والمالك لما بينهما من عوالم ، وهو الرحمن ، ومن رحمته يكون الجزء العادل المناسب للأشارر وللأخيار ، ومع الرحمة الجلال ، فلا

ملك أحد مخاطبته في ذلك اليوم المهيّب.

يُوْمَ يَقْفَ جَرِيلَ وَالْمَلَائِكَةَ جَمِيعاً مُصْطَفَينَ ، لَا يَتَكَلَّمُونَ إِجْلَالاً لِرَبِّهِمْ ، وَوَقْوَافاً عَنْ أَقْدَارِهِمْ ، إِلَّا إِذَا أَذْنَ لَهُمْ رَبِّهِمْ وَقَالُوا صَدِقاً وَصَوَاباً.

ذلك اليوم هو الحق الموعود به ، فلا مجال للتساؤل والاختلاف في شأنه. والفرصة لا تزال سانحة ، فمن شاء عمل صالحا يقربه من ربّه ، ويدنيه من ثوابه. إِنَّا نَحْذِرُكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَهُوَ قَرِيبٌ لَيْسَ بِالْبَعِيدِ ، فَجَهَنَّمُ تَنْتَظِرُكُمْ ، وَتَرْتَصِدُ لَكُمْ ، عَلَى النحوِ الَّذِي سَعَتمْ ، وَالْدُّنْيَا كَلَّهَا رَحْلَةً قَصِيرَةً ، وَكُلَّ آتٍ قَرِيبٌ.

وفي ذلك اليوم يجد الإنسان جزاء عمله ، ولقاء ما صنعه في الدنيا من الأعمال ،
﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مُتَقَلَّ ذَرَّةً خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مُتَقَلَّ ذَرَّةً شَرًّا يَرَهُ﴾ (٨) [الزلزلة]. في ذلك اليوم يشعر الكافر بالندم والمحسنة ، فيقول : يا ليتني كنت تراباً أو حبراً ، لا يجري عليه تكليف حتى لا يعاقب هذا العقاب.

مُوضُوعاتُ السُّورَةِ

اشتملت سورة النبأ على الموضوعات الآتية :

- ١ . سؤال المشركين عنبعث ، ورسالة محمد (ص).
- ٢ . تحديد المشركين إنكارهم إياها.
- ٣ . إقامة الأدلة على إمكان حصوله.
- ٤ . أحداث يوم القيمة.
- ٥ . ما يلاقيه المكذبون من العذاب.
- ٦ . فوز المتقين بجنت النعيم.
- ٧ . أنّ هذا اليوم حق لا ريب فيه.
- ٨ . ندم الكافر بعد فوات الأوان.

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «النَّبَأ»^(١)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة النَّبَأ بعد سورة الماعرج ، ونزلت سورة الماعرج بعد الإسراء وقبل المحرجة ؛
فيكون نزول سورة النَّبَأ في ذلك التاريخ أيضاً .
وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم ، لقوله تعالى في أولها : ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١) عنِ
النَّبِيِّ الْعَظِيمِ^(٢) (٢) وتبلغ آياتها أربعين آية.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة إثبات البعث ، وقد اقتضى هذا تحديدهم على إنكارهم له ،
وترغيبهم في الإيمان به ، فكان سياقها في هذا مشابهاً لسياق سورة المرسلات ، وهذا هو
وجه ذكرها بعدها .

إثبات البعث

الآيات [٤٠ . ١]

قال الله تعالى : ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١) عنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ^(٢) (٢) فذكر أنهم يتساءلون عنِّ ما أخبرهم به من البعث ، ويختلفون فيه بين منكر ومستبعد وشاك ، وهددهم بأئمهم
سيعلمون صدق هذا النَّبَأ . واستدل على قدرته عليه ، بأنه ، سبحانه ، هو الذي جعل الأرض مهاداً ، إلى غير هذا مما يدل على كمال قدرته . ثم ذكر سبحانه أنَّ لهذا النَّبَأ وقتاً معلوماً ، وأنَّ له علامات كالنفح في الصور ونحوه ؛ وأنَّ جهنم تكون فيه

(١). انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفي في القرآن» ، للشيخ عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب بالجماييف . المطبعة النموذجية بالحكمة الجديدة ، القاهرة ، غير مؤرخ .

مرصادا للطاغين ، فيلاقون فيها ما فصله من العذاب ؛ وأن للمتقين مفازا من حدائق وأعناب وغيرها. ثم ذكر عجّل أنه لا يملك أحد أن يخاطبه في ذلك اليوم ، وأنه يقوم فيه الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا بإذنه ، ولا يشهدون إلا بالحق على عباده ، فمن شاء أن يتّخذ إليه مآبا حسنا كان خيرا له. ثم ختمت السورة بقرب ما أنذرهم به ، بقوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمُرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ ثُرَابًا﴾ . (٤٠).

المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «النَّبِيُّ»^(١)

أقول : وجه اتصالها بالسورة التي قبلها ، سورة «المرسلات» : تناسبتها معها في الجمل. ففي تلك : ﴿أَلَمْ يُكْلِمِ الْأَوَّلِينَ﴾ (٦) ثُمَّ نُتَبَعُهُمُ الْآخِرِينَ﴿﴾ (٧). ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّنْ مَاءٍ مَّوِيهٍ﴾ (٢٠) ﴿أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَافًا﴾ (٢٥). إلى آخره. وفي هذه : ﴿أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ (٦) إلى آخره. فذلك نظير تناسب جمل : «الضحى» و «ألم نشرح» ، بقوله تعالى في الضحى : ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَأَوَى﴾ (٦) إلى آخره. وقوله : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (١) مع اشتراك هذه السورة ، والأربع التي قبلها ، في الاشتتمال على وصف يوم القيمة وأهواهه ، وعلى ذكر بدء الخلق ، وإقامة الدليل على البعث.

وأيضاً في سورة المرسلات : ﴿لَا يَٰ يَوْمُ أُجْلَتْ﴾ (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ (١٤). وفي هذه السورة : ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ (١٧) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْواجًا﴾ (١٨) إلى آخره. فكأن هذه السورة شرح ليوم الفصل ، الجمل ذكره في السورة التي قبلها^(٢).

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب : «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطى ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، دار الاعتصام ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.

(٢). لم يذكر المؤلف سورة النازعات ، ومناسبتها لما قبلها. ونرى ، والله أعلم : أنه طال وصف يوم القيمة في «النَّبِيُّ» ، ثم ذكر في «النازعات» حجة من أنكرها ، ورد عليها ، فقال : ﴿يَقُولُونَ أَيُّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْخَافِرَةِ﴾ (١٠) أَذَا كُنَّا عَظَامًا خَرَةً﴿﴾ (١١) وذكر ندامتهم على تفريطهم بقوله سبحانه : ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ (١٢). ثم أكَّد فدرته على إحياء الموتى ، وأقام الدليل عليها في بقية السورة.

المبحث الرابع

مكونات سورة «النَّبَأُ»^(١)

١ - ﴿وَيَقُولُ الْكُفَّارُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [آلية ٤٠].

قال أبو قاسم بن حبيب^(٢) : رأيت في بعض التفاسير أنّ الكافر هنا إبليس. ذكره ابن عسکر.

(١). انتقي هذا المبحث من كتاب «مفہمات القرآن فی مہمات القرآن» للسیوطی ، تحقیق إیاد خالد الطباع ، مؤسسة الرسالة ، بیروت ، غیر مؤرخ.

(٢). أبو قاسم بن حبيب : هو الحسن بن محمد بن حبيب بن أیوب التیسابوری الواعظ المفسر ، إمام عصره في معانی القرآن وعلومه ، مع الأدب والنحو ، وكان عارفاً باللغازي والقصص والسیر ، وانتشر عنه بنیسابور العلم الكبير ؛ صنف «التفسیر» و «عقلاء الجانين» وغير ذلك في القراءات والأداب ، توفي سنة ٤٠٦ . ترجمته في : «طبقات المفسرين» للسیوطی : ٤٥ ، و «شذرات الذهب» لابن العماد ٣ / ١٨١ ، و «الأعلام» للزرکلی ٢ / ٢١٣ .

المبحث الخامس

المعاني اللغوية في سورة «النَّبِيُّ»^(١)

قال تعالى : ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ (١٦) وواحدتها «الْأَلْفَ». .

وقال تعالى : ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ (٢٦) أي : «وافق إهمالهم وفaca» كما تقول : «قاتل قتالاً». .

وقال تعالى : ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾ (٢٨) لأن فعله على أربعة ؛ من باب «أفعلت» «إفعالاً». وعلى هذا القياس تقول : «قاتل» «قيتالاً» وهو من كلام العرب. وقال تعالى : ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ (٢٩) بنصب (كل) ، وقد شغل الفعل بالهاء لأن ما قبله قد عمل فيه الفعل ، فأجري عليه ، وأعمل فيه فعل مضمر.

وقال تعالى : ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمُرْءُ مَا قَدَّمْتُ يَدَاهُ﴾ [الآية ٤٠] فإن شئت جعلت التقدير «ينظر أي شيء قدّمت يداه» وتكون صفتة (قدمت) وقال بعضهم : «إنما هو» ينظر إلى ما قدّمت يداه ، فحذف «إلى».

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش ، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد ، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب ، بيروت ، غير مؤرخ.

المبحث السادس

لكل سؤال جواب في سورة «النَّبَأ»^(١)

إن قيل : كيف اتصل قوله تعالى : ﴿أَتَمْ بَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ (٦) بما قبله؟

قلنا : لما كان النَّبَأ العظيم الذي يتساءلون عنده هو البعث والنشور ، وكانوا ينكرونه ، قيل لهم : ألم يخلق من وعد بالبعث والنشور هذه المخلوقات العظيمة العجيبة الدالة على كمال قدرته على البعث؟

فإن قيل : لو كان النَّبَأ العظيم الذي يتساءلون عنده ما ذكرتم لما قال الله تعالى :

﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ (٣) : لأنَّ كُفَّارَ مَكَّةَ لم يختلفوا في أمر البعث ، بل اتفقوا على إنكاره؟

قلنا : كان فيهم من يقطع القول بإنكاره ، وفيهم من يشكُّ فيه ويتردد ؛ فثبت الاختلاف لأنَّ جهة الاختلاف لا تتحضر في الجزم بإثباته والجزم بنفيه. الثاني : أنَّ بعضهم صدَّقَ به فآمن ، وبعضهم كَذَّبَ به فبقي على كفره ، فثبت الاختلاف بالنفي والإثبات. الثالث : أنَّ الضمير في ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ وفي ﴿هُمْ﴾ عائد إلى الفريقين من المسلمين والمشركين ؛ وكلَّهم كانوا يتساءلون عنده لعظم شأنه عندهم ، فصدق به المسلمين فأثبتوه ، وكذَّب به المشركون فنفوه.

فإن قيل : قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحُقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخِذَ إِلَى رِتْهِ مَا بِأَيْمَانِهِ﴾ (٣٩) هو جزاء الشرط فأين الشرط ؟ و «شاء» وحده لا يصلح شرطا لأنَّه لا يفيد

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها» ، لحمد بن أبي بكر الرازي ، مكتبة البابي الحلي ، القاهرة ، غير مؤرخ.

بدون ذكر مفعوله ؛ وإن كان المذكور هو الشرط ، فأين الجزاء؟

قلنا : معناه فمن شاء النجاة من اليوم الموصوف ، اتّخذ إلى ربّه مرجعاً بطاعته . الثاني

: أنّ معناه : فمن شاء أن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ مَا آبَا ، كقوله تعالى :

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلِيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلِيَكْفُرْ﴾ [الكهف / ٢٩] أي فمن شاء الإيمان فليؤمن ، ومن شاء الكفر فليكفر .

المبحث السابع

المعانى المجازية في سورة «النبا»^(١)

في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهادًا (٦) وَالْجِبالَ أُوتادًا﴾^(٧) استعاراتان. وقد مضى الكلام على الأولى منها. أما معنى كون الجبال أوتادا ، فلأنّ بها مساك الأرض وقوامها ، واعتدالها وثباتها ، كما يثبت البيت بآوتاده ، والخباء على أعماده.

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب : «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي ، تحقيق محمد عبد الغني حسن ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، غير مؤرخ.

سورة النّازعات

٧٩

المبحث الأول

أهداف سورة «النازعات»^(١)

سورة النازعات سورة مكية ، آياتها ٤٦ آية ، نزلت بعد سورة النبأ.
وهي نموذج من نماذج هذا الجزء ، لإشعار القلب البشري بحقيقة الآخرة ، بمحوها
وضخامتها. وفي الطريق إلى ذلك تمهد بطلع غامض مثير ، في إيقاع سريع [الآيات ١ - ٥]. وعقب هذا المطلع الغامض الراجف الواجب ، يحيى المشهد الأول من مشاهد ذلك
اليوم في الآيات [١٤ - ٦]. ثم يجري السياق في عرض حلقة من قصة موسى (ع) مع فرعون
، فيهدا الإيقاع ، ويستترخي شيئاً ما ليناسب جو الحكاية والعرض ، وذلك في الآيات [١٥ - ٢٦].

ثم ينتقل الكلام من ساحة التاريخ إلى كتاب الكون المفتوح ، ومشاهد الكون الهائلة ،
الشاهدة بالقدرة والتدبر ، والتقدير للألوهية المنشئة للكون ، المهيمنة على مصائره في الدنيا
والآخرة ، في تعبيرات قوية الأثر ، تأخذ بالألباب ، وذلك في الآيات [٢٧ - ٣٣].
ثم يحيى مشهد الطامة الكبرى ، وما يصاحبها من جزاء على ما كان في الحياة الدنيا
، [الآيات ٣٤ - ٤١].

ثم يرتد الكلام إلى المكذبين بهذه الساعة ، الذين يسألون الرسول (ص) ، عن
موعدها ، يرتد إليهم بإيقاع يزيد من روعة الساعة وهو لها وضخامتها ، [الآيات ٤٢ - ٤٦].

(١). انتقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها» ، لعبد الله محمود شحاته ، الهيئة العامة
للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩ - ١٩٨٤.

مع آيات السورة

[الآيات ١ . ٥] : أقسم الله تعالى بالملائكة ، الذين ينزعون أرواح الكفار إغراقا ، أي مبالغة في النزع ؛ وبالملائكة الذين يخرجون أرواح المؤمنين برفق ، فيسبحون في إخراجها سبع الغواص ، الذي يخرج الشيء من أعماق البحر ، فيسبقون بأرواح الكفار إلى النار ، وبأرواح المؤمنين إلى الجنة ، أو يسبقون للإعنان أو للطاعة لأمر الله ، فيتدبرون ما يوكل إليهم من الأمور.

وقيل : أقسم الله تعالى بالنجوم ، تنزع في مدارتها وتحرك ، وتنشط منتقلة من منزل إلى منزل ، وتسبح سبحا في فضاء الله وهي معلقة بهذا الفضاء ، وتسبق سبقا في جريانها ودورانها ، وتتدبر من النتائج والظواهر ما أوكله الله إليها ، مما يؤثر في حياة الأرض ومن عليها.

وقيل : النازعات والنashطات والسباحات والسابقات هي النجوم ؛ والمدبرات هي الملائكة. وجملة القول : أن هذه أوصاف لموصفات ، أقسم الله بها ، لعظم شأنها ؛ وكل ما يصدق عليه الوصف ، يصح أن يكون تفسيرا للآيات ، وهذا من إعجاز القرآن الكريم.

[الآيات ٦ . ٩] : اذكر يا محمد يوم تضطرب الأرض ، ويرجف كل من عليها ؛ وتنشق السماء ؛ ويصعق كل من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ؛ وهذه هي الراجفة أو النفخة الأولى في الصور ؛ يتبع ذلك النفخة الثانية ، التي يصخون عليها ويحشرون ؛ وهذه هي الرادفة ^(١).

قلوب الكافرين تكون يوم القيمة شديدة الاضطراب ، بادية الدلّ ، يجتمع عليها الخوف والانكسار ، والرجفة والانهيار.

[الآيات ١٠ . ١٤] : يقول الكافرون المنكرون للبعث : أصحح أننا إذا متنا راجعون إلى الأرض أحياء كما كنّا ؟ أعود للحياة بعد تحلّل أجسادنا في التراب ؟ إن صح هذا فهو الخسران

(١) . ورد هذا المعنى في سورة الزمر قوله تعالى ، في : ﴿وَتُفْخَىٰ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شاءَ اللَّهُ مِمْنُّا فُنِحَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (٦٨).

الخالص ، والرجعة الخاسرة ، التي لم يحسب حسابها.

لا تستبعدوا ذلك أيها الكافرون ، فإنما هي صحيحة واحدة ينفع فيها إسرافيل (ع)

في الصور ، فإذا الناس جمِعاً أحياء على سطح أرض القيمة.

[الآيات ١٥ - ٢٦] : تحكي هذه الآيات قصة موسى عليه السلام ، وهي قصة تكررت في القرآن الكريم ، لما لقيه موسى من شدة المعاناة مع قومه ، فأصبح نموذجاً للصبر والثبات. وفي الحديث الصحيح يقول النبي (ص) : «يرحم الله أخي موسى لقد أودي بأكثر من هذا ، فصبر» .

تقول الآيات :

وهل جاءك يا محمد خبر موسى وقصته العجيبة؟ حيث تفضل الله عليه فناداه ، وكلمه من وراء حجاب ، بالوادي المبارك من طور سيناء (طوى)^(١) ، فقال له ما معناه : اذهب إلى فرعون فإنه طغى وتجاوز الحد ، فتلطف معه في القول ، وقل له : هل ترحب في أن تطهر نفسك من الآثام التي انغمست فيها ، وهل لك في الإيمان بالله ، واستشعار الجلالة والجلبروت وخشية عقاب الله وحسابه.

بيد أنَّ هذا القول لم يفلح في هداية قلب الطاغية الجبار ، فأظهر له موسى المعجزة الكبرى ، وهي انقلاب العصا حية ، وإخراج يده بيضاء بياضاً ساطعاً ، يغلب ضوء الشمس. فأنكر فرعون رسالة موسى (ع) ، وعصى أمر ربِّه ، ثم أعرض عن موسى ، وسعى في إيهائه ، وحثَّ الناس على مقاومة دعوته ، ثم جمع السحرة الذين هم تحت إمرته وسلطانه ، فقام فيهم يقول ، كما ورد في التنزيل : ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعُلَى﴾ (٢٤) الذي لا يدانيه أحد في القوَّة والعظمة ، وما زال في عتوه وتطاوله ، حتى تبع موسى وقومه إلى البحر الأحمر (بحر القلزم) عند خروجهم من مصر ، فأغرق فيه هو وجنوده ، تنكيلاً به على ما صنع ، وله في الآخرة عذاب السعير ، وسيكون مثلاً للأولين والآخرين. وفي قصة فرعون عبرة لمن له عقل يتدبَّر به في عواقب الأمور ، فيثوب إلى رشده ويُتَّقي ربه.

(١). طوى علم للوادي ، وهو وادٌ بأسفل جبل طور سيناء.

[الآيات ٢٧ - ٣٣] : يخاطب الله سبحانه منكري البعث ، ويرشدهم إلى أنّ بعثهم هنّ على الله ، بدليل ما يشاهدون من آثار قدرته في هذا الكون ؛ فيقول لهم ما معناه : هل أنتم أشدّ خلقاً أم خلق السماء أصعب وأشقّ؟ إنكم لا تنازعون في أنها أشدّ منكم خلقاً ، ومع ذلك لم نعجز عن إبداعها ، فما الذي تستصعبونه من أمر بعثكم؟ والذي بني السماء وأبدعها قادر على إعادتكم. قال تعالى : ﴿خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرٌ مِّنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥٧) [غافر].

لقد رفع الله (سمك) السماء أي بناءها ؛ وسمك كلّ شيء قامته وارتفاعه. والسماء مرفوعة في تناسق كامل ، وتنسق بين حركاتها وآثارها وتأثيرها ، وقد جعل الله ، سبحانه ، ليلاً مظلماً بغير كواكبها ، وأنار نهارها بظهور الضحى.

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ ذَحَاهَا﴾ (٣٠) ، ودحو الأرض تميدها ، وبسط قشرتها ؛ بحيث تصبح صالحة للسير عليها ، وتكوين تربة تصلح للنباتات : ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ (٣١) ، أي فجر منها العيون والينابيع والأنهار ، وأنبت فيها النباتات ، وثبتت الجبال في أماكنها وجعلها كالأوتاد ، لئلا تميد بأهلها ، وتضطرب بهم : ﴿فَمَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ (٣٢) ، أي إنما جعلنا ذلك كله ليتمكن به الناس والأنعام. وليتتبّه الإنسان على عظمة التدبير والتقدير ، فإنّ بناء السماء على هذا النحو ، وإظام الليل ، وإضاءة النهار ، وتمهيد الأرض ، وإخراج النباتات والماء ، وإرساء الجبال ؛ لم يكن كل ذلك سدى ، وإنما كان متاعاً لكم ولأنعامكم.

وهذا المدبر الحكيم سبحانه ، وفر لكم هذا الخير الكبير ، لتتعمّقوا به ؛ ومن الحكمة والتدبير أن يكون هناك بعث وجزاء ، لإثابة الطائع ، ومعاقبة الطّاغة والعصاة.

[الآيات ٣٤ - ٤١] : فإذا جاءت الدهاية العظمى ، التي تعلو على سائر الدواهي ، وتشغل الإنسان عن ولده ونفسه ، غطّت على كل شيء ، وطمّت على كل شيء. عندئذ يتذكّر الإنسان سعيه ويستحضره أمامه ، حينما يرى

أعماله مدّونة في كتابه . وظهرت النار إلى مكان بارز ، حتى يراها كل ذي نظر ، عندئذ تختلف المصائر والعواقب ، فأما من تكبير وعصى ربّه وجاء حده ، وأثر شهوات الحياة الدنيا على ثواب الآخرة ، فالنار مثواه ومستقرّه .

وأما من استحضر في قلبه دائمًا عظمّة الله تعالى ، ونهى النفس عما تحواه ، وقيل إليه بحسب طبيعتها ، فإنّ الجنة ستكون له مستقراً ومقاماً .

[الآيات ٤٢ - ٤٦] : يسألوك كفار قريش والمعتلون من المشركين عن القيمة

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ (٤٢) : متى قيامها وظهورها؟ وأين موعدها؟

﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ (٤٣) : إنّما الأعظم من أن تسأل أو تسأل عن موعدها ، فامرها إلى ربّك ، وهي من خاصّة شأنه ، وليس من شأنك ، إلى ربّك ينتهي علم الساعة ، فلا يعلم وقت قيامها غيره سبحانه ، ولم يعط علمها ملك مكرّم ، ولانبيّ مرسل . إنّما أنت رسول مبعوث لتنذر من ينفعه الإنذار ، وهو الذي يشعر قلبه بحقيقة فيها ، ويعمل لها ويتوقعها .

وإذا جاءت الساعة ، ورأوا أهواها وحسابها وجزاءها ، استهانوا بالدنيا ومتاعها وأعمارها ، ورأوا الدنيا بالنسبة للآخرة قصيرة عاجلة ، هزلية ذاهبة ، زهيدة تافهة .

وتنطوي الدنيا في نفوس أصحابها ، فإذا هي عندهم عشية أو ضحّاها ؛ فكأنّما الدنيا ساعة من نهار ، فمن أجل ساعة من نهار ، يضيّع الإنسان الجنة والخلود في رضوانها؟

قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَيُشْوا غَيْرُ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا

يُؤْفَكُونَ﴾ (٥٥) [الروم] أي أنّ الدنيا أو الحياة الفانية ، ليست إلا وقتاً قصيراً بالنسبة للآخرة . قال تعالى ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (١٧) [الأعلى] .

موضوعات سورة النازعات

١ . إثباتبعث.

٢ . مقالة المشركين في إنكاره ، والرد عليهم .

- ٣ . قصة موسى (ع) مع فرعون ، وفيها عاقبة الطغاة.
- ٤ . آيات الله في الآفاق.
- ٥ . أهوال يوم القيمة.
- ٦ . الناس في هذا اليوم فريقيان :
سعادة وأشقياء.
- ٧ . تساؤل المشركين عن الساعة وميقاتها.
- ٨ . نهي الرسول (ص) عن البحث عنها.
- ٩ . ذهول المشركين من شدة الهول ، والاستهانة بالدنيا حينما يرون الآخرة.

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «النازعات»^(١)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة النازعات بعد سورة النبأ ، ونزلت سورة النبأ بعد الإسراء وقبل المحرجة ؛
فيكون نزول سورة النازعات في ذلك التاريخ أيضاً .
وقد سميت هذه السورة بجداً الاسم ، لقوله تعالى في أولها ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾^(١) وتبليغ آياتها ستة وأربعين آية.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة إثبات البعث أيضاً ، فهـي توافق سورة النبأ في الغرض المقصود منها ، وهذا هو وجه المناسبة في ذكرها بعدها .

إثبات البعث

الآيات [٤٦ . ١]

قال الله تعالى : ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾^(١) ﴿وَالنَّاشرَاتِ نَشْطًا﴾^(٢) ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبُّحًا﴾^(٣)
﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبُّقًا﴾^(٤) ﴿فَالْمَدَبِّراتِ أَمْرًا﴾^(٥) ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾^(٦) ﴿تَتَبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾^(٧)
﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾^(٨) فأقسام سبحانه ، بما ذكره على أنهم سيشعرون ؛ وذكر جل شأنه
أنه يوم ترجف الراجفة بعد بعثهم ، تجف قلوبهم وتتخشع أبصارهم ؛ ثم ذكر استبعادهم لبعثهم
، وقولهم على سبيل الاستهزاء : إنه لو صـح لـكانـت كـرـهم خـاسـرة ، وأـجـابـ بـأـنـ أمرـه لا
يـقتـضـي إـلـا زـجـة وـاحـدة ، فـإـذـا هـم بـالـسـاهـرـةـ أـيـ (ـالـقـيـامـةـ) ؛ ثـمـ ذـكـرـ أـنـ فـرـعونـ كـذـبـ بـهـذاـ
قـبـلـهـمـ ، وـكـانـ أـشـدـ

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «النظم الفيّي في القرآن» ، للشيخ عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب بالجمالية . المطبعة النموذجية بالحكمة الجديدة ، القاهرة ، غير مؤرخ .

منهم ، فأخذه بنكال الآخرة والأولى ؛ ثم ذكر أنهم ليسوا أشدّ خلقاً من السماء وغيرها من خلقه حتى يعجز عن إعادتهم ؛ وأنه إذا جاء يوم القيمة يتذكّر كلّ إنسان ما عمله ، وتكون الجحيم مأوى الطاغين ، وتكون الجنة مأوى المتقين ؛ ثم ذكر تعالى أنهم يسألون عن الساعة أيّان مرساها استهزاء بها ، وأحاب بأنه لا يعلمها إلاّ هو ، وإنّما ينذر النبي (ص) بما من يخشها : ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوُهَا لَمْ يَلْبُسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاحًا﴾ (٤٦).

المبحث الثالث

مكونات سورة «النازعات»^(١)

أخرج ابن أبي حاتم عن أبي صالح أنه ، بقوله :

١ - **والنَّازِعَاتِ** [الآية ١] ،

٢ - و **وَالنَّاشرَاتِ** [الآية ٢] ،

٣ - و **وَالسَّاهِراتِ** [الآية ٣] ،

٤ - و **فَالسَّابِقَاتِ** [الآية ٤] ،

٥ - و **فَالْمُدَبِّرَاتِ** [الآية ٥] ،

عني الملائكة

٦ - أما بقوله **بِالسَّاهِرَةِ** (٤) ، فإن عثمان بن أبي العاتكة قال : إنه يعني

بالسفح الذي بين جبل أريحا ، وجبل حسان (٢). أخرجه ابن أبي حاتم (٣).

وقال وهب بن منبه : هي بيت المقدس. أخرجه البيهقي في «البعث» (٤).

وقال ابن عسکر :

قيل : هي أرض الشام (٥).

وقيل : جبل بيت المقدس (٦).

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «مفہمات القرآن فی میہمات القرآن» للسیوطی ، تحقیق إیاد خالد الطیّاع ، مؤسسة الرسالة ، بیروت ، غیر مؤرخ.

(٢). کذا في «تفسير الطبری» ٣٠ / ٢٤ ووقع اسم هذا الجبل : «حسان» في موضع آخر من «تفسير الطبری» ٩ / ٨٦ عند قوله تعالى : **وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَا هُمَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَي الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلُ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهُثْ أَوْ تَرْكُهُ يَلْهُثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقُصَصَنَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** (١٧٦) [الأعراف].

(٣). والطبری ٣٠ / ٢٤ .

(٤). والطبری في «تفسيره» ٣٠ / ٢٤ ، بلفظ : جبل إلى جنب بيت المقدس.

(٥). أخرجه الطبری في «تفسيره» ٣٠ / ٢٤ عن سفيان قال : أرض بالشام.

(٦). راجع التعليق رقم (٣) السابق.

وقيل : هي جهنّم ^(١).

٧ . ﴿فَآخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ (٢٥).

هي قوله ، كما ورد في التنزيل : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنٌ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدُ لِي بِا هَامَنْ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْنِي صَرْحًا لَعَلَى أَطْلَعَ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظْنُهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٣٨) [القصص].

قال عكرمة ، وعبد الله بن عمرو : قال ، وكان بين الكلمتين ^(٢) أربعون سنة. أخرجه ابن أبي حاتم.

(١). أخرجه الطبرى في «تفسيره» ٣٠ / ٢٥ عن قتادة.

(٢). المراد بالكلمتين قوله جل شأنه : ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص / ٣٨] ، الأولى ، والثانية قوله سبحانه ، حكاية عن فرعون : ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (٢٤) ، انظر «تفسير الطبرى» ٤١ / ٣٠ ط الحلبي ، وذكر فيه تفسيرا آخر.

المبحث الرابع

لغة التنزيل في سورة «النازعات»^(١)

١ . و قال تعالى : ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ (١٤).

والسَّاهِرَةُ : الأرض البيضاء المستوية ، سميت بذلك لأن السراب يجري فيها.

وهذا من قوله : عين ساهرة ، جارية الماء ، وفي ضدها نائمة ، قال الأشعث بن قيس : وساهرة يضحي السراب مجللا لأقطارها قد جبتها متلثما

٢ . و قال تعالى : ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامِةُ الْكُبْرِيَّ﴾ (٣٤).

وقوله تعالى : ﴿الطَّامِةُ الْكُبْرِيَّ﴾ (٣٤) أي : الداهية التي تطم الدواهي ، أي : تعلو وتغلب.

أقول : والعبارة في الآية مما ورثناه في العربية المعاصرة.

(١) . انتقى هذا المبحث من كتاب «من بديع لغة التنزيل» ، لإبراهيم السامرائي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، غير مؤرّخ .

$\sigma \wedge$

المبحث الخامس

المعاني اللغوية في سورة «النازعات»^(١)

قال تعالى : ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ (١) فأقسم ، والله أعلم ، على ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِزْرًا لِمَنْ يَخْشِي﴾ (٢٦) أو على : ﴿يَوْمَ تُرْجَفُ الرَّاجِفَةُ﴾ (٦) ، ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجْفَةٌ﴾ (٨) ، ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ [الآية ١] ، أو على ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ لـ ﴿يَوْمَ تُرْجَفُ الرَّاجِفَةُ﴾ (٦) ﴿تَتَبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ (٧) فحذفت اللام وهو كما قال جل ذكره ، وشاء أن يكون في هذا ، وفي كل الأمور.

وقال تعالى : ﴿يَقُولُونَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ (١٠) ﴿إِذَا كُنَّا عِظَامًا﴾ كأنه سبحانه أراد : «أنزد إذا كننا عظاماً».

وقال تعالى : ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمَقَدَّسِ طُوئِ﴾ (١٦). فمن لم يصرفه^(٢) جعله بلدة أو بقعة ؛ ومن صرفه^(٣) جعله اسم واد أو مكان. وقال بعضهم : «لا بل هو مصروف وإنما يراد ب ﴿طُوئِ﴾ (١٦) : طوى من الليل ، لأنك تقول : «جئتك بعد طوى من الليل» ويقال «طوى» منونة مثل «الثني» وقال الشاعر^(٤) [من

(١). انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش ، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد ، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب ، بيروت ، غير مؤرخ.

(٢). نسبة الطبرى / ٣٠ إلى عامّة قراء المدينة والبصرة ؛ وفي السبعة ٦٧١ إلى ابن كثير ، ونافع ، وأبي عمرو ؛ وفي الجامع ١٩ / ٢٠١ إلى غير ابن حميسن ، وابن عامر ، والковفين ، والحسن ، وعكرمة ؛ وبكسر الطاء إلى الحسن ، وعكرمة ؛ وروي عن أبي عمرو.

(٣). هي فراءة نسبة الطبرى / ٣٩ إلى بعض أهل الشام ، والكوفة ؛ وفي السبعة ٦٧١ إلى ابن عامر ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي ؛ وفي الجامع ١٩ / ٢٠١ إلى ابن حميسن ، وابن عامر ، والkovفين.

(٤). هو أوس بن مفواه القرفعي ، الصحاح واللسان «ثني» ؛ والمخصص ١٥ / ١٣٨ ؛ وطبقات فحول الشعرا

البسيط وهو الشاهد السابع والسبعون بعد المائتين] :

ترى ثنانا إذا ما جاء بدائهم وبدائهم إن أثانا كان ثنانا (٤) والثّن : هو الشيء المشتبه .
وقال تعالى : ﴿فَاحْدُهُ اللَّهُ نَكَالُ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ (٢٥). لأنّه حينما قال (أخذنه) كأنّه قال
«نَكَلَ لَهُ» فأخرج المصدر على ذلك . وتقول «والله لأصرمنك تركا بيّنا» .

(٤). في المصادر السابقة ، والمخصص ٢ / ١٥٩ ، والمقاييس ١ / ٢١٣ و ٣٩١ ب «بديهم» ؛ وفي طبقات
فحول الشعراء ١ / ٧٩ كذلك ، وصدره فيها : ثنانا إن أثاهم كان بدائهم .

المبحث السادس

لكل سؤال جواب في سورة «النازوات»^(١)

إن قيل : لم قال الله تعالى في الآيتين الأولى والثانية : ﴿وَالنَّازِعَاتِ وَالنَّاשِطَاتِ﴾ بلفظ التأنيث ، وكذا ما بعده ، والكل أوصاف الملائكة ، والملائكة ليسوا إناثا؟
قلنا : هو قسم بطوائف الملائكة وفرقها ، والطوائف والفرق مؤنثة.
فإن قيل : لم أضاف الله تعالى الأبصار إلى القلوب في قوله سبحانه : ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِنُونَ وَاجْهَةً (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةً﴾ (٩) ، أي ذليلة لمعانينة العذاب ، والمراد بها الأعين بلا خلاف؟

قلنا : المراد أبصار أصحابها ، بدليل قوله تعالى ﴿يُقْرُلُونَ﴾ [الآية ١٠].
فإن قيل : لم قال الله تعالى : ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةُ الْكُبْرَى﴾ (٢٠) ، مع أن موسى عليه الصلاة والسلام أراه الآيات كلّها ، بدليل قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَا آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ﴾ [طه / ٥٦] وكل آية كبرى؟

قلنا : الإخبار في هذه الآية عن أول ملاقاته إياه ، وإنما أراه في أول ملاقاته العصا واليد ، فأطلق عليهما الآية الكبرى لاتحاد معناهما. وقيل أراد بالآية الكبرى العصا ، لأنّها كانت المقدمة ، والأصل ، والأخرى كالتبّع لها لأنّه كان يتبعها بيده ، فقيل له أدخل يدك في جيبك.

فإن قيل : لم أضاف الله تعالى الليل

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها» ، محمد بن أبي بكر الرازي ، مكتبة البابي الحلي ، القاهرة ، غير مؤرخ.

إلى السماء ، بقوله جل وعلا : ﴿وَأَعْطَشَ لَنِيَّا﴾ [الآية ٢٩] مع أن الليل إنما يكون في الأرض لا في السماء؟

قلنا : أضافه إليها ، لأنه أول ما يظهر عند غروب الشمس ، إنما يظهر من أفق السماء من موضع الغروب ؛ وأمّا قوله تعالى : ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ (٢٩) فالمراد به ضوء الشمس بدليل قوله تعالى : ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ (١) [الشمس] أي : وضوئها ، فلا إشكال في إضافته إليها.

المبحث السابع

المعانى المجازية في سورة «النازعات»^(١)

في قوله سبحانه : ﴿فَإِنَّا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (١٣) ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ (١٤) استعارة : لأنّ المراد بالساهرة ها هنا ، على ما قال المفسرون ، والله أعلم ، الأرض .
قالوا إنما سمّيت ساهرة على مثال : عيشة راضية ، كأنه جاء على النسب : ذات السهر وهي الأرض المخوفة . أي يسهر في ليلها ، خوفا من طوارق شرّها .
وقيل أيضا : إنما سمّيت الأرض ساهرة لا تنام عن إنماء نباتها وزروعها ؛ فعملها في ذلك ليلا ، كعملها فيها نهارا .

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب : «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي ، تحقيق محمد عبد الغني حسن ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، غير مؤرخ .

سورة عبس

٨٠

المبحث الأول

أهداف سورة «عبس»^(١)

سورة «عبس» سورة مكية ، آياتها ٤ آية نزلت بعد سورة النجم وهي سورة تصحّح القيم الإنسانية ، وتضع الأسس الإسلامية لأقدار الناس وأوزانهم ، وتوّكّد أن قيمة الإنسان بعمله وسلوكه ، ومقدار اتباعه لهدى السماء ؛ قال تعالى : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَانُكُم﴾ [الحجرات / ١٣].

وقد نزلت سورة عبس في عبد الله بن أم مكتوم ، وأم مكتوم أم أبيه ، وأبواه شريح بن مالك ربيعة الرهري.

«وذلك أنه أتى رسول الله (ص) ، وعنه صناديد قريش : عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، والعباس بن عبد المطلب ، يدعوه إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم. فقال يا رسول الله أقرئني وعلّمني مما علمك الله ، وكرر ذلك وهو لا يعلم شغله بالقوم ؛ فكره رسول الله (ص) قطعه لكلامه ، وعبس وأعرض عنه ، فنزلت ؛ فكان رسول الله (ص) بعد ذلك ، يكرمه ، ويقول : إذا رأاه ، مرحباً بن عاتبني فيه ربي ، ويقول له : هل لك من حاجة؟ واستخلفه على المدينة مرتين»^(٢).

فقرات السورة

تعاتب الآيات الأولى النبي (ص) على إعراضه عن عبد الله بن أم مكتوم ، وقد جاء يطلب المهدى ،

(١). انتقى هذا الفصل من كتاب «أهداف كل سورة ومقاصدها» ، لعبد الله محمود شحاته ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩ - ١٩٨٤.

(٢). تفسير النيسابوري . ٣٦ / ٣٠.

ويلحف في طلب العلم ، [الآيات ١٦ - ١].

ويعالج المقطع الثاني جحود الإنسان ، وكفره الفاحش لربه ، وهو يذكّره بمصدر وجوده وأصل نشأته ، وتبسيير حياته ، وتولّي ربّه له في موته ونشره ، ثمّ تقصير الإنسان بعد ذلك في أمر ربّه [الآيات ١٧ - ٢٣].

والمقطع الثالث يعالج توجيه القلب البشري إلى أمسّ الأشياء به ، وهو طعامه وطعام حيوانه ، وما وراء ذلك الطعام من تدبير الله وتقديره له : [الآيات ٢٤ - ٣٢].

والمقطع الأخير يعرض الصّاحة التي يشتّد هوها ، وينهض الإنسان بها عما عداها ، وتنقسم الوجوه إلى ضاحكة مستبشرة ، وعابضة مغبّرة : [الآيات ٣٣ - ٤٢].

وتُسَكِّب السورة الإحساس بقدرة هذا الكتاب الخارقة على تغيير موازين الجاهلية ، وتصحيح القيم ، وتغيير المثل الأعلى ، فبعد أن كان احترام الإنسان لجاهه أو ماله ، أو منصبه ومركزه ، أو مظاهر سطوطه وجبروته وقوته ، أصبح المثل الأعلى في الإسلام طلب الحق والمهدى ، والتزام هدى السماء ، ومراقبة الله والتزام أوامره ، والعمل بأحكامه ، وصدق الله العظيم : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتُقَاتُكُمْ﴾ [الحجرات / ١٣]. وتبين آية أخرى أن الله جل جلاله يأمرنا بمحارم الأخلاق وينهانا عن المنكرات ، فيقول سبحانه : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعُدْلِ وَإِلَخْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَا عَنِ الْفُحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٩٠) [النحل].

مع آيات السورة

[الآياتان ١ و ٢] : قطّب الرسول (ص) وجهه وأعرض ، لأنّ الأعمى جاءه وقطع كلامه. وفي العدول عن الخطاب للغيبة التفات بلاجي ، سرّه عدم توجيه اللوم والعتاب إلى الرسول (ص). ثم التفت إلى الخطاب بعد هاتين الآيتين ، عند ما هدأت ثورة العتاب ، وبدأ التلطف.

[الآياتان ٣ و ٤] : وما يعلمك لعلّ هذا الرجل الأعمى الفقير يتظاهر ، ويتحقق منه خير كبير ، ويسرق قلبه بنور الإيمان ، فتنفعه الموعظة : ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِإِلْسَامٍ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ﴾

رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ [الزمر].

[الآيات ٥ - ٧] : أَمَّا من أَظْهَرَ الْإِسْتِغْنَاءَ عَنْكَ وَعَنْ دِينِكَ ، وَعَمَّا عَنْكَ مِنَ الْخَيْرِ وَالْإِيمَانِ ، فَأَنْتَ تَتَصَدِّيَ لَهُ ، وَتَحْفَلُ بِأَمْرِهِ ، وَأَنْتَ مُبْلَغٌ عَنِ اللَّهِ ، عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ، وَلَا يُسَمِّنُ عَلَيْكَ هَدَاهُمْ ، وَلَا يُضِيرُكَ إِعْرَاضَهُمْ.

[الآيات ٨ - ١٠] : وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَمْ مَكْتُومَ ، الَّذِي جَاءَكَ طَائِعًا مُخْتَارًا سَاعِيًّا يَخْشِيُ وَيَتَوَفَّ ، فَأَنْتَ تَتَشَاغِلُ عَنْهُ بِهُؤُلَاءِ الْأَشْرَافِ مِنْ قَرِيشٍ ؟ ثُمَّ تَتَصَاعِدُ نِسْرَةُ الْعَتَابِ لِتَبْلُغَ حَدَّ الرُّدُعِ وَالْزَّجْرِ.

[الآيات ١١ - ١٦] : (كَلَا) ، لَا يَكُنْ ذَلِكَ أَبْدًا.

إِنَّ هَدَايَةَ الْقُرْآنِ غَالِيَةٌ عَالِيَّةٌ ، فَمِنْ شَاءَ اهْتَدَى بِهَا وَتَذَكَّرَ أَحْكَامُهَا ، وَاتَّعَظَ بِهَا وَعَمِلَ بِمَوْجَبِهَا. وَهَذَا الْوَحْيُ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ ، كَرِيمٌ فِي كُلِّ اعْتِبَارٍ ، مِنْزَهٌ عَنِ النَّقْصِ وَالْبَلَالَةِ ، قَدْ دُوِنَ فِي صُحْفٍ مَكْرَمَةٍ ذَاتِ شَرْفٍ وَرَفْعَةٍ ، مَطْهَرَةٌ مِنِ النَّقَائِصِ وَالْبَلَالَاتِ ، تَنَزَّلَ بِوَاسِطَةِ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ ، وَهُمْ يَلْغُوْنَهَا لِلنَّاسِ. وَالْمَلَكُ سَفِيرٌ لِتَبْلِيغِ وَحْيِ السَّمَاوَاتِ ، وَالرَّسُولُ سَفِيرٌ لِتَبْلِيغِ الدُّعَوَةِ إِلَى النَّاسِ ، وَهُمْ كَرَامٌ أَبْرَارٌ أَطْهَارٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمْرَهُمْ وَلَا يَفْعَلُونَ مَا يَنْهَا مِنْهُمْ.

وَقَدْ بَلَّغَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ وَحْيَ السَّمَاوَاتِ ، وَغَيْرُ كَثِيرٍ مِنَ الْمُفَاهِيمِ السَّائِدَةِ ، وَجَعَلَ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدَ أَمِيرًا عَلَى جِيشٍ بِهِ أَجْلَاءَ الصَّحَابَةِ ، وَوَضَعَ فِي نُفُوسِ أَصْحَابِهِ تَقْدِيرَ النَّاسِ بِأَعْمَالِهِمْ فَقْطًا لَا بِأَحْسَابِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ ؛ يَقُولُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) : «لَوْ كَانَ سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حَذِيفَةَ حَيَا لَا سْتَخْلَفْتَهُ». وَيَقُولُ عُمَرُ أَيْضًا : «أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا وَأَعْتَقَ سَيِّدُنَا» أَيْ أَنَّ أَبَا بَكْرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَعْتَقَ بَلَالًا (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) مَؤْذِنَ الرَّسُولِ الْأَمِينِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

[الآيات ١٧ - ٢٣] : **﴿فَتَلَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾** (١٧) دُعَاءُ عَلَى الْكَافِرِ ، فَإِنَّهُ لِيُسْتَحْقَقَ الْقَتْلُ عَلَى شَدَّةِ كُفْرِهِ وَجَحْوِدَتِهِ ، وَنَكْرَانِهِ لِنَعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ ، لِمَا ذَا يَتَكَبَّرُ وَهُوَ مُخْلُوقٌ مِنْ أَصْلٍ مُتَوَاضِعٍ زَهِيدٍ ، يَسْتَمِدُ كُلَّ قِيمَةٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَنِعْمَتِهِ ، وَمِنْ تَقْدِيرِهِ وَتَدْبِيرِهِ. لَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ مِنْ نَطْفَةٍ ، فَمَرَّتِ النَّطْفَةُ بِأَطْوَارٍ كَثِيرَةٍ ، فِي بَطْنِ الْأَمْمِ ، وَمَرَّ هُوَ

بأطوار عدّة خارج بطنها ، رضيعا فطفلا فشابا فكهلا فشيخا. ثم يسر الله له سبيل المداية ، ومنحه العقل والإرادة ، ومكّنه من القدرة على الاختيار ، وعرّفه عاقبة كل عمل و نتيجته ؛ قال تعالى : ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (٢) [الإنسان] ، أي بيّنا له الطريق ومنحناه القدرة على الاختيار ، وبيّنا له سبيل الهدى والضلالة ، فإنما أن يشكر ربه ويمثل لأمره ، وإنما أن يكفر بنعمه ويختلف أمره ؛ حتى إذا انتهت حياة الإنسان سلب الله روحه ، ومنّ عليه بالموت وهو نعمة كبيرة ، ولو لا الموت لأكل الناس بعضهم ببعض ، ولضافت الأرض بمن عليها. ومن نعم الله أن شرع دفن الميت ، وحفظه في باطن الأرض ، حتى لا يترك على ظهرها للجواح والكواسر.

ومن نعم الله ، أيضا ، أن يبعث الموتى ، وينشرهم ويخرجهم من قبورهم ، لمكافأة الطاعن ومعاقبة العاصي.

عجب لـ الإنسان الحادّ ، فإنه بالرغم من النعم الظاهرة والباطنة ، التي أحاطه الله تعالى بها ، لم يمثل ما أمره به.

[الآيات ٣٣ - ٣٤] : فليتأمل الإنسان تدبير الله ، لإمداده بأسباب الحياة والنمو ، ولينظر إلى أصدق شيء إليه ، وألزم شيء له ، وهو الطعام ، كيف يسر الله الحصول عليه ؛ فقد أنزل له سبحانه المطر من السماء ، فانتفعت به الأرض ، وانشقت عنه ثمانية أنواع من النباتات هي :

- ١ . الحبّ كالحنطة والشعير والأرز.
 - ٢ . العنبر والفاكهه.
 - ٣ . القصب ، وهو ما يؤكّل من النبات رطباً وغصّاً طریقاً.
 - ٤ و ٥ . الزيتون والنخل ، وفيهما من القيمة الغذائية الشيء الكثير ، والبلح طعام الفقير وحلوى الغني ، وزاد المسافر والمقيم.
 - ٦ . بساتين ذات أشجار ضخمة مثمرة ، ذات حوائط تحيط بها ، ﴿غُلْبًا﴾ (٣٠) جمع غلباء أي ضخمة عظيمة ، ملتفة الأشجار.
 - ٧ . وفاكهه يتمتع الإنسان بأكلها ، كالتين والتّفاح والخوخ وغيرها.
 - ٨ . والأبّ ، أي مرعى الحيوان خاصة.
- تلك قصة الطعام الذي أنبته يد

القدرة ، ويسرت لذلك المطر والرياح والشمس والهواء ، وعديدا من العوامل والأسرار الخفية ، حتى قضيّة النبات ، فيتمتّع بأكله الإنسان والحيوان.

[الآيات ٤٢ . ٣٣] : فإذا جاءت القيمة التي تصح الآذان بسماع أهواها ، في ذلك اليوم يشتّد الهول ، وينشغل الإنسان بنفسه عن أقرب الناس إليه ، ويفرّ من أخيه ، وأمه وأبيه ، وزوجته وبنيه ؛ لقد اشتّد الفزع النفسي ففرّ الإنسان ممّن يفديهم بنفسه في الدار الدنيا ، وقد شغله خوف الحساب ، ومشاهد القيمة ، ومظهر البعث والحضر والجزاء ، عن كل شيء.

في ذلك اليوم ، ترى وجوها مستنيرة مشرقة ، ترجو ثواب رها ، مطمئنة بما تستشعره من رضاه عنها ؛ وترى وجوها أخرى ، يغشاها غبرة الحزن والحسرة ، ويعلوها سواد الذل والانقباض ، هؤلاء هم الذين جحدوا آيات ربهم ، ولم يؤمنوا بالله ورسله ، وانتهكوا الحرمات ، وتعلّدوا حدود الله ، فاستحقّوا كلمة العذاب.

مقاصد السورة

- ١ . عتاب الرسول (ص) على ما حذر منه مع ابن أم مكتوم الأعمى.
- ٢ . ذكر شرف القرآن ، وبيان أنه موعظة لمن عقل وتدبر.
- ٣ . إقامة الأدلة على وحدانية الله ، بخلق الإنسان ، والنظر في طعامه وشرابه.
- ٤ . أهوال يوم القيمة.
- ٥ . انقسام الناس في الآخرة إلى سعداء وأشقياء.

المبحث الثاني

ترتبط الآيات في سورة «عبس»^(١)

تاریخ نزولها و وجه تسمیتها

نزلت سورة «عبس» بعد سورة النجم ، ونزلت سورة النجم فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة عبس في ذلك التاريخ أيضاً .
وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم ، لقوله تعالى في أوّلها : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّ﴾ (١) لأن جاءه الأعمى (٢) . وتبلغ آياتها اثنتين وأربعين آية .

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة ، التسويية بين الناس في الدعوة ، وكان عبد الله بن أم مكتوم أتى النبي ﷺ (ص) وعنه صناديد قريش يدعوه إلى الإسلام ، فطلب منه أن يقرئه ويعلّمه مما علّمه الله ، فعبس وأعرض عنه لقطعه كلامه ، فنزلت هذه السورة عتابا له ، وقد انتقل فيها من عتابه إلى سياق الترهيب والتغريب ، فوافقت في هذا سياق سورة النازعات ، وهذا هو وجه المناسبة في ذكرها بعدها.

التسوية بين الناس في الدعو

الآيات [٤٢٠١]

قال الله تعالى : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ (٢) فذكر سبحانه أن الرسول (ص) عبس للأعمى ولعله ينتفع بما يعظه به ، وأنه تصدى لمن استغنى فأبطره غناه وأطغاه وليس عليه

(١). انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفي في القرآن» ، للشيخ عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب بالجمائز . المطبعة النموذجية بالحكمة الجديدة ، القاهرة ، غير مؤرخ.

شيء من أمره ، وأعرض عن سعي إليه وهو يخشى ريه ، ثمّ زجره عن العود إليه لأنّه ليس عليه إلّا أن يبلغ ويذكّر ؛ فمن شاء أن يتذكّر ذكره في صحف مكرمة ، ومن لم يشاً ذلك فلا قيمة له ، وإن بلغ في الغنى ما بلغ . ثمّ عجب ممّن كفر من أولئك الصناديد واغترّ بعنه وهو لا يدرّي أنه خلقه من نطفة قدرة ، فقدرّه ويسرّ له الخروج من الرّحم ، ثمّ أماته فأقيمه وصيّره إلى جيفة مذرة ، ثمّ إذا شاء أنشره ، وحاسبه على طغيانه وتکريه ؛ فما أحّقه أن يرتدّ عن ذلك ، وهو لما يقض شيئاً مما أمره ؛ ثمّ أمر الواحد منهم أن ينظر إلى طعامه الذي أبطره ، فإنه لم يحصل إلّا بعد أن صبّ الله المطر وشق الأرض ، فأنبت فيها حبّاً وعنباً وغيرها ، مما هو متاع لهم ولأنعامهم ؛ فإذا جاءت الصّاححة (القيامة) ، يوم يفرّ المرء من أهله الذين كان يعتزّ بهم في دنياه ، ﴿لَكُلٌّ امْرٍٰ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَانٌ يُغْنِيهِ﴾ (٣٧) ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ (٣٨) ﴿صَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ (٣٩) ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ (٤٠) ﴿تَرْهَقُهَا قَتْرَةٌ﴾ (٤١) ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكُفَّارُ الْفَحْرَةُ﴾ (٤٢) .

المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «عبس»^(١)

أقول : وجه وضعها عقب النازعات مع تأخيدهما في المقطع ، لقوله تعالى هنالك : ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الْطَّامِةُ﴾ [النازعات / ٣٤]. وقوله سبحانه هنا : ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ﴾ (٣٣). وهما من أسماء يوم القيمة^(٢).

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب : «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطى ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، دار الاعتصام ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.

(٢). لم يذكر المؤلف سر الترتيب ، ونقول : إن الطامة من الطم ، من طم البئر ، إذا غمرها ؛ وسيأتي به القيمة لأنها تطم كل شيء. والصاحة من الصح ، وهو الصوت الشديد ، وسيجيئ به لأنه بشدة صوتها يجشو لها الناس. وخصت «النازعات» بالطم لأنها قبل الصح ، فكانت «عبس» لاحقة للنازعات بطبعها. انظر (أسرار التكرار في القرآن ٢٠١).

المبحث الرابع

مكونات سورة «عبس»^(١)

١ - ﴿الْأَعْمَى﴾^(٢).

هو عبد الله بن أم مكتوم ، كما أخرجه الترمذى والحاکم عن عائشة رضي الله عنها

^(٢).

٢ - ﴿إِنَّمَا مَنِ اسْتَغْنَى﴾^(٥).

هو أمية بن خلف. أخرجه ابن أبي حاتم عن قتادة وعن مجاهد.

وأخرج من وجه آخر عن مجاهد : أنه عتبة بن ربيعة^(٣).

وأخرج من طريق العويني ، عن ابن عباس : أنه عتبة ، وأبو جهل ، والعباس بن عبد

المطلب^(٤).

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «مفہمات القرآن فی مبھمات القرآن» للستیوطی ، تحقیق إیاد خالد الطباع ، مؤسسة الرسالة ، بیروت ، غیر مؤرخ.

(٢). الترمذی (٣٢٨) وقال : حسن غریب ، والحاکم ٢ / ٥١٤ و قال : هذا حديث صحيح على شرط الشیخین ولم یخرجاه ، فقد أرسله جماعة من هشام بن عروة ، قال الذهبی : وهو الصواب.

(٣). روایة مجاهد فی «الطبری» . ٣٠ / ٣٤ جاءت بزيادة : «وشیة بن ربيعة».

(٤). إسناده ضعیف.

المبحث الخامس

لغة التنزيل في سورة «عبس»^(١)

١ . و قال تعالى : ﴿وَفَاكِهَةٌ وَأَبَابٌ﴾ (٣١).

والآب المرعى لأنه يؤب ، أي : يؤمّ وينتزع.

قال الزمخشري :^(٢)

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه سئل عن الآب فقال : أي سماء تظلني ،
وأي أرض تقليني إذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به؟

وعن عمر رضي الله عنه أنهقرأ هذه الآية فقال : كل هذا قد عرفناه ، فما الآب؟
ثم رفض عصا كانت بيده وقال : هذا لعمر الله التكليف ، وما عليك يا ابن أم عمر
أن لا تدربي ما الآب ، ثم قال : اتبعوا ما تبین لكم من هذا الكتاب ، وما لا ، فدعوه.
فإن قلت : فهذا يشبه النهي عن تتبع معاني القرآن ، والبحث عن مشكلاته. قلت :
لم يذهب إلى ذلك ، ولكنّ القوم أكبر همّتهم عاكفة على العمل ، ولكن التشاغل بشيء من
العلم لا يعمل به تكالفاً عندهم ، فأراد أن الآية مسوقة في الامتنان على الإنسان بمطعمه ،
واستدعاء شكره ، وقد علم من فحوى الآية أنّ الآب بعض ما أنبته الله للإنسان متاعا له ،
أو لأنعامه ؛ فعليك بما هو أهم ، من النهوض بالشكر لله على ما تبین لك ، ولم يشكل ،
مما عدد من نعمه ، ولا تشاغل عنه بطلب معنى الآب ، ومعرفة النبات الخاص الذي هو

(١). انتقي هذا المبحث من كتاب «من بدیع لغة التنزيل» ، لإبراهيم السامرائي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، غير مؤرخ.

(٢). الكشاف : ٤ / ٧٠٤ - ٧٠٥.

اسم له ، واكتف بالتعرف الجملية إلى أن يتبيّن لك في غير هذا الوقت .

٢ - قال تعالى : ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ﴾ (٣٣) .

وصفت النفخة بـ «الصّاحّة» مجازاً لأن الناس يصحّون لها أي : يصيّخون.

وهذا من باب أن المضاعف والأجوف من مادة واحدة ، ولعل المضاعف أصل .

المبحث السادس

المعاني اللغوية في سورة «عبس»^(١)

قال تعالى : ﴿بَأَيْدِي سَفَرَة﴾ (١٥) وواحدهم «الستافر» مثل «الكافر» و «الكفرة».
وقال سبحانه : ﴿كِرَامَ بَرَّة﴾ (١٦) وواحدهم «البار» و «البررة» جماعة «الأبرار».
وقال تعالى : ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ (١٧) معناه على وجهين : قال بعضهم :
«على التعجب» ، وقال بعضهم : «أيّ شيء أكفره؟»
قال تعالى : ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسِّرْهُ﴾ (٢٠) تقول «الطريق هداه» أي : «هداه الطريق».

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش ، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد ، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب ، بيروت ، غير مؤرخ.

المبحث السابع

لكل سؤال جواب في سورة «عبس»^(١)

إن قيل : لم قال الله تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكُرَةٌ﴾ (١١) ثم قال سبحانه وتعالى :

﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ (١٢) ، ولم يقل «ذكرها»؟

قلنا : الضمير المؤنث لآيات القرآن أو لهذه السورة ، والضمير في قوله تعالى ﴿ذَكَرَهُ﴾

(١٢) راجع إلى القرآن. وقيل راجع إلى معنى التذكرة وهو الوعظ والتذكير لا إلى لفظها.

فإن قيل : في قوله تعالى : ﴿وَفَاكِهَةٌ وَأَبَّ﴾ (٣١) روي أن عمر رضي الله تعالى عنه

قرأ هذه الآية وقال : كل هذا قد عرفناه فما الأب؟ ثم قال : هذا لعمر الله التكليف ، وما

عليك يا عمر أن لا تدربي ما الأب ، ثم قال : اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب ، وما لا

، فدعوه ؛ وهذا شبيه النهي عن تتبع معاني القرآن والبحث عن مشكلاته؟

قلنا : لم يرد بقوله ما ذكرت ، ولكن الصحابة رضي الله عنهم كانت أكثر همهم

عاكفة على العمل ؛ وكان الاشتغال بعلم لا يعمل به تكالفاً عندهم ؛ فأراد أن الآية مسوقة

في الامتنان على الإنسان بمطعمه ، واستدعاء شكره ، وقد علم من فحوى الآية أن الأب

بعض ما أنبته الله تعالى للإنسان متاعاً له ولأتعامه ، فكانه قال : عليك بما هو الأهم ،

فالأهم ، وهو الشكر على ما تبين لك ولم يشكل ، مما عدد من نعمه تعالى ، ولا تنشغل

عنه بطلب معنى الأب معرفة النبات الخاص ، وأكتف بمعرفته منه جملة إلى

(١). انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن الجيد وأجوبتها» ، لحمد بن أبي بكر الرازي ، مكتبة البابي الحلي ، القاهرة ، غير مؤرخ.

أن يتبعن لك في وقت آخر. وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، أنه سُئل عن الأَب فقال : أَيْ سِمَاه تَظَلَّنِي وَأَيْ أَرْض تَقْلِنِي إِذَا قَلَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ بِمَا لَا عِلْمَ لِي بِهِ . وأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ قَالُوا : الْأَبْ كُلُّ مَا تَرْعَاهُ الْبَهَائِمُ.

سورة التكوير

٨١

المبحث الأول

أهداف سورة «التكوير»^(١)

سورة التكوير سورة مكية. آياتها ٢٩ آية نزلت بعد سورة المسد ، وتشتمل على ثروة ضخمة من المشاهد ، حينما تنتهي الحياة ، ويختلط نظامها ، وينفرط عقد الكون ، وتتناثر أجزاءه ، وينذهب عنه التماسك الموزون ، والحركة المضبوطة ، والصنعة المتينة. والسورة تشتمل على مقطعين اثنين ، تعالج في كل مقطع منهما تقرير حقيقة ضخمة من حقائق العقيدة.

الأولى : حقيقة القيامة ، وما يصاحبها من انقلاب كونيٌّ هائل كامل ، يشمل الشمس والنجوم ، والجبال والبحار ، والأرض والسماء ، والأنعام والوحش ، كما يشمل بني الإنسان.

والثانية : حقيقة الوحي ، وما يتعلّق به من صفة الملك الذي يحمله ، وصفة النبي (ص) الذي يتلقّاه ، ثمّ شأن المخاطبين بهذا الوحي معه ، ومع المشيئة الكبرى التي فطرتهم ، وأنزلت لهم الوحي.

مع آيات السورة

بدأ سبحانه هذه السورة الكريمة بذكر يوم القيمة ، وما يكون فيه من أحداث هائلة ؛ وحينما تقع هذه الأحداث تعلم كل نفس ما قدّمت من عمل ، خيراً كان أو شراً.

[الآية ١] : إذا كورت الشمس وسقطت وتدhort ، وانطفأت شعلتها ، وانكمشت ألسنتها الملتهبة ، وذهب ضوؤها ، واختلط نظام الكون.

(١). انتقى هذا الفصل من كتاب «أهداف كل سورة ومقاصدها» ، لعبد الله محمود شحاته ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩ - ١٩٨٤.

[الآية ٢] : وإذا تناشرت النجوم ، وأظلم نورها ، وذهب لألاؤها.

[الآية ٣] : وإذا انفصلت الجبال عن الأرض ، وسارت في الجو كما يسير السحاب ، وتبع ذلك نسفها وبسّها وتذرّيتها في الهواء ، كما جاء في سور أخرى : ﴿وَبِسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَسْقُفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ (٥٠) [طه].

[الآية ٤] : وإذا تركت العشار وأهملت ، و (العشار) : هي النوق الحبالي في شهرها العاشر ، وهي أجود ما يملّكه العربي وأثمنه ؛ فإذا انشغل الناس عنها بأهوال القيامة عطلت وأهملت.

[الآية ٥] : وإذا اجتمعت الوحوش الكاسرة ، ذليلة هادئة قد نسيت غريزتها ، مضت هائمة على وجوهها لا تأوي إلى جحورها ، ولا تنطلق وراء فرائسها ، وقد حشرها هول الموقف ذاهلة متغيرة الطباع ، فكيف بالناس في ذلك اليوم العصيب؟

[الآية ٦] : وإذا التهبت البحار وامتلأت نارا ، أو فجرت الزلازل ما بينها حتى اختلطت وعادت بحرا واحدا. [الآية ٧] : وإذا افترنت الأرواح بأبدانها ، أو إذا قرن كل شبيه بشبيهه ، وضممت كل جماعة من الأرواح المتتجانسة في مجموعة.

[الآياتان ٨ و ٩] : وإذا سئلت المؤدية بين يدي قاتلها عن الذنب الذي قتلت به ، ليكون جوابها أشدّ وقعا على الوائد ، فإنّها ستجيب أنها قتلت بلا ذنب جنته. وكان الوأد عند العرب الجاهليين يجري بصورة قاسية ، إذ كانت تدفن البنت حية ، أو تجلس المرأة عند المخاض فوق بئر محفورة ؛ فإذا كان المولود بنتا ، رمت بها وردمتها ؛ وإن كان ذكرا ، قامت به معها ؛ وبعدهم كان إذا عزم على استبقاء ابنته ، فإنه يمسكها إلى أن تقدر على الرعي ، ثم يلبسها جبة من صوف أو شعر ، ويرسلها إلى الbadية ترعى له إبله ؛ فلما جاء الإسلام سما المرأة وكرامها ، وليدة ، وناشئة ، وزوجة ، وأمّا. حرم وأد البنات ، وشفع ذلك بالتشنيع على من يفعله ، قال تعالى : ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْنَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٥٨) يتوارى من القوّم من

سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ أَيْمَسِكُهُ عَلَى هُونِ أَمْ يَدْسُهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ [النحل]
[الآية ١٠] : وإذا نشرت صحف الأعمال ، وكشفت وعرفت ، فلم تعد مستورة بل صارت
منشورة مشهورة.

[الآية ١١] : وإذا السماء كشطت وأزيلت ، فلم يبق غطاء ولا سماء.
[الآياتان ١٢ و ١٣] : وإذا أوقدت النار ، واشتد لهيبها ، ووهجها وحرارتها ؛ وإذا
أدنىت الجنة من المتقين ، تكريماً وإيناساً لهم.

[الآية ١٤] : عند ما تقع هذه الأحداث المائلة في كيان الكون ، وفي أحوال الأحياء
والأشياء ، تعلم كل نفس ما قدمت من خير أو شر ، وما تزودت به لهذا اليوم وما حملت
معها للعرض ، وما أحضرت للحساب. وهي لا تستطيع أن تغير فيه ولا أن تبدل ، فالدنيا
عمل ولا حساب ، والآخرة حساب ولا عمل.

وهنا ينتهي المقطع الأول من السورة ، وقد امتلأ الحس ، وفاض ، بمشاهد اليوم الذي
يحصل فيه هذا الانقلاب.

المقطع الثاني

بعد أن ذكرت السورة من أحوال القيامة وأهواها ما ذكرت ، أتبعت ذلك ببيان أن ما
يحدثهم به الرسول (ص) ، هو القرآن الذي أنزل عليه ؛ وهو آيات بيّنات من المدى ؛ وأنّ
ما رميتموه به من المعایب كقولكم : إنه ساحر أو مجنون ، أو كذاب ، أو شاعر ، ما هو إلاّ
محض افتراء.

[الآياتان ١٥ و ١٦] : يقسم الله تعالى قسماً مؤكدًا بالكتاب ، **﴿بِالْخَنَّسِ﴾** (١٥)
: التي تخنس أي ترجع في دورتها الفلكية ، **﴿الْجَوَارُ الْكُنَّسِ﴾** (١٦) : التي تجري وتعود إلى
أماكنها.

[الآية ١٧] : والليل إذا أدب وولى ، وزالت ظلمته ، أو إذا أقبل ظلامه.
[الآية ١٨] : والصبح إذا أسرف ، وظهر نوره ، وفي ذلك بشري للأنفس ، بحياة
جديدة في نهار جديد ؛ ومن الجمال في هذا التعبير إضفاء الحياة على النهار والوليد ؛ فإذا
الصبح حي يتنفس.

«وأكاد اجزم أن اللغة العربية لا تحتوي نظيراً لهذا التعبير عن الصبح : رؤية الفجر
تکاد تشعر القلب المفتتح

أنه بالفعل يتنفس ، ثم يجيء هذا التعبير ، فيصوّر هذه الحقيقة التي يشعر بها»^(١).

【الآيات ١٩ - ٢٢】 : وجواب القسم : أنّ هذا القرآن ، وهذا الوصف لليوم الآخر إنما هو قول رسول كريم ، وهو جبريل (ع) الذي حمل هذا القول وأبلغه ، فصار قوله باعتبار تبليغه. ويدرك صفة هذا الرسول الذي اختير لحمل هذا القول وإبلاغه ، فينعته بخمسة أوصاف هي :

- ١ - ﴿كَرِيمٌ﴾ (١٩) أي عزيز على ربه.
 - ٢ - ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ [الآية ٢٠] في الحفظ والبعد عن النسيان والخطأ.
 - ٣ - ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٌ﴾ (٢٠) أي ذي جاه ومنزلة عند ربّه.
 - ٤ - ﴿مُطَاعٌ ثُمَّ﴾ [الآية ٢١] أي هناك في الملاأ الأعلى ، عند الله في ملائكته المقربين ؛ فهم يصدرون عن أمره ويرجعون اليه.
 - ٥ - ﴿أَمِينٌ﴾ (٢١) على وحي ربه ورسالته ، قد عصمه تعالى من الخيانة فيما يأمره به ، وحبيبه الزلل فيما يقوم به من الأعمال. هذه صفة الرسول المبلغ وهو جبريل عليه السلام ، أمّا الرسول الذي حمله إليكم وخاطبكم بالقرآن ، فهو صاحبكم الذي عرفتموه حق المعرفة عمرا طويلا ، وعرفتم عنه الصدق والأمانة ، وليس مجحونا كما تدعون.
- 【الآية ٢٣】 : ولقد رأى سيدنا محمد ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ، جبريل عليه السلام ، وهو بالأفق الأعلى ، عند سدرة المنتهى بالأفق المبين ، أي رأه رؤية واضحة عند الأفق الواضح.
- 【الآية ٢٤】 : وليس محمد (ص) بالمتهم على القرآن ، وما فيه من قصص وأنباء وأحكام ؛ بل هو ثقة أمين لا يأتي به من عند نفسه ، ولا يبدّل منه حرفاً بحرف ، ولا معنى بمعنى ، إذ لم يعرف عنه الكذب في ماضي حياته ، فهو غير متّهم في ما يحكى عن رؤية جبريل (ع) ، وسماع الشرائع منه.
- 【الآية ٢٥】 : وليس القرآن قول شيطان ، ألقاء على لسان محمد (ص) حين خالط عقله كما تزعمون ، فالشياطين لا توحى بهذا النهج القويم.

(١). سيد قطب ، في ظلال القرآن / ٣٠ - ٤٨٢.

[الآية ٢٦] : ثم يسألكم مستنثرا : ﴿فَإِنْ تَذَهَّبُونَ﴾ (٢٦)؟ أي : فأي سبيل تسلكونها ، وقد سدّت عليكم السبيل ، وأحاط بكم الحق من جميع جوانبكم ، وبطلت مفترياتكم فلم يبق لكم سبيل تستطيعون الهرب منها.

[الآية ٢٧] : ثم بين حقيقة القرآن ، فقال : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٢٧) ، أي ليس القرآن إلّا عظة للخلق كافة ، يتذكّرون بها ما غرز في طباعهم من حبّ الخير ، وهو ذكر يستحضرهم حقيقة نشأتهم ، وحقيقة وجودهم ، وحقيقة الكون من حولهم ، وهو أعظم عظة للعالمين جيّعا.

[الآياتان ٢٨ و ٢٩] : وإنّ على مشيئة المكلّف تتوقف الهداية ، فمن أراد الحق واتّجه بقلبه إلى الطريق القويم ، هداه الله إليه ويسّر له أمره ، وأمده بالعون والتوفيق. وبذلك يستقرّ في قلب كل إنسان ، أنّ مشيئته طرف وخيط ، راجع في أصله إلى مشيئة الله الكبرى ، وإرادته المطلقة ، فلينجو كل إنسان إلى ساحة مولاه ، وإلى عنایة خالقه ، فعنده سبحانه العون والتوفيق ، والهدى والسداد : ﴿وَمَا تَشَاؤْنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٩).

مواضيعات السورة

١ . وصف أحوال القيمة.
٢ . القسم بالنجوم وبالليل وبالصبح ، على أنّ القرآن منزل من عند الله ، بواسطة ملائكته.

- ٣ . إثبات نبوة محمد (ص).
- ٤ . بيان أنّ القرآن عظة وذكر ، لمن أراد الهداية.
- ٥ . مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله ، وليس لها استقلال بالعمل.

المبحث الثاني

الرابط الآيات في سورة «التكوير»^(١)

تاریخ نزولها و وجه تسمیتها

نزلت سورة التكوير بعد سورة المسد ، ونزلت سورة المسد بعد سورة الفاتحة ، ونزلت سورة الفاتحة فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة التكوير في ذلك التاريخ أيضا.

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم ، لقوله تعالى في أولها : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كَوَرَتْ﴾

(١) وتبلغ آياتها تسعًا وعشرين آية.

الغرض منها وتربيتها

الغرض من هذه السورة : إثبات الحساب على الأعمال ، وما يتبع هذا من ثواب وعقاب ؛ وبهذا يكون سياقها أيضا في الترهيب والترغيب ، ويكون ذكرها بعد السورة السابقة ، لموافقتها لها في هذا السياق .

إثبات الحساب على الأعمال

الآيات [٢٩ . ١]

ذكر تعالى أنه إذا حصل تكوير الشمس ، وما ذكره بعد التكوير ما يكون يوم القيمة ، تعلم كل نفس ما أحضرت من خير أو شرّ ، فتحاسب عليه وهو حاضر أمامها ؛ ثم أقسم سبحانه بالنجوم الخنس وما ذكر معها ، على أن أمر هذا الحساب قول رسول كريم هو «جبريل» (ع) ؛ وذكر أن أصحابهم محمدًا (ص) ليس بمحجون ،

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «النظم الفقيه في القرآن» ، للشيخ عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب بالجمائز . المطبعة النموذجية بالحكمة الجديدة ، القاهرة ، غير مؤثر.

وأنه رأى «جبريل» بالأفق المبين ، وأنه غير متّهم في ما أخبرهم به من ذلك الحساب ، وأن ما أخبرهم به منه ليس بقول شيطان رجيم ، فأين يذهبون مع هذا كله عنه ؟ ثم ذكر سبحانه أنّ هذا ليس إلّا تذكرة وهدایة لمن شاء منهم أن يستقيم : ﴿وَمَا تَشاؤنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٩).

المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «التكوير»

(١) أقول : لما ذكر في عبس : ﴿فِإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ (٣٣) يَوْمَ يَقِيرُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ (٣٤) ، ذكر يوم القيمة كأنه رأي العين. وفي الحديث : «من سره أن ينظر إلى يوم القيمة كأنه رأي العين فليقرأ : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوَرَتْ﴾ (١) و ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ (١) [الانفطار]. و ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ (١) [الانشقاق] (٢).

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب : «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطى ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، دار الاعتصام ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.

(٢). أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢ / ٧٢ ، والترمذى في التفسير ٩ / ٢٥٢ ، ٢٥٣ بتحفة الأحوذى.

المبحث الرابع

مكونات سورة «التكوير»^(١)

١ - ﴿بِالْخَنْسِ﴾ (١٥) ﴿الْجُوَارِ الْكُنْسِ﴾ (١٦). أخرج ابن أبي حاتم عن علي بن أبي

طالب (ع) قال :

هي خمسة أنجم : زحل ، وعطارد ، والمشتري ، ووهـرام^(٢) ، والزهرة ؛ ليس في الكواكب شيء يقطع المجرة غيرها.

وأخرج عن ابن مسعود قال : هي بقر الوحش. وعن سعيد بن جبير قال : هي الظباء

^(٣).

٢ - ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (١٩).

قال الضحاك ، والربيع ، والسدّي ، وغيرهم : جبريل (ع) أخرجه ابن أبي حاتم^(٤).

وقال آخرون : هو محمد (ص).

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «مفہمات القرآن فی مبھمات القرآن» للستیوطی ، تحقیق إیاد خالد الطباع ، مؤسسة الرسالة ، بیروت ، غیر مؤرخ.

(٢). «تاج العروس» ٨ / ٢٠٨ ، وهو اسم للمربیخ.

(٣). قال ابن جریر الطبری في «تفسیره» ٣٠ / ٤٩ : وأول الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله. تعالى ذكره ، أقسم بأشياء تخنس أحياناً. أي تغییب . وتحرجي أحياناً وتکنس أخرى ، وکتوسها أن تأوي في مکانسها ، والمکانس عند العرب : هي الموضع التي تأوي إليها بقر الوحش والظباء ، واحدتها مکنس وكناس». ثم قال أيضاً : «وغير منکر أن يستعار ذلك في الموضع التي تكون بها النجوم من السماء ؛ فإذا كان ذلك كذلك ، ولم يكن في الآية دلالة على أن المراد بذلك النجوم دون البقر ، ولا البقر دون الظباء ، فالصواب أن يعم بذلك كل ما كانت صفتھ المخوس أحياناً ، والجري أخرى ، والکتوس بأنات على ما وصف ، جل ثناؤه ، من صفتھا.

(٤). أخرجه الطبری في «تفسیره» ٣٠ / ٥١ عن قتادة.

المبحث الخامس

لغة التنزيل في سورة «التكوير»^(١)

١ . و قال تعالى : ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجْرَتْ﴾ (٦).

و قرئ بالتحفيف : سجرت ، وهو من سجر التنور إذا ملأته حطبا ، والمعنى : وإذا البحار ملئت ، وفجّر بعضها إلى بعض ، حتى تعود بحرا واحدا.

٢ . و قال تعالى : ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ (١١).

وقرأ ابن مسعود : قشطت ، واعتقاب الكاف والقاف كثير. والمعنى كشفت وأزيلت.

أقول : والفعل مما نعرف الآن في العامية الدارجة ، وليس في الفصيحة المعاصرة.

٣ . و قال تعالى : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَعَسَ﴾ (١٧).

وعسعس الليل ، وسعسع ، إذا أدبر.

(١) . انتقى هذا المبحث من كتاب «من بديع لغة التنزيل» ، لإبراهيم السامرائي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، غير مؤرخ.

المبحث السادس

المعانى اللغوية في سورة «التكوير»^(١)

قال تعالى : ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ (٤) ، واحدتها «العشراء» مثل «النفساء» و «النفاس» للجميع. قال الشاعر (٢) :

من الرجل ، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد المائتين] :

رب شریب لک ذی حساس ریان یمشی مشیه النفاس
ويقال : «النفس». وقال تعالى : ﴿وَإِذَا الْمُؤْدَةُ سُئِلَتْ﴾ (٨) «وأده» «يأده»
«وأدا» مثل «وعده» «يعده» « وعدا» العین نحو الهمزة.

وقال تعالى : ﴿سُئَلَتْ﴾ (٨) يأي ذنب قُتِلَتْ (٩) وقرأ بعضهم (سألت) (١٠) هي .

وقال تعالى : ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ (١٢) لأنّ حرّها شدّد عليهم. وقرأ

(١). انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش ، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد ، مكتبة النهضة العربية وعلم الكتب ، بيروت ، غير مؤرخ.

(٢). لم تفدي المراجع شيئاً عن القائل، أمّا الرجز فجاء الم crimson الأول في المخصص ١١ / ٩٨ وحده ، وجاء مع م crimson آخر شاهد فيه هو : شرایه کالمخزی في الموسي . في الصحاح واللسان «حسن» واللسان والتاج «شرب» .

(٣). في الطبرى / ٣٠ نسبت إلى ابن الضحى (مسلم بن صبيح) وفي الشواد ١٦٩ إلى الإمام علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس (رضي الله عنهم) وغيرهما عشرة من أصحاب رسول الله (ص)؛ وفي الجامع / ١٩ إلى الصّحّاك ، وابن الصّحّاك ، عن جابر بن زيد ، وأبي صالح ؛ وفي البحر ٨ / ٤٣٢ إلى الإمام علي بن أبي طالب ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وجابر بن زيد ، وأبي الضحى ، ومجالد ، وأبي الريبع بن خيثم ، وابن

بعضهم^(١) سُعْرَتْ^(٢) (١٢) خفيفة (سُعْرَتْ)^(٢).

وقال تعالى : **الْجَوَارِ الْكُنْسِ**^(٦) (٦) فواحدها «كَانَس» والجمع «كَنْس» كما تقول : «عاطل» و «عطل».

وقال تعالى : **وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَيْنِ**^(٣) (٢٤) : «أَيْ : بِبَخِيلٍ» وقرأ بعضهم (بظنين)^(٤) أَيْ : بِمَتَّهُمْ لَأَنْ بعْضَ الْعَرَبِ يَقُولُ «ظَنَنْتُ زِيدًا» ف «هُوَ ظَنِينٌ» أَيْ : اهْمَمْتَه ف «هُوَ مَتَّهُمْ».

وقرأ بعضهم **سُجْرَتْ**^(٥) (٥) وخفّفها بعضهم^(٦) ، واحتاج ب **وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ**^(٧) (٦) [الطور] والوجه التثليل لأن ذلك إذا كسر جاء على هذا المثال ؛ يقال «قطّعوا» و«قتلوا» ولا يقال للواحد «قطع» يعني يده ولا «قتل».

(١). نسبت هذه القراءة في معاني القرآن ٣ / ٢٤١ إلى غير الأعمش وأصحابه ، وفي الطبرى ٣٠ / ٧٣ إلى عامة قراء المدينة ، وفي السبعة ٦٧٣ إلى نافع ، وابن عمر ، وحفص ، عن عاصم ؛ وكذلك في البحر ٨ / ٤٣٤ ، وفي الكشف ٢ / ٣٦٣ ، والتيسير ٢٢٠ ، إلى نافع وحفص وابن ذكوان ، وفي الجامع ١٩ / ٢٢٥ أبدل بحفص رويسا.

(٢). نسبت في معاني القرآن ٣ / ٢٤١ إلى الأعمش وأصحابه ؛ وفي الطبرى ٣٠ / ٧٣ إلى عامة قراء الكوفة ؛ وفي السبعة ٦٧٣ إلى ابن كثير ، وأبي عمرو وحمزة ، والكسائي ، وأبي بكر ، عن عاصم ؛ وفي الكشف ٢ / ٣٦٣ ، والتيسير ٢٢٠ ، إلى غير نافع ، وحفص ، وابن ذكوان ؛ وفي البحر ٨ / ٤٣٤ إلى الإمام علي ، والسابة ما عدا نافعاً وابن عامر وحفضا.

(٣). نسبت في معاني القرآن ٣ / ٢٤٢ إلى عاصم ، وأهل الحجاز ، وزيد بن ثابت ؛ وفي الطبرى ٣٠ / ٨١ إلى عامة قراء المدينة والكوفة ؛ وفي السبعة ٦٧٣ إلى ابن مجاهد ، ونافع ، وعاصم ، وابن عامر ، وحمزة ؛ وفي الكشف ٢ / ٣٦٤ إلى غير ابن كثير ، وأبي عمرو ، والكسائي ؛ وكذلك في التيسير ٢٢٠ وفي البحر ٨ / ٤٣٥ إلى عثمان ، وابن عباس ، والحسن ، وأبي رجاء ، والأعرج ، وأبي جعفر ، وشيبة.

(٤). نسبت في معاني القرآن ٣ / ٢٤٢ إلى زرين بن حبيش ، وفي الطبرى ٣٠ / ٨١ إلى بعض المكيين ، وبعض البصريين ؛ وفي السبعة ٦٧٣ ، والكشف ٢ / ٣٦٤ ، والتيسير ٢٢٠ ، والجامع ١٩ / ٢٤٢ إلى ابن كثير وأبي عمرو والكسائي ؛ وفي البحر ٨ / ٤٣٥ إلى عبد الله ، وابن عباس ، وزيد بن ثابت ، وابن عمر ، وابن الزبير ، وعائشة ، وعمر بن عبد العزير ، وابن حمير ، وعروة ، وهشام بن جندب ، ومجاهد وغيرهم من السبعة.

(٥). نسبتها الطبرى ٣٠ / ٦٩ إلى عامة قراء المدينة والكوفة ، ونسبت في السبعة ٦٧٣ إلى ابن عامر ، ونافع ، وحفص عن عاصم ، وأبي بكر عن عاصم ، وحمزة ، والكسائي ؛ وفي الكشف ٢ / ٣٦٣ ، والتيسير ٢٢٠ إلى غير ابن كثير ، وأبي عمرو ؛ وفي البحر ٨ / ٤٣٢ إلى السبعة ، عدا ابن كثير ، وأبي عمرو.

(٦). في الطبرى ٣٠ / ٦٩ إلى بعض قراء البصرة ، وفي السبعة ، والكشف ٢ / ٣٦٣ ، والتيسير ٢٢٠ ، والبحر ٨ / ٤٣٢ إلى ابن كثير ، وأبي عمرو.

المبحث السابع

لكل سؤال جواب في سورة «التكوير»^(١)

إن قيل : لم قال الله تعالى : ﴿وَإِذَا الْمُؤْدُدُهُ سُئِلَتْ﴾ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ فُتِلَتْ﴾ (٩)

والسؤال إنما يحسن للقاتل لا للمقتول؟

قلنا : إنما سؤالها لتبكيت قاتلها ، وتبينيه بما تقوله من الجواب ، فإذاً تقول : قلت
بغير ذنب ؛ ونظيره في التبكيت والتبيين قوله تعالى لعيسى عليه السلام : ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ
أَنَّكُمْ تَخْذُلُونِ﴾ [المائدة / ١١٦] حتى قال ، كما ورد في التنزيل : ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ
أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍ﴾ [المائدة ١١٦].

فإن قيل : لم قال الله تعالى : ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَخْضَرَتْ﴾ (١٤) فأثبت العلم لنفس
واحدة ، مع أن كل نفس تعلم ما أحضرت يوم القيمة ، بدليل قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ
نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضًا﴾ [آل عمران ٣٠]

قلنا : هذا مما أريد به عكس مدلوله ، ومثله كثير في كلام الله تعالى وكلام العرب ،
كقوله تعالى : ﴿رُبَّمَا يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ (٢) فإن رب هنا يعنيكم للتكتير
، وقوله تعالى حكاية عن موسى (ع) لقومه : ﴿وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف
/ ٥] ؛ وقول الشاعر :

قد أترك القرن مصفرًا أنامله كأن أثوابه مجت بفرصاد^(٢)

(١). انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها» ، لحمد بن أبي بكر الرازي ، مكتبة البابي
الحلبي ، القاهرة ، غير مؤرخ.

(٢). الفracas : ثمر التوت الأحمر.

المبحث الثامن

المعاني المجازية في سورة «التكوير»^(١)

قوله تعالى : ﴿وَإِذَا الْمُؤْدَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ فُتِنَتْ﴾ (٩) استعارة. والمراد ، والله أعلم ، أنها سئلت ، لا لاستخراج الجواب منها ، ولكن لاستخراج الجواب من قاتلها. ويكون ذلك على جهة التوبيخ للقاتل إذ قتل من لا يعرب عن نفسه ، ولم يأت ذنباً يؤخذ بجرينته. وقيل معنى سئلت أي طلب بدمها ، كما يقول القائل : سألت فلاناً حقّي عليه ، أي طالبته به.

وإنما سميت مؤودة للثقل الذي يلقى عليها من التراب ، وتقول : آدني هذا الأمر أي أثقلني. ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَا يَؤْدُه حَفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة / ١٥٥] أي لا يشله ذلك ، كما يشل أحدنا في الشاهد حفظ المتشعبات وضبط المنتشرات.

وفي قوله سبحانه : ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالْحُنَسِ (١٥) الْجُحْوارُ الْكُنَّس﴾ (١٦) استعاراتان ، فهما جميا في صفة النجوم. فأما الحنس فالمراد بها التي تخنس نهاراً ، وتطلع ليلاً. والحنس جمع خانس ، وهو الذي يقع ويستسرّ ، ويختفي ويستتر. وأما الكنس فجمع كانس ، وهو أيضاً المواري المستخفى ، مشبهها بانضمام الوحشية إلى كناسها ، وهو الموضع الذي تأوي إليه من ظلال شجر ، وألفاف ثمر ، وجمعيه كنس.

فشبه سبحانه انقباع النجوم في بروجها ، بمواري الوحش في كنسها.

وقوله تعالى : ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ (١٨)

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب : «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي ، تحقيق محمد عبد الغني حسن ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، غير مؤرخ.

وهذه من الاستعارات العجيبة. والتنفس ها هنا عبارة عن خروج ضوء الصبح من عموم غسل الليل. فكأنه متنفس من كرب ، أو متزوج من هم. ومن ذلك قوله : قد نفّس عن فلان الخناق. أي انجلى كربه ، وانفسح قلبه. وقد يجوز أن يكون معنى ﴿إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أي إذا انشقّ وانصعد. من قوله تنفس الإناء إذا انشقّ ، وتنفست القوس إذا انصعدت. وهذا التأويل يخرج اللفظ من باب الاستعارة. وقد استقصينا الكلام على هذا المعنى ، في كتابنا الكبير عند موضع اقتضى ذكره.

سورة الانفطار

٨٢

المبحث الأول

أهداف سورة «الانفطار»^(١)

سورة «الانفطار» سورة مكية ، وآياتها ١٩ ، نزلت بعد «النازعات». وقد بدأت سورة «الانفطار» ، مثل سورة «التكوير» ، بالحديث عن أهوال القيمة ، لكنّها تحدثت عنها بأسلوب مختصر ، وإيقاع هادئ عميق ، ويمكن تقسيم السورة إلى ثلاث فقرات : الفقرة الأولى من بداية السورة إلى الآية الخامسة : وتحدّث عن انفطار السماء ، وانتشار الكواكب ، وتفسير البحار ، وبعشرة القبور ؛ كحالات مصاحبة لعلم كل نفس بما قدّمت وأحّرت ، في ذلك اليوم الخظير.

والفقرة الثانية من الآية ٦ إلى الآية ٨ : وتببدأ بلمسة العتاب المبطنة بالوعيد ، لهذا الإنسان الذي يتلّقى من ربه فيوض النعمة في ذاته وخلقه ، ولكنّه لا يعرف لنعمة حقّها ، لا يعرف لربّه قدره ، ولا يشكّره على الفضل والنعمة والكرامة.

والفقرة الثالثة من الآية ٩ إلى الآية ١٩ : تقرّر علة هذا الجحود والنكران ، فهي التكذيب بالدين ، أي بالحساب ، وعن هذا التكذيب ينشأ كل سوء وكل جحود ؛ ومن ثم تؤكّد هذا الحساب توكيده ، وتؤكّد عاقبته وجزاءه المحتوم ، وتصوّر ضخامة يوم الحساب وهو له ، وتجزّد النفوس من كل حول فيه ، وتفرّد الله سبحانه بأمره الجليل.

مع آيات السورة

تبدأ السورة بتصوير نهاية العالم

(١). انتقى هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها» ، لعبد الله محمود شحاته ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩ - ١٩٨٤.

واختلال نظامه ، وانفراط عقده ، ويتمثل ذلك في أمرین علويین وأمرین سفلیین. أمّا الأمران العلويان ، فهما انفطار السماء وانتشار الكواكب ؛ وأمّا الأمران السفليان ، فهما تفجير البحار وبعثرة القبور.

[الآية ١] : إذا انشقت السماء وتغير نظامها ، فلم يبق نظام الكواكب على ما نرى ، وهذا عند خراب العالم بأسره ، قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْعَمَامِ وَتُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ (٢٥) (الملک يَوْمَئِذٍ الْحُقُوقُ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ (٢٦) [الفرقان].

[الآية ٢] : وفي هذا اليوم تساقط الكواكب وتتفرق ﴿وَإِذَا الْكَوَافِكَ انتَشَرْتُ﴾ (٢) ، أي تساقطت متفرقة ، والكواكب تجري الآن في أفلاتها بسرعات هائلة ، وهي مسكة في داخل مداراتها لا تبعدها ، فإذا انشقت السماء تبع ذلك سقوط الكواكب وانتشارها ، وذهابها في الفضاء بدوا ، كما تذهب الذرة التي تنفلت من عقالها.

[الآية ٣] : وفي هذا اليوم تزول الحواجز بين البحار ، فيختلط العذاب بالملح ، وتغمر البحار اليابسة ، وتطغى على الأنهار ، كما يحتمل أن يكون تفجيرها تحويل مائتها إلى عنصريه : الأوكسجين والميدروجين.

[الآية ٤] : ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثَرْتُ﴾ (٤) أي أثيرت وقلب أعلاها أسفلها ، وباطنها ظاهرها ، ليخرج من فيها من الموتى أحيا للحساب والجزاء.

[الآية ٥] : عند حدوث كل هذه الظواهر ، تعلم كل نفس ما قدّمت من الطاعات ، وما أحرّت من الميراث.

[الآيات ٨ . ٦] : ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (٦) (الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ (٧) أي شيء خدعك حتى ضيّعت ما أوجب عليك ربك ، وصرت تقصر في حُّقه ، وتنهالون في أمره ، ويسوء أدبك في جانبه ، وهو ربك الكريم الذي أغدق عليك من كرمه وفضله وبره ، فخلقك سوياً ، معندي القامة ، متناسب للخلق ، من غير تفاوت فيه ، «فلم يجعل إحدى اليدين أطول ، ولا إحدى العينين أوسع ، ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضها أسود» ^(١).

﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شاءَ رَكَبَكَ﴾ (٨) أي

(١). تفسير النسفي ٤ / ٢٥٣.

رَبِّكَ في صورة هي من أتعجب الصور وأتقنها وأحكمها ، وقد كان قادراً أن يربّك في أيّ صورة أخرى يشاؤها ، فاختار لك هذه الصورة السوية المعتمدة الجميلة.

وإنّ الإنسان مخلوق جميل التكوين ، سويّ الخلق ، معتمد التصميم ؛ وإنّ عجائب الإبداع في خلقه ، لأضخم من إدراكه هو ، وأتعجب من كل ما يراه حوله ؛ وأنّ الجمال والاعتدال ليظهر في تكوينه الجنسي ، وفي تكوينه العقلي ، وفي تكوينه الروحي سواء ، وهي تناسق في كيانه بجمال واسطوة.

وهناك مؤلفات كاملة في وصف كمال التكوين الإنساني العضوي ، ودفقة وإحكامه ؛ وتوّجّد جلال القدرة المبدعة ، التي أبدعت خلق الإنسان في أحسن تقويم ، ويسرت خلقه من نطفة ثمّ من مضغة ، ثمّ سوتة خلقاً كاماً ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون / ١٤].

«وهذه الأجهزة العائمة لتكوين الإنسان الجنسي .. الجهاز العضوي ، والجهاز العضلي ، والجهاز الجلدي ، والجهاز المضمي ، والجهاز الدموي ، والجهاز التنفسى ، والجهاز التناسلي ، والجهاز المفاوى ، والجهاز العصبي ، والجهاز البولى ، وأجهزة الذوق والشمّ والسمع والبصر ؛ كلّ منها عجيبة ، لا تقاس إليها كل العجائب الصناعية ، التي يقف الإنسان مدھوشًا أمامها ، وينسى عجائب ذاته ، وهي أضخم وأعمق وأدق بما لا يقاس» ^(١).

وتقول مجلة العلوم الإنجليزية : «إنّ يد الإنسان في مقدمة العجائب الطبيعية الفذة ، وإنّه من الصعب جدًا ، بل من المستحيل أن تبتكر آلة تضارع اليد البشرية ، من حيث البساطة والقدرة وسرعة التكيف ، فحينما ت يريد قراءة كتاب تتناوله بيده ، ثم تثبته في الوضع الملائم للقراءة ، وهذه اليد هي التي تصحح وضعه تلقائياً ، وحينما تقلب إحدى صفحاته تضع أصابعك تحت الورقة ، وتضغط عليها بالدرجة التي تقلبها بها ، ثم يزول الضغط بقلب الورقة واليد تمسك القلم وتكتب به ، وتستعمل كافة الآلات التي تلزم الإنسان من ملعقة إلى السكّين ، إلى آلة

(١). في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب / ٣٠ - ٤٩١

الكتابة ، وتفتح النوافذ وتغلقها ، وتحمل كلّ ما يريده الإنسان ؛ واليدان تشتملان على سبع وعشرين عظمة ، وتسع عشرة مجموعه من العضلات لكل منها»^(١).

«وإنّ جزءاً من أذن الإنسان (الأذن الوسطى) هو سلسلة من نحو أربعة آلاف حنيّة (قوس) دقيقة معقدة ، متدرّجة بنظام بالغ ، في الحجم والشكل. ويمكن القول بأن هذه الحنيّات تشبه آلة موسيقية ، ويبدو أنها معدّة بحيث تلتقط وتنقل إلى المخ بشكل ما ، كلّ وقع صوت أو ضجّة ، من قصف الرعد إلى حفييف الشجر ، فضلاً عن المزيج الرائع من أنغام كلّ اداة موسيقية في الأوركسترا ووحدتها المنسجمة»^(٢).

«ومرکر حاسّة الإبصار في العين ، التي تحتوي على مائة وثلاثين مليوناً من مستقبلات الضوء ، وهي أطراف الأعصاب ، ويقوم بحمايتها الجفن ذو الأهداب الذي يقيها ليلاً ونهاراً ، والذي تعتبر حركته لا إرادية ليمנע عنها الأتربة والذرات والأجسام الغريبة ، كما يكسر من حدة الشمس بما تلقى الأهداب على العين من ظلال ، وحركة الجفن علاوة على هذه الوقاية ، تمنع جفاف العين. أمّا السائل المحيط بالعين ، والذي يعرف باسم الدموع ، فهو أقوى مطهّر»^(٣).

«و الجهاز الذوق في الإنسان هو اللسان ، ويرجع عمله إلى مجموعات من الخلايا الذوقية القائمة في حلمات غشاء المخاطي ...».

«ويتكون الجهاز العصبي الذي يسيطر على الجسم سيطرة تامة من شعيرات دقيقة ، تمرّ في كافة أنحاء الجسم ، وتتصل بشعيرات أكبر منها ، وهذه بالجهاز المركزي العصبي ، فإذا ما تأثّر أيّ جزء في الجسم ، نقلت الشعيرات العصبية هذا الإحساس إلى المخ ، حيث يمكنه أن يتصرّف ..

«ونحن إذا نظرنا إلى المضم على أنه عملية في معمل كيماوي ، وإلى الطعام الذي نأكله على أنه مواد غفل ، فإننا

(١). تفسير في ظلال القرآن نقلًا عن كتاب : «الله والعلم الحديث» للأستاذ عبد الرزاق نوفل.

(٢). تفسير في ظلال القرآن نقلًا عن كتاب : «العلم يدعو إلى الإيمان».

(٣). تفسير في ظلال القرآن نقلًا عن كتاب : «الله والعلم الحديث».

ندرك تتوّأ أنه عملية عجيبة ، إذ نحضم تقربيا كل شيء يؤكّل ما عدا المعدة نفسها»^(١). وكل جهاز من أجهزة الإنسان الأخرى يقال فيه الشيء الكثير ، فالإدراك العقلي ، واحتزان المعلومات ، والإدراك الروحي لجلال الله ، كلّها تدلّ على سعة عطاء الله وحكمته ، وكرمه وفضله على الإنسان.

[الآيات ٩ - ١٢] : كلاً : ارتدعوا عن الاغترار بكرم ربكم لكم. بل تكذبون بالحساب والمؤاخذة والجزاء ، وهذه هي علة الغرور وعلة التقصير ، وإنّه لموكّل بكم ملائكة يحفظونكم ، ويسجلون أقوالكم وأعمالكم ، ويصوّنها عليّكم ، وهؤلاء الملائكة كرام فلا تؤذوهم بما ينفرّهم من المعاصي ؛ وإنّ الإنسان ليحتشم ويستحي وهو بحضور الكرام ، من أن يسفّ أو يتبدّل ، في لفظ ، أو كلمة ، أو حركة ، أو تصّرف ؛ فكيف به حينما يشعر أنه في كل لحظاته ، في حضرة حفظة من الملائكة ؟ كرام لا يليق أن يطلعوا منه إلا على كل كريم من الحصول أو الفعال؟. وهؤلاء الملائكة يكتبون كلّ شيء ، ولا تخفي عليهم خافية من أعمالكم ، فإنّهم يعلمون ما تفعلون سرّاً أو علنا ؛ والملائكة قوي من قوى الخير منهم الحفظة والكتبة ، ومنهم من ينزل بالوحى على الرسل ؛ وقد أمدّهم الله سبحانه بقوّة خاصة ، يستطيعون بها إنجاز ما يوكل إليّهم من مهام. وليس علينا أن نبحث عن كنه هؤلاء الحفظة ، ولا عن كيفية كتابتهم لأعمالنا ، ويكفي أن يشعر القلب البشري أنه غير متوكّل سدى ، وأنّ عليه حفظة **﴿كِرَامًا كَاتِبِين﴾** (١١) يعلمون ما يفعله ، ليترعّش ويستيقظ ويتأدب. وهذا هو المقصود.

[الآية ١٣] : إنّ الأبرار صدقوا في إيمانهم بأداء ما فرض عليهم ، واجتناب ما نحوا عنه ، سيكونون ممتعين في نعيم الجنة.

وليس البرّ مقصورا على الصلاة والصيام ، ولكن البرّ عقيدة صادقة ، وسلوك مستقيم ، ويتمثل ذلك في القيام بالواجب ، ومساعدة الحاج ، والاهتمام بأمر المسلمين ، والحرص على نفع

(١). في ظلال القرآن : نقاً عن كتاب : «الله والعلم الحديث» مع التلخيص والتصريف.

العبد ، وَكَفَّ الْأَذِى ، وصلة الرحم ، وزيادة المريض ، ومواساة البائس ، وتعزية المحزون ، والخلق بآداب الدين.

قال تعالى : ﴿لَنْ تَنْأِلُوا الْبَرَ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ [آل عمران: ٩٢].

[الآيات ١٤ - ١٦] : إن الفجرة العصاة لفي نيران متأججة ، يدخلونها يوم القيمة ، بعد أن يحاسبوا على كل صغيرة وكبيرة ، وما هم عن جهنّم بعائبين أبداً لخلودهم فيها.

[الآيات ١٧ - ١٩] : ولما كان يوم الدين هو موضوع التكذيب ، فإن السياق يعود لتعظيمه وتضخيمه ؛ يقول تعالى : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّين﴾ (١٧) فهو فوق كلّ تصور ، وفوق كلّ توقع ، وفوق كلّ مألف ؛ وتكرار السؤال يزيد في وصف المول ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّين﴾ (١٨) أي ثمّ عجيب منك أن تتهافن بنبي هذا اليوم ، وهوله الشديد. هو يوم لا تستطيع نفس أن تنفع نفسها أخرى ، فكلّ نفس بمحملها وحملها عن كلّ من تعرف من النفوس ، والأمر كله في ذلك اليوم لله وحده ، فهو القاضي والمتصرف فيه دون غيره.

مقاصد السورة

- ١ . وصف أهوال يوم القيمة.
- ٢ . تقصير الإنسان في مقابلة الإحسان بالشكران.
- ٣ . بيان أعمال الإنسان ، موكل بها كرام كتابون.
- ٤ . بيان أن الناس في هذا اليوم : إما برة منعمون ، وإما فجرة معذبون.

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «الانفطار»^(١)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة الانفطار بعد سورة النازعات ، ونزلت سورة النازعات بعد الإسراء ، وقبيل الهجرة ؛ فيكون نزول سورة الانفطار في ذلك التاريخ أيضاً . وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ (١) وتبلغ آياتها تسعة عشرة آية.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة إثبات الحساب على الأعمال ، وما يتبع هذا من ثواب وعقاب ؛ فيكون الغرض المقصود منها هو الغرض المقصود من سورة التكوير ، وهذا هو وجه المناسبة بين السورتين.

إثبات الحساب على الأعمال

الآيات [١٩ . ١]

ذكر تعالى أنه ، إذا حصل انفطار السماء وما ذكر بعده ، تعلم كل نفس ما قدمت وأخرت من أعمالها ، فتشاب أو تعاقب عليه ؛ ثم نادى الإنسان ما غرّه بكرمه ، وجرأه على معصيته ، وهو الذي خلقه ، فسّواه فعدله ، فرّكه في أحسن صورة ، ثم زجره عن غروره ؛ وذكر سبحانه أنّ هذا الإنسان يكذب بالحساب ، مع أن عليه حافظين يكتبون ما يعمله ؛ وأنه جل شأنه سيحاري الأبرار بالنعيم ، والفحار بالجحيم ؛ ثم

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «النظم الفي في القرآن» ، للشيخ عبد المعال الصعيدي ، مكتبة الآداب بالجمايير . المطبعة النموذجية بالحكمة الجديدة ، القاهرة ، غير مؤرخ.

سأله سبحانه الإنسان عن يوم الحساب ، سؤال تحويل ما أدراه ما هو؟ وأجاب عنه فقال
جل وعلا : ﴿يَوْمٌ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ (١٩).

المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «الأنفطار»^(١)

أقول : قد عرف مما ذكرت وجه وضعها هنا ، مع زيادة تأخيهمَا في المقطع^(٢).

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب : «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطى ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، دار الاعتصام ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.

(٢). مقطع التكوير : **«وَمَا تَشَاءُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ»** (٢٩). ومقطع الانفطار : **«يَنْهُمْ لَا يَقْبِلُونَ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ»** (١٩) وهما بمعنى .

المبحث الرابع

المعاني اللغوية في سورة «الانفطار»^(١)

قال تعالى ﴿فَعَدَّلَكَ﴾ [آلية ٧] أي : كذا خلقك ، ومنهم من يثقلها ، فمن ثقل

^(٢) فقال : (عدّلك) ، فإنما على معنى «عدّل خلقك» ؛ و (عدلك) أي : عدل بعضك ببعضك فجعلك مستوياً معتدلاً ، وهو في معنى «عدّلك».

وقال تعالى : ﴿خَلَقْتَ﴾ [آلية ٧] و ﴿رَبَّكَ﴾ [آلية ٨] و ﴿كَلَّا﴾ [آلية ٩] وإن

شئت قرأت : (خلقك) و (ربك) (كلاً) فأدغمت لأنهما حرفان مثلان . والمثلان يدغم أحدهما في صاحبه ، وإن شئت ، إذا تحركاً جيئاً ، أن تسكن الأول وتحريك الآخر ^(٣) . وإذا سكن الأول لم يكن الإدغام ؛ وإن تحرك الأول وسكن الآخر ، لم يكن الإدغام.

وقال تعالى : ﴿يَوْمٌ لَا تَمْلِكُ نَفْسَنَ﴾ [آلية ١٩] يجعل اليوم حيناً كأنه سبحانه ، والله

أعلم ، حين قال : ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ (١٧) قال ما معناه :

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش ، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد ، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب ، بيروت ، غير مؤرخ.

(٢). نسبت في معاني القرآن ٣ / ٢٤٤ إلى أهل الحجاز ؛ وفي الطبرى ٣٠ / ٨٧ إلى عامة قراء المدينة ، ومكة ، والشام ، والبصرة ؛ وفي السبعة ٦٧٤ إلى ابن كثير ، وأبي عمرو ، وابن عامر ؛ وفي الكشف ٢ / ٣٦٤ و ٤٣٧ إلى غير الكوفيين ؛ وفي الجامع ١٩ / ٢٤٦ إلى العامة ؛ وفي اختيار أبي عبيد ، وأبي حاتم ، وفي البحر ٨ / ٤٣٧ ، إلى السبعة عدا من أخذ بالأخرى والقراءة بالتشحيف هي القراءة المثبتة في المصحف الشريف.

(٣). نسبت في السبعة ٦٧٤ إلى خارجة ، عن نافع ؛ وفي البحر ٨ / ٤٣٧ إلى خارجة عن نافع كأبي عمرو ؛ ونسب إظهار الكافين في السبعة ٦٧٤ ، إلى غير خارجة عن نافع.

«في حين لا تملك نفس». وقرأ بعضهم (يوم لا تملك نفس) ^(١) يجعله تفسيراً لليوم الأول ،
كأنّ المعنى : «هو يوم لا تملك».

(١). نسبت في السبعة ٦٧٤ ، والنيسير ٢٢٠ ، والجامع ١٩ / ٢٤٩ ، إلى ابن كثير وأبي عمرو ؛ وفي البحر ٨
/ ٤٣٧ ، زاد ابن أبي إسحاق ، وعيسي بن جندب.

المبحث الخامس

لكل سؤال جواب في سورة «الانفطار»^(١)

إن قيل : لأي فائدة تخصيص ذكر صفة الكرم ، دون سائر صفاتـه ، في قوله تعالى :

﴿مَا غَرَّكَ بِرِّتَكَ الْكَرِيم﴾ [الآية ٦]

قلنا : قال بعضـهم : إنما قال تعالى ذلك لطفاً بعده ، وتلقينا له حجته وعدـره ، ليقول : غـرـنـي كـرمـ الـكـرـيمـ . وقال الفضـيلـ رحمـهـ اللـهـ : لو سـأـلـنـي اللـهـ تـعـالـىـ هـذـاـ السـؤـالـ لـقـلـتـ : غـرـنـيـ ستـورـكـ المـرـخـاـ ؟ وروـيـ أـنـ عـلـيـاـ كـرمـ اللـهـ وـجـهـهـ صـاحـ بـغـلامـ لـهـ مـرـاتـ فـلـمـ يـلـبـهـ ، ثـمـ أـقـبـلـ فـقـالـ : مـالـكـ لـمـ تـجـبـنـيـ ؟ فـقـالـ : لـثـقـيـ بـحـلـمـكـ وـأـمـنـيـ عـقـوبـتـكـ ؟ فـاسـتـحـسـنـ جـوـابـهـ وـأـعـتـقـهـ . وـهـذـاـ قـالـواـ : مـنـ كـرمـ الرـجـلـ ، سـوـءـ أـدـبـ غـلـمـانـهـ . وـالـحـقـ أـنـ الـوـاجـبـ عـلـىـ إـنـسـانـ أـنـ لـاـ يـغـتـرـ بـكـرمـ اللـهـ تـعـالـىـ وـجـوـدـهـ ، فـيـ خـلـقـهـ إـيـاهـ ، وـإـسـبـاغـهـ النـعـمـةـ الـظـاهـرـةـ وـالـبـاطـنـةـ عـلـيـهـ ؛ فـيـعـصـيـهـ وـيـكـفـرـ نـعـمـتـهـ اـغـتـارـاـ بـتـفـضـيـلـهـ الـأـوـلـ ، فـإـنـ ذـلـكـ أـمـرـ مـنـكـ خـارـجـ عـنـ حـدـ الـحـكـمـ ، وـهـذـاـ قـالـ رـسـولـ اللـهـ (صـ)ـ ، مـلـيـاـ قـرـأـهـاـ : غـرـهـ جـهـلـهـ . وـقـالـ عـمـرـ رـضـيـ اللـهـ تـعـالـىـ عـنـهـ : غـرـهـ حـمـقـهـ وـجـهـلـهـ . وـقـالـ الـحـسـنـ : غـرـهـ ، وـالـلـهـ ، شـيـطـانـهـ الـخـبـيـثـ الـذـيـ زـيـنـ لـهـ الـمـعـاصـيـ ، فـقـالـ لـهـ : اـفـعـلـ مـاـ شـيـئـ ، فـإـنـ رـيـكـ كـرـيمـ .

فـإـنـ قـيـلـ : لـمـ قـالـ اللـهـ تـعـالـىـ : ﴿يَوْمَ لَا تَعْلَمُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ [الآية ١٩]ـ وـالـنـفـوسـ الـمـقـبـوـلـةـ الشـفـاعـةـ ، تـمـلـكـ لـمـنـ شـفـعـتـ فـيـهـ شـيـئـاـ ، وـهـوـ الشـفـاعـةـ؟

قلـناـ : المـنـفـيـ ثـبـوتـ النـصـرـةـ بـالـمـلـكـ

(١). اـنـقـيـ هـذـاـ المـبـحـثـ مـنـ كـتـابـ «ـأـسـلـةـ الـقـرـآنـ الـجـيدـ وـأـجـوـيـتـهـ»ـ ، حـمـدـ بـنـ أـبـيـ بـكـرـ الـراـزـيـ ، مـكـتبـةـ الـبـابـيـ الـحـلـيـ ، الـقـاهـرـةـ ، غـيرـ مـؤـرـخـ.

والسلطنة ، والشفاعة ليست بطريق الملك والسلطنة ، فلا تدخل في النفي ، ويؤيده قوله تعالى : ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِلُ إِلَّهٖ﴾ (١٩) وقال مقاتل : المراد بالنفس الثانية الكافرة ، والأصح ، والله أعلم ، أنه على العموم في النفسيين .

سورة المطففين

٨٣

المبحث

الأول أهداف سورة «المطففين»^(١)

سورة المطففين سورة مكية آياتها ٣٦ آية ، وهي آخر سورة نزلت في مكة. وهي سورة تعالج طغيان الغني ، واستغلال الفقراء ، وتحارب تطفييف الكيل والميزان ، وتبيّن أنّ صحف أعمال الفجّار في أسفل سافلين ، وأنّ كتاب أعمال الأبرار في أعلى عليين ؟ كما وصفت السورة النعيم المقيم الذي يتمتع به الأبرار في الجنة ، وبيّنت أنّ الجرميين كانوا يسخرون من المؤمنين في الدنيا ؛ وفي يوم القيمة يتغيّر الحال ، فيسخر المؤمن من الكافر ، ويتمتّع المؤمن بألوان النعيم.

مقاطع السورة

تتألّف سورة المطففين من أربعة مقاطع ، يبدأ المقطع الأول منها بإعلان الحرب على المطففين ، وتحديهم بالجزاء العادل ، عندبعث والحساب [الآيات ٦ - ١].

ويتحدّث المقطع الثاني عن الفجّار في شدّة ورعد وزجر ، وتحديه بالويل والهلاك ، ودمغ بالإثم والاعتداء وبيان لسبب هذا العمى ، وعلة هذا الانطمام ، وتصوير جزائهم يوم القيمة ، وعداهم بالحجاب عن ربهم ، كما حجبت الآثام في الأرض قلوبهم [الآيات ٧ - ١٧].

ومقطع الثالث يعرض الصفحة المقابلة ، صفحة الأبرار ، ورفعه مقامهم ، والنعيم المقرر لهم ، ونصرته التي تفيض على وجوههم ، والرحيق

(١). انتقى هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها» ، لعبد الله محمود شحاته ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩ - ١٩٨٤.

الذى يشربون ؛ وهم على الأرائك ينظرون ، وهي صفة ناعمة وضيئه. [الآيات ١٨ - ٢٨].

والمقطع الرابع يصف ما كان الأبرار يلقونه من استهزاء الفجار ، وسخريتهم ، وسوء أدبهم في دار الغرور ؛ ثم يقابل ذلك بما لقيه المؤمنون من التكريم ، وما لقيه الجرمون من عذاب الجحيم في يوم الدين. [الآيات ٢٩ - ٣٦].

من أسباب نزول السورة

كان تطفييف الكيل منتشرًا في مكة والمدينة ، وهو يعبر عن جشع التجار وطعمهم ، ورغبتهم في بخس حق المشتري.

روي أنه كان بالمدينة رجل يقال له أبو جهينة ، له كيلان أحدهما كبير والثاني صغير ، فكان إذا أراد أن يشتري من أصحاب الزروع والحبوب والشمار ، اشتري بالكيل الكبير ؛ وإذا باع للناس كيل للمشتري بالكيل الصغير. هذا الرجل وأمثاله ممّن امتلأت نفوسهم بالطمع ، واستولى عليهم الجشع والنهم ، هم المقصودون بهذا الوعيد الشديد ، وهم الذين توعدتهم النبي (ص) ، وتحذّدهم بقوله : «خمس بخمس ، قيل يا رسول الله وما خمس بخمس؟ قال : ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوا ؛ وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ؛ وما ظهرت الفاحشة في قوم يتعامل بها علانية ، إلا فشا الطاعون والأوجاع التي لم تكن فيمن قبلهم ؛ ولا طفف قوم المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور الحكم ؛ وما منع قوم الزكاة إلا حبس عنهم المطر».

مع آيات السورة

[الآية ١] : هلاك وعذاب عظيم لهؤلاء الذين يبخسون الكيل والميزان ؛ والتطفيف ، لغة ، التقليل ، فالمطّفف هو المقلّل حق صاحبه بنقصانه ، لأنّه لا يكاد يسرق في المكيال ، والميزان ، إلا الشيء اليسير الطفيف.

[الآية ٢] : إذا كان لهم عند الناس حق في شيء يكال أو يوزن ، وأرادوا أخذه منهم لا يأخذونه إلا تاماً كاملاً.

[الآية ٣] : وإذا كان للناس حق عندهم في مكيال أو موزون ، أعطوهם ذلك الحق مع النقص والخسارة.

ويلحق بالمطّفين كل عامل لا يؤدّي

عمله ، وإنما يحرص على الأجر كاملا ، ويلحق بهم من يتسلّم العمل كاملا ، ويبخس حق العامل أو ينقص أجره ، وكذلك كل من يقصر في أداء واجبه . وعن ابن عباس «الكيل أمانة ، والوزن أمانة ، والصلة أمانة ، والزكاة أمانة ، فمن وفي له ، ومن طفف فقد علمتم ما قاله الله في المطغفين».

[الآيات ٤ - ٦] : ألا يخطر ببال هؤلاء أن هناك يوما للبعث ، تظهر فيه هذه الأعمال التي يخفونها على الناس ، وأئمهم سيعثون في هذا اليوم الشديد الأهوال ، الذي يقوم فيه الناس من قبورهم ليعرضوا على رب العالمين الذي خلقهم ، ويعلم سرّهم وعلاقتهم.

[الآيات ٧ - ٩] : إن للشر سجلا دونت فيه أعمال الفجّار ، وهو كتاب مسطور بين الكتابة . وهذا السجل يشتمل عليه السجل الكبير المسماً بسجين ؟ كما تقول إن كتاب حساب قرية كذا في السجل الفلاحي المشتمل على حسابها ، وحساب غيرها من القرى .

والفجّار هم المتجاوزون للحد في المعصية والإثم ؛ ولكل فاجر من هؤلاء الفجّار صحيفة ؛ وهذه الصحائف في السجل العظيم المسماً بسجين ، وهو عظيم الشأن وهو **﴿كتاب مرقوم﴾** (٩) أي قد أثبتت فيه العلامات الدالة على الأعمال .

[الآيات ١٠ - ١٣] : هلاك وعداب عظيم لهؤلاء المكذبين ، الذين يكذبون الرسول (ص) ، ولا يؤمنون بيوم الحساب والجزاء ، الذي أخبرهم به عن رب العالمين . وما يكذب بهذا اليوم ، إلا من اعتدى على الحق ، وعمي عن الإنفاق ، واعتاد ارتكاب الآثام ، والإعراض عن الحق والهدى ، ولذلك إذا تليت عليه آيات القرآن ، أو أخبار البعث والجزاء أنكرها ، وقال هذه أباطيل السابقين .

[الآية ١٤] : **﴿كَلَّا﴾** ليس كما يقولون **﴿بِلَ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** (١٤) أي غطى على قلوبهم ما كانوا يكسبونه من الإثم والمعصية ؛ والقلب الذي يتعدّد المعصية ينطمس ويظلم ، ويرى عليه غطاء كثيف ، يفقده الحساسية شيئاً فشيئاً ، حتى يتبلّد ويموت .

روى الترمذى^(١) ، والنسائي ، وابن ماجة : «أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا نَكَتَ فِي قَلْبِهِ نَكْتَةً سُودَاءً ، فَإِنْ هُوَ نَزِعُ ، وَاسْتَغْفِرُ ، وَتَابُ ، صَقَلَ قَلْبَهُ ؛ وَإِنْ عَادَ زِيدٌ فِيهَا ، حَتَّى تَعْلُوْ فَهُوَ الرَّانُ ، الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤) .

وقال الحسن البصري : هو الذنب على الذنب يعمي القلب فيموت.

ثم يذكر السياق شيئاً عن مصيرهم يوم القيمة ، بقوله تعالى :

[الآيات ١٥ - ١٧] : ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمْحُجُوْبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الجَحِيْمَ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (١٧) .

فهم في يوم القيمة مطرودون من رحمة الله ، محرومون من رؤيته في الآخرة ، ثم إنهم يصلون عذاب جهنم ، مع التأنيب والتقرير على تكذيبهم الحق ، وإنكارهم البعث والجزاء ؛ فيقال لهم : ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (١٧) .

[الآيات ١٨ - ٢١] : إن كتاب الأبرار محفوظ في سجل ممتاز في أعلى مكان في الجنة ، وما أعلمك ما هذا المكان ، فهو أمر فوق العلم والإدراك ، كتاب مسطور فيه أعمالهم ، وهو موضع مشاهدة المقربين من الملائكة ، ومتعمق بما فيه من كرائم الأفعال والصفات.

[الآيات ٢٢ - ٢٨] : ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيْمٍ﴾ (١٣) إن الأبرار المتقيين الذين يؤمّنون بالله ، ويعملون أنواع البر من القرارات والطاعات ، هؤلاء ينعمون بنعيم الجنة ، وهم على الأسرة في الحال^(٢) ينظرون إلى ما أعد لهم من النعيم ؛ وترى على وجوههم آثار النعمة ومجتها ، يسقون خمرا مختومة بالمسك ، وهي لا تسكر كخمر الدنيا ؛ وفي ذلك النعيم فليتسابق المتسابقون ، وليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة ربهم ، باتباع أوامره واجتناب نواهيه. وهذا الشراب المعد لهم ممزوج بشراب آخر ينصب عليهم من عين

(١). قال الترمذى حسن صحيح ، وللحديث روايات أخرى بلفاظ قريبة في المعنى

(٢). الحال : جمع حجلة ؛ والحجلة ستر يضرب في جوف البيت.

عالية ، يشرب منها المقربون إلى رضوان رحمة . وقد سئل ابن عباس عن هذا فقال : هذا مما قال الله تعالى : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفِي لَهُ مِنْ قُرْةً أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧) [السجدة] .

«وَقَصَارِي مَا سَلَفَ ، أَنَّهُ ، سَبْحَانَهُ ، وَصَفَ النَّعِيمَ الَّذِي أَعْدَهُ لِلْأَبْرَارِ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ بِمَا تَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ النُّفُوسُ ، وَبِمَا يَشْوِقُهَا إِلَيْهِ ، لِيَكُونَ حَضَّاً لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ عَلَى الْاسْتِزَادَةِ مِنَ الْعَمَلِ ، وَالْاسْتِدَامَةِ عَلَيْهِ ؛ وَحَتَّى لَهُمُ الْمُقْسِرِينَ ، وَاسْتَهَاضًا لِعَزَائِمِهِمْ أَنْ يَحْرُصُوا عَلَى التَّزَرُّدِ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ ، لِيَكُونَ لَهُمْ مِثْلُ مَا لَأُولَئِكَ﴾ (١) .

[الآيات ٢٩ . ٣٣] : ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ (٢٩) : كانوا يَضْحَكُونَ مِنْهُمْ اسْتِهْزَاءً بِهِمْ وَسَخْرِيَّةً مِنْهُمْ ، إِمَّا لِفَقْرِهِمْ وَرِثَاثَةَ حَالِهِمْ ، وَإِمَّا لِضَعْفِهِمْ عَنْ رَدِّ الْذِي ، وَإِمَّا لِتَرْفُعِهِمْ عَنْ سَفَاهَةِ السُّفَهَاءِ ؛ فَكُلُّ هَذَا مَا يُشَيرُ ضَحْكَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ، وَهُمْ يَتَخَذُونَ الْمُؤْمِنِينَ مَادَّةً لِسَخْرِيَّتِهِمْ ، أَوْ فَكَاهَتِهِمُ الْمَذْوَلةُ . ﴿وَإِذَا مَرُوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ﴾ (٣٠) يَغْمُرُ بَعْضُهُمْ لَبَعْضٍ بَعْيْنِهِ ، أَوْ يُشَيرُ بِيَدِهِ ، أَوْ يَأْتِي بِحَرْكَةٍ مُتَعَارِفٍ عَلَيْهَا بَيْنَهُمْ لِلسَّخْرِيَّةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِذَا انْقَلَبَ هُؤُلَاءِ الضَّالُّونَ إِلَى أَهْلِهِمْ ، وَرَجَعُوا إِلَى بَيْوَتِهِمْ ، رَجَعُوا إِلَيْهَا فَكَهِينِيْنَ مُلْتَدِّيْنَ بِحَكَاهِيَّةِ مَا يَعْبِيُونَ بِهِ أَهْلُ الْإِيمَانِ ، إِذَا يَرْمُونَهُمْ بِالسَّخَافَةِ وَقَلَّةِ الْعُقْلِ ، ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هُؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ (٣٢) أَيْ وَإِذَا رَأَوْا الْمُؤْمِنِينَ نَسْبُوهُمْ إِلَى الْضَّالَّالِ ؛ لَأَنَّهُمْ نَبَذُوا الْعَقَائِدَ الْفَاسِدَةَ ، وَتَرَكُوا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ . وَلَمْ يَرْسُلِ اللَّهُ ، سَبْحَانَهُ ، الْكُفَّارَ رَبِّيَّا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا كَلَّفَهُمْ بِمَحَاسِبِهِمْ عَلَى أَفْعَالِهِمْ ، فَمَا لَهُمْ وَهَذَا الْوَصْفُ ، وَهَذَا التَّقْرِيرُ . روَى أَنَّ عَلَيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ كَرَمَ اللَّهِ وَجْهَهُ ، جَاءَ فِي نَفْرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَرَأَهُ بَعْضُ هُؤُلَاءِ الْكُفَّارَ ، فَسَخَرُوا مِنْهُ وَمِنْ مَعْنَى مَعْنَى ، وَضَحَّكُوا مِنْهُمْ ، وَتَغَامَزُوا بِهِمْ ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى جَمَاعَتِهِمْ مِنْ أَهْلِ الشَّرِكَةِ ، فَحَدَّثُوهُمْ بِمَا صَنَعُوا بِهِ ، وَبِأَصْحَابِهِ .

وَالآيات تَرْسِمُ مَشَهِداً لِسَخْرِيَّةِ

(١) . تَفْسِيرُ المَراغِيِّ لِلْأَسْتَاذِ أَحْمَدِ مُصْطَفَىِ الْمَراغِيِّ ، طِ ٣ ، مُصْطَفَىِ الْبَابِيِّ الْحَلَبِيِّ ، ٣٠ / ٨٢ .

المجرمين من المؤمنين ، وقد يكون لنزوّلها سبب خاص ، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ؛ ففي الآيات تعبير واقعي عن سخرية القويّ الفاجر من المؤمن الصابر ، مما يدل على أن طبيعة الفجّار المجرمين واحدة ، متشابهة ، في موقفها من الأبرار ، في جميع البيئات والعصور.

يقول الإمام محمد عبده : «من شأن القويّ المستعز بكثرة أتباعه وقدرته ، أن يضحك من يخالفه في المتنزع ، ويدعوه إلى غير ما يعرفه وهو أضعف منه قوّة وأقلّ عددا ؛ كذلك كان شأن جماعة من قريش ، كأبي جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأتباعهم ؛ وهكذا يكون شأن أمثالهم في كل زمان متى عمّت البدع ، وتفرقت الشيع ، وخفى طريق الحق بين طرق الباطل ، وجهل معنى الدين ، وأزهقت روحه من عباراته وأساليبه ، ولم يبق إلا ظواهر لا تطابقها البواطن»^(١).

[الآيات ٣٤ - ٣٦] : ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ (٣٤) أي في يوم القيمة ؛ والكافر محظوظون عن ربهم ، يقادون ألم هذا الحجاب ؛ يضحك المؤمنون ، ضحك من وصل به يقينه إلى مشاهدة الحق ، فسرّ به ؛ وينكشف للمؤمنين ما كانوا يرجون من إكرام الله لهم ، وخذلان أعدائهم ، ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ (٣٥) وهو على سررهم في الجنة ينظرون إلى صنع الله بأعدائهم ، وإذلاله لمن كان يفخر عليهم ، وتنكيله بمن كان يهزاً بهم ، جزاء وفاقا. ﴿هَلْ ثُوبَ الْكُفَّارِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦)؟ أي أنهم ينظرون ليتحققوا : هل جوزي الكافر ، بما كانوا يفعلون بهم في الدنيا ؟ وإنما سمّي الجزاء على العمل ثوابا ، لأنّه يرجع إلى صاحبه نظير ما عمل من خير أو شر . و (ثواب) مثل أثاب ، بمعنى جازى ، يقع في الخير وفي الشر ، وإن كان قد غالب الثواب في الخير. أي هل جوزي الكافر بما كانوا يفعلون ؟

مقاصد السورة

١ - وعيد المطففين.

(١). تفسير جزء عم ، للأستاذ الإمام محمد عبده ، الطبعة السادسة ، مطبع الشعب ، ص ٣٧.

- ٢ . بيان أن صحائف أعمال الفجّار في أسفل سافلين.
- ٣ . الإرشاد إلى أنّ صحائف أعمال الأبرار في أعلى علّيin.
- ٤ . وصف نعيم الأبرار ، في ما كلامهم ومشاربهم ومساكنهم.
- ٥ . استهزاء الجرميين بالمؤمنين في الدنيا.
- ٦ . تصاحك المؤمنين منهم يوم القيمة.
- ٧ . نظر المؤمنين إلى الجرميين وهم يلقون جزاءهم وما أعدّ لهم من التكال.

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «المطففين»^(١)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة المطففين بعد سورة العنكبوت ، وهي آخر سورة نزلت بمحنة ، فيكون نزولها بعد الإسراء وقبل الهجرة . وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم ، لقوله تعالى في أولها : ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفَّفِينَ﴾^(١) وتبليغ آياتها ستة وثلاثين آية .

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة تحريم التطفيف في المكيال والميزان ، وإنذار من يفعل ذلك ، بأنه مبعوث لحساب لا تساهل فيه بتطفيف أو نحوه . وهذا سار سياقها في الترهيب كما سارت السورة قبلها ، وهذا هو وجه ذكرها بعدها .

تحريم التطفيف

الآيات [٣٦ . ١]

قال الله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفَّفِينَ﴾^(١) فأنذر المطففين بالويل ؛ وذكر سبحانه أنهم الذين يستوفون إذا أكتالوا على الناس ، وإذا كالوهم أو وزنوه ينقصون ؛ والتطفيف البخس في المكيال والميزان بالشيء القليل على سبيل الخفية ؛ ثم أنذرهم جل وعلا بأنهم مبعوثون ليوم عظيم ، وبأن كتاب أعمالهم في سجين ، وهي الأرض السفلية ؛ فإذا أتى هذا اليوم ، فويل لهم

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «النظم الفي في القرآن» ، للشيخ عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب بالجمايزة . المطبعة النموذجية بالحكمة الجديدة ، القاهرة ، غير مؤرخ .

على تكذيبهم به ... إلخ ؛ ثم انتقل السياق من هذا الترهيب إلى الترغيب ، بذكر أنّ كتاب الأبرار في علّيٰن ، وهي السماء السابعة ؛ وذكر تعالى ما ذكر مما أعده لهم ؛ ثم ذكر أنّ أولئك المجرمين ، كانوا يضحكون من هؤلاء الأبرار في الدنيا ، وأنّ هؤلاء الأبرار يضحكون منهم في الآخرة ، وهم على الأرائك ينظرون : ﴿هَلْ ثُوِبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦).

المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «المطففين»^(١)

أقول : الفصل بهذه السورة ، بين الانفطار والانشقاق ، التي هي نظيرتها من خمسة أوجه : الافتتاح ب﴿إِذَا السَّمَاءُ﴾ [الانفطار / ١] والتخلص ب﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾ [الانفطار / ٦] ، وشرح حال يوم القيمة ؛ وهذا ضممت بالhadith السابق ، والتناسب في المقدار ، وكوئها مكية.

وهذه السورة مدنية ، ومفتتحها وخلاصها غير مأهلا ، لنكتة ألمنيها الله. وذلك أن السور الأربع ، لما كانت في صفة حال يوم القيمة ، ذكرت على ترتيب ما يقع فيه. فغالب ما وقع في التكوير ، وجميع ما وقع في الانفطار ، وقع في صدر يوم القيمة ، ثم بعد ذلك يكون الموقف الطويل ، ومقاساة العرق والأحوال ، فذكره في هذه السورة بقوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦).

ولهذا ورد في الحديث : «يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه»^(٢). ثم بعد ذلك تحصل الشفاعة العظمى ، فتنشر الكتب ، فأخذ باليمين ، وأخذ بالشمال ، وأخذ من وراء الظهر ، ثم بعد ذلك يقع الحساب. هكذا وردت بهذا الترتيب الأحاديث ؛ فناسب تأخير سورة الانشقاق التي فيها إثبات

الكتب

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب : «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطى ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، دار الاعتصام ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.

(٢). أخرجه البخاري في التفسير ٦ / ٢٠٧ عن ابن عمر ، وأحمد في المستند مع اختلاف في اللفظ ٢ / ١٣ ، ١٩ ؛ وعلى المطابقة ٢ / ٣١.

والحساب^(١) ، عن السورة التي قبلها ، والتي فيها ذكر الموقف عن التي فيها مبادئ يوم القيمة.

ووجه آخر ، وهو : أنه جل جلاله لما قال في الانفطار : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ حَافِظِينَ﴾

(١٠) كِرَاماً كَاتِبِينَ^(١١) (١١). وذلك في الدنيا ، ذكر في هذه السورة حال ما يكتبه الحافظان ، وهو : كتاب مرقوم جعل في عليين ، أو في سجين ، وذلك أيضا في الدنيا ، لكنه عقب بالكتابة ، إما في يومه ، أو بعد الموت في البرزخ كما في الآثار. فهذه حالة ثانية في الكتاب ذكرت في السورة الثانية. وله حالة ثالثة متاخرة فيها ، وهي أخذ صاحبه باليمين أو غيرها ، وذلك يوم القيمة ، فناسب تأخير السورة التي فيها ذلك ، عن السورة التي فيها الحالة الثانية ، وهي الانشقاق ، فلله الحمد على ما من بالفهم لأسرار كتابه.

ثم رأيت الإمام فخر الدين قال في سورة المطففين أيضا : اتصال أوّلها باخر ما قبلها ظاهر ، لأنّه تعالى بين هناك أن يوم القيمة من صفتة : ﴿لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار / ١٩] وذلك يقتضي تحديدا عظيما للعصاة ، فلهذا أتبعه بقوله سبحانه : ﴿وَيُؤْلِلُ الْمُطَفَّفِينَ﴾ (١).

(١). وذلك في قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أُولَئِكَ بَعْدَهُمْ يَمْنِيْنَ﴾ (٧) [الانشقاق] ، إلى قوله : ﴿وَيَصْلِي سَعِيرًا﴾ (١٢) [الانشقاق].

المبحث الرابع

لغة التنزيل في سورة «المطففين»^(١)

١ . قال تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفَّفِينَ﴾ (١).

التطفيف : هو البخس في الكيل والوزن ، لأنّ ما يبخس شيء طفيف حقير.
أقول : كأنّ المطّفف : هو الذي ينقص وضع الطفافة ، وهي الزيادة بعد الكيل وفاء
لما نقص منه في أثناء الكيل ، وعلى هذا كان «المطّفف» من يمنع «الطفافة» سرقة وغشًا ،
محاباة للبائع الذي يكيل مصلحته ، وكما يكون في الكيل يكون ذلك في الوزن.

ثم قال تعالى : ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (٣).

والمعنى واضح ، والأصل : كالوا لهم وزنوا لهم ثم حذف وأوصل.

٢ . وقال تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ (٧).

وقوله تعالى : ﴿سِجِّينٍ﴾ ، أي كتاب جامع هو ديوان الشر ، دون الله فيه أعمال
الشياطين ، وأعمال الكفرة ، والفسقة من الجن والإنس ؛ وهو كتاب مرقوم مسطور بين
الكتابة.

٣ . وقال تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَارِ لَفِي عِلَّيْنَ﴾ (١٨).

وعليّيون : علم لديوان الخير ، الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين.
أقول : و «عليّيون» مما الحق بجمع المذكر السالم لا واحد له ؛ وهو مما يشير إلى أن
هذا الجمع قد شمل طائفه

(١) . انتقى هذا المبحث من كتاب «من بدیع لغة التنزيل» ، لإبراهيم السامرائي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، غير مؤرّخ.

كبيرة من الكلم ، عاقلاً كان أم غير عاقل.

وقالوا أيضاً : العلّيُّونَ الْعِرْفُ الْعَالِيَّةُ فِي الْجَنَّةِ .

٤ . وقال تعالى : ﴿وَمِنْاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ (٢٧) .

وقوله تعالى : ﴿تَسْنِيمٍ﴾ (٢٧) علم بعينها في الجنة .

٥ . وقال تعالى : ﴿وَإِذَا نُقْلِبُهُمْ إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوهُ فَكِهِينَ﴾ (٣١) .

أي : ملتدين بذكرهم .

أقول : وجميع ما جاء من المعاني في (فكهين) ، في هذه الآية وغيرها ، من أصل «الفاكهة» ؛ فاللّذة والتعجب استفينا من نعمة «الفاكهة». وكذلك «الفاكاهة» الشائعة في عصرنا.

المبحث الخامس

المعاني اللغوية في سورة «المطففين»^(١)

قال تعالى : ﴿وَإِذَا كَالُوكُمْ أَوْ وَزَنُوكُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (٣) أي : «إذا كالوا الناس أو وزنوه» ، فأهل الحجاز يقولون «كلت زيداً» و «وزنته» أي : «كلت له» و «وزنت له».

قال تعالى : ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ بجعله في الحين ، كما تقول «فلان اليوم صالح» تريد به الآن في هذا الحين ، وتقول هذا بالليل «فلان اليوم ساكن» أي : الآن ، أي : هذا الحين ، ولا نعلم أحداً قرأها جراً ; وال مجرّ جائز.

وقال تعالى ﴿كَلَّا بَلْ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِ﴾ [الآية ١٤] ؛ تقول : «ران» «يرين» «ريننا».

وقال سبحانه : ﴿عَيْنَا يَشْرُبُ بِكَ﴾ [الآية ٢٨] بجعله على ﴿يُسْقَفُونَ﴾ [الآية ٢٥] ﴿عَيْنَا﴾ [الآية ٢٨] ؛ وإن شئت جعلته على المدح ، فتقطع من أول الكلام ، كأنك تقول : «أعني عيناً».

وقال تعالى : ﴿هَلْ ثُوبَ﴾ [الآية ٣٦] فإن شئت أدمغت ^(٢) وإن شئت لم تدمغ ، لأن اللام ^(٣) مخرجها بطرف اللسان قريب من أصول الثناء ، والباء بطرف اللسان وأطراف الثناء ، إلا أن اللام بالشق الأيمن أدخل في الفم ، وهي قريبة المخرج منها ؛ ولذلك قرئ

(١). انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش ، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد ، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب ، بيروت ، غير مؤرخ.

(٢). نسب الإدغام في السبعة ٦٧٦ إلى أبي عمرو ؛ وفي البحر ٨ / ٤٣ إلى النحوين ، ومحنة ، وابن محيصن.

(٣). نسب عدم الإدغام إلى غير أبي عمرو ؛ وفي السبعة ٦٧٦ إلى الجمهور ؛ وفي البحر ٨ / ٤٤٣.

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ﴾ [الأعلى / ١٦] فأدغمت اللام في التاء^(١) ، لأنّ مخرج التاء والثاء قريب ، من مخرج اللام.

(١) هي قراءة نسبت في إعراب ابن خالويه ٦٢ إلى حمزة ؛ وقيل قراءة حمزة ، والكسائي ، وهشام ، والتيسير

.٤٣

المبحث السادس

لكل سؤال جواب في سورة «المطففين»^(١)

إن قيل : لم يقل الله تعالى إذا أكالوا أو اتذروا على الناس يستوفون كما قال سبحانه في مقابلة ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَرَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (٣).

قلنا : لأن المطففين كانت عادتهم ، أنهم لا يأخذون ما يكال وما يوزن إلا بالمكيال ، لأن استيفاء الزيادة بالمكيال كان أمكن لهم ، وأهون عليهم منه بالميزان ، وإذا أعطوا كالوا أو وزنوا لتمكّنهم من البخس فيهما.

فإن قيل : لم فسر سبحانه وتعالى «سجينا» بكتاب مرقوم ، فقال تعالى : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينُ﴾ (٨) **كتاب مرقوم** (٩) وكذا فسر تعالى «عليين» به ، مع أن سجيننا اسم للأرض السابعة ، وهو فعيل من السجن ؛ وعليين اسم للجنة أو لأعلى الأمكنة ، أو للسماء السابعة ، أو لسدة المنتهى ؟

قلنا : قوله تعالى : **كتاب مرقوم** (٩) وصف معنوي لكتاب الفجر ولكتاب الأبرار ؛ لا تفسير لسجين ولعليين ، تقديره : وهو كتاب مرقوم.

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها» ، محمد بن أبي بكر الرازي ، مكتبة البابي الحلبي ، القاهرة ، غير مؤرخ.

المبحث السابع

المعاني المجازية في سورة «المطففين»^(١)

قوله سبحانه : ﴿كَلَّا إِنَّمَا عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَخْجُوبُونَ﴾ (١٥) استعارة ، لأنّ الحجاب لا يطلق إلا على من يصح عليه الظهور والبطون ، والاستار والبروز . وذلك من صفة الأجسام المحدثة ، والأشخاص المؤلفة . المراد بذكر الحجاب هاهنا ، إنهم منوعون من ثواب الله سبحانه ، مذودون عن دخول جنته ، ودار مقامته . وأصل الحجب المنع . ومنه قولنا في الفرائض : الإخوة يحجبون الأم عن الثالث إلى السادس . أي يمنعونها من الثالث ، ويردّونها إلى السادس . ومن ذلك أيضا قولهم : حجب فلان عن باب الأمير . أي ردّ عنه ، ودفع دونه . ويجوز أن يكون كذلك معنى آخر ، وهو أن يكون المراد إنهم غير مقربين عند الله سبحانه بصالح الأعمال ، واستحقاق الشواب . فغير سبحانه عن هذا المعنى بالحجاب . لأنّ المبعد المقصى يحجب عن الأبواب ، ويبعده من الجناب .

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب : «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي ، تحقيق محمد عبد الغني حسن ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، غير مؤرخ.

111

سورة الانشقاق

٨٤

المبحث الأول

أهداف سورة «الانشقاق»^(١)

سورة الانشقاق سورة مكّيّة آياتها ٢٥ آية ، نزلت بعد سورة الانفطار. وهي سورة هادئة الإيقاع يغلب عليها هذا الطابع ، حتى في وصف مشاهد القيمة ، التي عرضتها سورة التكوير في جوّ عاصف.

«وتطوف سورة الانشقاق بالقلب البشري في مجالات كونية وإنسانية شتّى ، متعاقبة تعاقباً مقصوداً ، فمن مشهد الاستسلام الكوني ، إلى لمسة لقلب الإنسان ، إلى مشهد الحساب والجزاء ، إلى مشهد الكون الحاضر وظواهره الموجية ، إلى لمسة أخرى للقلب البشري ، إلى التعجب من حال الذين لا يؤمنون بعد ذلك كله ، إلى التهديد بالعذاب الأليم ، واستثناء المؤمنين من العذاب»^(٢).

مقاطع السورة

يمكن أن تقسم سورة الانشقاق إلى أربعة مقاطع : المقطع الأول : وفيه مطلع السورة ، ذلك المطلع الخاشع الجليل ، الذي يفيد نهاية الكون واستجابة السماء والأرض لأمر الله في خشوع وطوعية (وذلك في الآيات ١ . ٥).

المقطع الثاني : يبيّن أن الإنسان محاسب على عمله ، وسيجازى عليه ، فالمؤمن يأخذ كتابه باليدين ، ويلقى السرور وحسن الجزاء ؛ والكافر يأخذ

(١). انتقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها» ، لعبد الله محمود شحاته ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩ - ١٩٨٤.

(٢). في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب . ٣٠ / ٩٨.

كتابه من وراء ظهره ، ويلقى الهاك والسعير (وذلك في الآيات ٦ - ١٥).
المقطع الثالث يعرض مشاهد الكون ، في صورة تأخذ بالأباب (وذلك في الآيات ١٩ - ١٦).

المقطع الرابع يتعجب من حال هؤلاء الذين يعرضون عن الإيمان ، وبهددهم بالجزاء العادل (وذلك في الآيات ٢٠ - ٢٥).

وهذه اللمسات المتعددة تطوف بالقلب البشري ، وتنتقل بالنفس خلال مشاهد الآخرة والدنيا ، والحساب والجزاء ، في آيات قصيرة وحيز محدود ، مما لا يمكن لبشر أن يفعله ؛ ولكنه القرآن الذي يسره الله للذكر ، وأنزله هداية العالمين.

مع آيات السورة

[الآيات ١ - ٥] : يصف الله سبحانه وتعالى ما يحدث من الأحوال يوم القيمة عند خراب الدنيا ، فيذكر سبحانه أن السماء تنشق وتصبح ذات فروج وفتحات ، وتنقاد هذه السموات لأمر رحّما وتخضع لتأثير قدرته ، حينما يريد انشقاها ، فهي أشبه بالمطیع الذي يذعن لأمر سيده ؛ والأرض تسوى وتبسط باندكاك جبالها ؛ وتخرج ما فيها من الموتى حتى لا يبقى بداخليها شيء ؛ وتنقاد كذلك لأمر رحّما ، وتخضع لتأثير قدرته ، لأنّها في قبضة القدرة الإلهية ، تصرفها في الفناء ، كما صرفتها في الابتداء. وجواب «إذا» التي صدرت بها السورة محنوف ، وتقدير الكلام ، والله أعلم : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَتْ﴾ (١) ترون جزء ما عملتم من خير أو شر.

وخلال ذلك : وصف أحوال يوم القيمة ، وفيه تبدل الأرض غير الأرض ، والسماءات غير السماوات ؛ ويزّ الناس للحساب ، على ما قدّموا في حياتهم من عمل ؛ وعلينا أن نؤمن بذلك كله ، ونكل علم حقيقته ، ومعرفة كنهه إلى الله تعالى.

[الآيات ٦ - ١٥] : يا أيها الإنسان إنك تقطع رحلة حياتك على الأرض كادحا تحمل عبئك ، وتجهد جهودك ، وتشقّ طريقك لتصل في النهاية إلى ربّك ؛ فإليه المرجع وإليه المآب ، بعد الكدّ والكدح والجهاد ، وفي يوم البعث ينكشف الالتباس ، ويعرف كل عامل ما جرّ إليه عمله ، والناس حينئذ صنفان :

١. الذي يعرض عليه سجل

أعماله ، ويتناول كتابه بيمينه ، فإنه يحاسب أيسير الحساب ، إذ تعرض عليه أعماله فيعرف بطاعته وبمعاصيه ، ثم يثاب على ما كان منها طاعة ، ويتجاوز له عما كان منها معصية.

عن عائشة (رض) قالت : «سمعت رسول الله (ص) يقول في بعض صلاته : «اللهم حاسبني حسابة يسيرا» فلما انصرف قلت : يا رسول الله ، وما الحساب اليسير؟ قال : أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه ، من نوتش الحساب يا عائشة يومئذ هلك»^(١).

فهذا هو الحساب اليسير الذي يلقاه من يؤتى كتابه بيمينه ، ثم ينجو **﴿وَيَنْقُلُ إِلَى**

﴿أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ (٩) وأهله هم الناجون الذين سبقوه إلى الجنة.

٢ . **﴿وَأَمَّا مَنْ أُوقِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾** (١٠) ، والذي ألفناه في تعبيرات القرآن من قبل هو كتاب اليمين ، وكتاب الشمال ، فهذه صورة جديدة : صورة إعطاء الكتاب من وراء الظهر ، وليس يمتنع أن يكون الذي يعطي كتابه بشماله ، يعطيه كذلك من وراء ظهره ، فهي هيئه الكاره المكره ، الخزيان من المواجهة. والذي خلص إليه ، أن إيتاء الكتاب باليمين ، أو باليسار أو من وراء الظهر ، تصوير لحال المطلع على أعماله في ذلك اليوم ، فمن الناس من إذا كشف له عمله ابتهج واستبشر ، وتناول كتابه بيمينه ؛ ومنهم من إذا انكشفت له سوابق أعماله عبس وبسر ، وأعرض عنها وأدبر ، وتمنى لو لم تكشف له ، وتناولها باليسار أو من وراء الظهر ، وحينئذ يدعوا ووا ثبورا ، أي يا هلاك أقبل ، فإذاً لا أريد أن أبقى حيا. ولا يفعل الإنسان ذلك ، إلا إذا كان في شدة التعasse والشقاء ، كما يقول المتنبي :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا
وتحسب المنايا أن يكنّ أمانيا
وتناول الكافر لكتابه بشماله أو من وراء ظهره علامه على سخط الله عليه ، وهو يدعوا على نفسه بالهلاك والويل ، ويدخل نار جهنم التي سررت وأوقدت ، ليحترق بنارها ؛
لأنه كان في الدنيا بين عشيرته من الكافرين ، لاهيا في شهواته ، منقاداً لأهوائه ، لا يخطر الموت على باله ، ولا البعث ، **﴿إِنَّهُ**

(١). رواه الإمام أحمد بإسناده عن عبد الله بن الزبير عن عائشة ، وهو صحيح على شرط مسلم ، لم يخرجه.

ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحْوِرَ (١٤) إلى ربه ، ولن يرجع إلى بارئه ولو ظن الرجعة في نهاية المطاف ،
لقدّم بعض العمل ، وادخر شيئاً للحساب.

بَلِّي إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (١٥) : أي بلّي ليحورنّ وليرجعن إلى ربّه ، ولি�حاسبنّه
على عمله ، فهو سبحانه كان مطّلاً على أمره ، محيطاً بحقيقة ، عالماً بحركاته وخطواته .
وتصوّر الآيات هذا التعيس ، وهو مسرور بين أهله في حياة الدنيا القصيرة ؛ ولكنّه
في الآخرة حزين يتمتّي الموت والهلاك ، تقابلها صورة ذلك السعيد المؤمن ، وهو ينقلب إلى
أهله مسروراً ، في حياة الآخرة المديدة ، لقاء ما قدّم من سعي حميد ، وعمل صالح .

وتعود الآيات إلى لمحات من الكون ، تجمع بين الخشوع الساكن ، والمجالل المرهوب :
[الآيات ١٦ - ١٩] : **فَلَا أُفِسِّمُ بِالشَّفَقِ** (١٦) والشفق هو الوقت الخاشع
المرهوب بعد الغروب ، وبعد الغروب تأخذ النفس روعة ساكنة عميقه ، ويحسّ القلب معنى
الوداع ، وما فيه من أسى صامت ، وشجنّي عميق ، كما يحس رهبة الليل القادم ، ووحشة
الظلام الزاحف ، ويلفّه في النهاية خشوع ، وخوف خفيّ ، وسكون .

وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) : هو الليل وما جمع وما حمل من الظلام والنجموم ، أو ما
عمل فيه من التهجد ، أو ما جمع من مخلوقات كانت منتشرة بالنهار ، فإذا جنّها الليل أوت
إلى مأواها .

وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨) : أي اكتمل واستدار وصار بدرًا ، وهو مشهد رائع
للقمر في ليالي اكتماله ، يفيض على الأرض بنوره الحالم الخاشع ، الموجي بالصمت الجليل .
يقسم القرآن الكريم بهذه الأشياء ؛ التي إذا تدبر الإنسان أمرها ، استدلّ بجلالها
وعظمة شأنها على قدرة مبدعها .

لِتَرْكِبُنَ طَبَقًا عَنْ طَبَقِ (١٩) : أي لتلافن أيها الناس أموراً بعد أمور ، وأحوالاً بعد
أحوال من الموت والبعث والحضر ، إلى أن تصيروا إلى ربّكم وهناك تلقون جزاء أعمالكم .
[الآيات ٢٠ - ٢٥] : فلما ذا لا

يؤمنون بالبعث والنشور ، وهم يرون آثار قدرة الله وبداعع صنعه ، وما لهم لا يخضعون لآيات القرآن ، وفيها من المسميات والموحيات ما يصل القلب البشري بالوجود الجميل ، وبيان الوجود الجليل ، وإذا قرأ المؤمن هذه الآية ، سجد لله سجدة التلاوة ، عند قوله : ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ (٢١).

ولكن الكافرين قوم معاندون ؛ فالتكذيب طابعهم ، والله أعلم بما يكتون في صدورهم ، ويضمنون عليه جوانحهم ، من بغي وحسد ، وإشراك بالله ، وحدّ للرسول (ص) ؛ ولذلك أمر الله نبيه (ص) أن يبشرهم جميعا ، بالعذاب المؤلم الموجع يوم القيمة ... ويا لها من بشرى لا تسر.

أما الذين آمنوا بالله تعالى ورسوله (ص) ، وامتثلوا أوامر الله فعملوا الأعمال الصالحة ،
فلهم الأجر الحسن ، والثواب الدائم الذي لا ينقطع ولا يزول.

مقاصد السورة

- ١ - وصف مشاهد القيمة.
- ٢ - الإنسان كادح عامل في الدنيا ، وسيلقى الجزاء في الآخرة.
- ٣ - المؤمن يأخذ كتابه باليمين ، فيجد السعادة والسرور.
- ٤ - الكافر يأخذ كتابه من وراء ظهره ، فيجد الشقاء والمعير.
- ٥ - القسم بالشّفق والليل والقمر ، تنبيتها جلالها وبديع صنعها.
- ٦ - الناس تنتقل من الحياة إلى الموت ثم إلى البعث والحساب والجزاء ، فهم ينتقلون في أحواهم طبقة بعد طبقة ، ليستقرّوا في نعيم مقيم ، أو في عذاب أليم.

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «الإنشقاق»^(١)

تاریخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة الانشقاق بعد سورة الانفطار ، ونزلت سورة الانفطار بعد الإسراء ، وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة الانشقاق ، في ذلك التاريخ أيضاً . وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم ، لقوله تعالى في أواخرها : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّ﴾ (١) وتبلغ آياتها خمساً وعشرين آية.

الغرض منها وترتيبها

يقصد من هذه السورة ، إثبات المعاد ، وما يكون فيه من حساب وثواب وعقاب ؛ فهـي أيضاً في سياق الإنذار ، والترحيب ، والترغيب ، كسورة المطـفين ؛ وهذا هو وجه المناسبة في ذكرها بعدها.

إثبات المعاد

الآيات [٢٥ . ١]

ذكر سبحانه ، أنه ، إذا حصل انشقاق السماء ، وما ذكر بعده يرى كل إنسان ما عمل ؛ وأنه كـادح اليوم حتى يلاقيه ؛ ثم فصل ما يكون فيه من أخذ بعضهم كتابه بيمينه ، ومحاسبته حسـاباً يـسيراً ، ومن أخذ بعضهم كتابه وراء ظهره ... إلخ. ثم أقسم ، جلـ وعلا ، بالشفق وما ذـكر معه ، على أئـمـمـ سـيـرـكـبـونـ في الشـدـدـةـ طـبـقاـ بـعـدـ طـبـقـ ، ووـجـنـهـمـ عـلـىـ دـعـمـ إـيمـانـهـمـ مـعـ هـذـهـ النـذـرـ ؛ وذـكـرـ

(١). انتقـيـ هذاـ المـبـحـثـ مـنـ كـتـابـ «ـالـنـظـمـ الـفـيـيـ فـيـ الـقـرـآنـ»ـ ، للـشـيـخـ عـبـدـ الـمـعـالـ الصـعـيـدـيـ ، مـكـتبـةـ الـآـدـابـ بـالـجـمـايـرـ . المـطـبـعـةـ النـمـوذـجـيـةـ بـالـحـكـمـيـةـ الـجـدـيـدـةـ ، الـقـاهـرـةـ ، غـيـرـ مـؤـرـخـ .

سبحانه أنهم يكذبون مع قيام هذه الدلائل ، وهو أعلم ما يوعون في صدورهم ؛ ثم أمر جلّت قدرته ، بتبشيرهم بعذاب أليم : ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (٢٥).

المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «الإنشقاق»^(١)

قد استوفي الكلام فيها في سورة المطففين.

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب : «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطى ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، دار الاعتصام ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.

المبحث الرابع

لغة التنزيل في سورة «الإنشقاق»^(١)

١ . قال تعالى : ﴿إِنَّهُ طَمَّ أَنْ لَنْ يَكُونُ﴾ (١٤).

أي : لن يرجع إلى الله تعالى ، تكذيباً بالمعاد ؛ يقال : لا يحور ولا يحول .
أي لا يرجع ولا يتغير . أقول : والفعل «حار يحور» من الأفعال المعروفة في عاميّتنا في
العراق ، وليس في الفصيحة المعاصرة .

(١) . انتقى هذا المبحث من كتاب «من بدیع لغة التنزيل» ، لإبراهيم السامرائي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، غير مؤرّخ .

المبحث الخامس

المعاني اللغوية في سورة «الإنشقاق»^(١)

قال تعالى : ﴿وَأَذَنْتُ لِرِبْحَانَ وَحْكَةَ﴾ (٢) أي : وحق لها.

وقال سبحانه : ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوَعِّدُونَ﴾ (٢٣) ؛ تقول : «أوعيت في قلبي كذا وكذا» ، كما تقول : «أوعيت الرِّزَادَ في الوعاء» ، وتقول : «وعلت أذني» ؛ قال تعالى : ﴿وَتَعَيَّنَهَا أَذْنُ وَاعِيَةً﴾ (١٢) [الحاقة] .
وأمّا : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَتْ﴾ (١) فعلى معنى ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادْحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (٦) ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَتْ﴾ (١) على التقديم والتأخير .

(١). انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش ، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد ، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب ، بيروت ، غير مؤرخ .

المبحث السادس

لكل سؤال جواب في سورة «الإنشقاق»^(١)

إن قيل : أين جواب ﴿إِذَا﴾ في قوله تعالى : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَتْ﴾ (١)؟
قلنا . فيه وجوه : أحدها أنه متزوك لتكرر مثله في القرآن . الثاني : أنه ﴿أَدِنَتْ﴾ [الآية ٢] والواو فيها زائدة . الثالث : أنه مخدوف تقديره بعد قوله تعالى : ﴿وَخَفَتْ﴾ (٢)
بعشتم أو جوزيتم أو لاقيتم ما عملتم ، ودل على هذا المخدوف قوله تعالى : ﴿فَمُلَاقِيهِ﴾ (٦) . الرابع : أن فيه تقديمًا وتأخيرًا تقديره : ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (٦) ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَتْ﴾ (١) .

(١) . انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها» ، محمد بن أبي بكر الرازي ، مكتبة البالي الحلي ، القاهرة ، غير مؤرخ .

المبحث السابع

المعانى المجازية في سورة «الإنشقاق»^(١)

في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَثٌ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَخَلَّتْ﴾^(٤) استعارة. والمراد بها بعث الأموات ، وإعادة الرفات. فكأنّ الأرض كانت حاملاً بضم فوضعتهم ، أو حاملة لهم فألقتهم ، فكانوا كالجنيين المولود ، والشّغل المنبوز.

وفي قوله سبحانه : ﴿وَاللَّيْلُ وَمَا وَسَقَ﴾^(١٧) استعارة. ومعنى (وسق) هاهنا أي ضمّ وجمع. فكأنه يضمّ الحيوانات الإنسانية إلى مساكنهم ، والحيوانات الوحشية إلى موالجها ، والطيور إلى أوكارها ومواكنها^(٢) فكأنه ضمّ ما كان بالنهار منتشرًا ، وجمع ما كان متبدداً متفرقاً. والأوساق مأخوذة من ذلك ، لأنّها الأحمال التي يجمع فيها الطعام ، وما يجري مجرّاه ؛ ويقال : طعام موسوق أي مجموع في أوعيته.

وقد قيل : إنّ معنى (وسق) أي طرد. والوسيقة : الطريدة. فكأنّ الليل يطرد الحيوانات كلّها إلى مثاويها ، ويسوقها إلى مخافيها.

وقوله سبحانه : ﴿لَتَرَكُبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾^(١٩) استعارة على بعض التأويلات. والمراد بها لتنقلب من حال شديدة إلى حال مثلكما ، من حال الموت وشدّته إلى حال الحشر وروعته.

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب : «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي ، تحقيق محمد عبد الغني حسن ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، غير مؤرخ.

(٢). الموكن والموكنة : عشّ الطائر.

وقيل : لتركبَنْ سَنَةً مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأَمْمَ.

وقيل : المراد بذلك تنقل الناس في أحوال الأعمار ، وأطوار الخلق والأخلاق. والعرب

تسمّي الدواهي «بنات طبق» وربما سمّوا الدهاية : أمّ طبق. قال الشاعر ^(١) :

قد طرقت بيكرها أمّ طبق فتتجوّهَا خيراً ضخماً عنق

موت الإمام فلقة من الفلق والفلق أيضاً من أسماء الدواهي. واحدتها فلقة.

وفي قوله سبحانه : ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعِدُونَ﴾ (٢٣) استعارة. والمراد بها ما يسرّون في

قلوبهم ، ويكتنون في صدورهم.

يقول القائل أوعيت هذا الأمر في قلبي. أي جعلته فيه كما يجعل الزاد في وعائه ،

ويضمّ المتناع في عيابه ^(٢) ؛ فالقلوب أوعية لما يجعل فيها من خير أو شر ، وعلم أو جهل أو

باطل أو حق.

(١). هو خلف الأحمر. وأصله مولى لأبي بردة من فرغانة ، ولكنّه حفظ كلام العرب وشعرهم وأخبارهم ، حتى صار يقول الشعر ، فيجده وينحله الشعراء المتقدّمين. وكان الأصمعي من رواه ، كما سمع هو من حمّاد الرواية. وأخباره في «طبقات الأدباء» و «الشعر والشعراء» و «العقد الفريد» و «الفهرست». توفي سنة ١٨٠ هـ.

وأمّ طبق : هي الدهاية. والخبر : الناقة الغزيرة للبن ، والفلقة : الدهاية. وفي ثمار القلوب » للشعالي : قال الأصمعي : أول من نعى المنصور بالبصرة خلف الأحمر ، وكثّا في حلقة يونس ، فجاء خلف الأحمر فسلم ، ولم يكن الخبر فشا ، ثم قال : «قد طرقت بيكرها أمّ طبق». فقال يونس : وما ذاك يا أبا محزز؟ فقال ؛ «فتتجوّهَا خيراً ضخماً عنق». فقال : لم أدر بعد! فقال : «موت الإمام فلقة من الفلق». فارتفعـت الضجة بالبكاء والاسترجاع . ص ٢٠٧ من «الشمار».

وانظر الخبر في «لسان العرب» مادة طبق. وفي الورقة ٦٠ من كتاب «المعول عليه في المضاف والمضاف

إليه» للمحيي ، وهو مخطوط مصور بمجمع اللغة العربية.

(٢). العياب : الأوعية ؛ واحدتها : العيبة.

سورة البروج

٨٥

المبحث الأول

أهداف سورة «البروج»^(١)

سورة البروج سورة مكية ، آياتها ٢٢ آية ، نزلت بعد سورة الشمس . هذه السورة القصيرة تعرض حقائق العقيدة ، وقواعد التصور الإيماني ، وتعجّد الثبات على الحق ، وتبشر المؤمن بنصر الدنيا ونعميم الآخرة ، وتحذّد الجبارين المعتمدين بنعمة الله ولعنته في الدنيا والآخرة .

أصحاب الأخدود

الأخدود : الشق في الأرض يحفر مستطيلا ، وجمعه أخداد ، وأصحاب الأخدود قوم كافرون ذوو بأس وقوة ، رأوا قوما من المؤمنين فغاظهم إيمانهم ، فحملوهم على الكفر فأبوا ، فشقّوا لهم شقاً في الأرض وحشوه بالنار ، وألقوهم فيه ، وكان هؤلاء الغلاظ الأكباد على جوانب الشق يشهدون الإحراب .

فقرات السورة

تبّأ الفقرة الأولى بالقسم ، وترتبط بين السماء ويوم القيمة ، وبين حادث الأخدود ، ونعمة الله على أصحابه في الآيات [٤ . ١] .

٢ . ثم تعرّض الفقرة الثانية المشهد المفجع في لحظات خاطفة تظهر بشاعة الحادث ، بدون تفصيل ولا تطويل ، مع التلميح إلى عظمة العقيدة التي تعالت على فتنة الناس مع شدّتها ، وانتصرت على النار وعلى الحياة ذاتها في الآيات [٥ . ١٠] .

(١) . انتقى هذا الفصل من كتاب «أهداف كل سورة ومقاصدها» ، لعبد الله محمود شحاته ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩ . ١٩٨٤ .

٣ . ثم يجيء التعقيب بعد ذلك بفوز المؤمنين ، وبشدة بطش الله بال مجرمين ، وبقدرته وهيمنته على الكون ، ثم اشارة سريعة الى سوابق من أخذ من الطغاة كفرعون وثود في الآيات [٢٢ - ١١].

مع آيات السورة

[الآيات ١ - ٣] : يقسم الله سبحانه بالسماء ذات الكواكب ، والنجوم الكثيرة ، التي تنتشر في أرجائها ، ويقسم بيوم القيمة ، ويقسم بالشاهد والمشهود ، والشاهد هو الملائكة تشهد على الناس يوم القيمة ، والمشهود عليه هو الخالق أو الأنبياء تشهد على أئمهم يوم القيمة ، أو بجميع ما خلق الله في هذا الكون مما يشهده الناس ، ويرونهرأي العين.

وخلالصة ذلك أنه سبحانه أقسم بالعوالم كلها ، ليلفت الناظرين إلى ما فيها من العظم والفخامة.

[الآية ٤] : ﴿ قُلْ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ﴾ (٤) أي أخذوا بذنوبهم ، ونزل بهم نكال الدنيا وعذاب الآخرة.

ومن حديث ذلك أنه قد وقع إلى نجران من أرض اليمن ، رجل ممّن كانوا على دين عيسى بن مريم (ع) ، فدعوا أهلها إلى دينه ، وكانوا على اليهودية ، وأعلمهم أنّ الله بعث عيسى (ع) بشريعة ناسخة لشرعيتهم ، فآمن به قوم منهم ، وبلغ ذلك ذا نواس ملكهم ، وكان يتمسك باليهودية ، فسار إليهم بجنود من حمير ، فلما أخذهم ، خيرهم بين اليهودية والإحراق بالنار ، وحفر لهم حفيرة ثم أضرم فيها النار ، وصار يؤتى بالرجل منهم فيخربه : فمن جزع من النار ، وخاف العذاب ، ورجع عن دينه ، ورضي اليهودية ، تركه ؟ ومن استمسك بدينه ، ولم يبال بالعذاب الدنيوي ، لشقته بأن الله يجزيه أحسن الجزاء ، لقاء في النار.

ثم بين من أصحاب الأخدود فقال :

[الآية ٥] : ﴿ الَّذِينَ حَرَقُوا إِنَّمَا حَرَقُوا أَنفُسَهُمْ وَلَمْ يُؤْتُوا هُنَّ أَخْدُودٌ ﴾ (٥) أي أن أصحاب الأخدود هم أصحاب النار ، التي لها من الحطب الكثير ما يشتّد به لهيبها ، وجرم يكون حريقها عظيما.

[الآية ٦] : ﴿ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴾ (٦) أي قتلوا ولعنوا حينما أحرقوا المؤمنين بالنار ، وهم قaudون حولها يشرفون عليهم ، وهم يعذّبون ويحرقون فيها.

[الآية ٧] : ﴿ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾

بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وهو تعبير يصور قسوة قلوبهم ، وتمكّن الكفر منهم. فإنّ التعذيب كان يجري بأمرهم ، وكانوا يقعدون على مقربة من النار ، ويشاهدون أطوار التعذيب وفعل النار في الأجسام بلدة وسuar ، كأنما يثبتون في حسهم هذا المشهد البشع الشنيع.

[الآياتان ٨ و ٩] : وما أنكر أصحاب الأخدود على هؤلاء الذين أحرقوهم بالنار إلا أنهم آمنوا بربهم ، الموصوف بالغلبة والقهر ، الحمود على نعمه وأفضاله ، الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما ، وهو رقيب على الجميع شاهد على أعمالهم وأحوالهم.

[الآلية ١٠] : إنّ هناك جزاء عادلا في الآخرة. وهؤلاء الذين عذّبوا المؤمنين وأحرقوهم في الدنيا ، ولم يندموا على ما فعلوا ، سيلقون عقابهم في جهنم ، وفي حريق شديد ، لقد أحروا المؤمنين بنار الدنيا ، وهي جزء يسير من نار الآخرة ، إذ نارها شديدة ومعها غضب الله على العصاة.

[الآلية ١١] : وهؤلاء المؤمنون الصادقون ، يلقون جزاءهم في جنّات تجري من تحتها الأنهار ، مع رضوان الله ، وذلك هو الفوز الكبير. وبهذا يتم الأمر ، وبينما كل طرف جزاءه العادل ، فالظالمون الطّغاة يلقون عذاب الحريق ، والمؤمنون الصادقون يلقون الجنة ورضوانا من الله وذلك هو الفوز الكبير.

[الآيات ١٦ - ١٢] : ان انتقام الله من الظالمين لشديد ، فهو يعدهم حتّى إذا أخذهم لم يفلتهم ، وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده يوم القيمة.

ثم ذكر سبحانه خمسة أوصاف من صفات الرحمة والجلال فقال :

١. **وَهُوَ الْغَفُورُ** [الآلية ٤] لمن يرجع اليه بالتوبة.

٢. **الْوَدُودُ** (٤) كثير الود والعطاء والمحبة لمن أخلصوا له.

٣. **ذُو الْعَرْشِ** [الآلية ٥] ذو السلطان الكبير والقدرة الكاملة.

٤. **الْمَجِيدُ** (٥) العظيم الكرم والفضل.

٥. **فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ** (٦) سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويختار.

وهو صاحب الإرادة الطليقة والقدرة المطلقة ؛ وراء الأحداث ، ووراء الحياة ، ووراء

كل شيء في الوجود.

[الآيتان ١٧ و ١٨] : **هَلْ أَنَاَكَ حَدِيثٌ**

الجُنُود ﴿١٧﴾ الجنود تطلق تارة على العسكر ، وتطلق تارة أخرى على الأعوان ؛ والمراد بهم هنا الجماعات الذين تجندوا على أنبياء الله واجتمعوا على أذاهم ، هل أتاك حديثهم؟ وكيف فعل ربكم بهم ما يريد.

فِرْعَوْنَ وَثَمُود ﴿١٨﴾ لقد أهلك الله فرعون وجنته ، ونجا موسى ومن آمن معه ؛ وقصة ثمود مع صالح معروفة ، فقد عقرت ثمود الناقة التي جعلها الله لهم آية ، وقد أهلكهم الله عن بكرة أبيهم ، ونجى صاحلاً ومن معه من المؤمنين .
وخلاصة ذلك : أنّ الكفار في كلّ عصر متباينون ، وأنّ حاكمهم مع أنبيائهم لا تتغيّر ولا تتبدل ، فهم في عنادهم سواء ، ولكنّ العاقبة دائماً للمتقين ، وبطش الله شديد بالطغاة الظالمين .

[الآيات ١٩ - ٢٢] : وفي الختام تقرر السورة أنّ الكفار في كلّ عصر يكذبون الرسالات ، وهم غافلون عمّا يحيط بهم من قهر الله وقدرته ، وهو سبحانه يحيط بهم وعالم بجميع أحوالهم ، وسوف يؤاخذهم على عملهم ، وهذا الذي كذب به قومك كتاب شريف ، متفرد في النظم والمعنى ، محفوظ من التحرير ، مصون من التغيير والتبدل .

مقاصد السورة

- ١ - إظهار عظمة الله وجليل صفاته .
- ٢ - قصة أصحاب الأخدود .
- ٣ - عاقبة المتقين الجنة والرضوان ، ونهاية المعتدلين الملائكة والحريق .
- ٤ - يبيّد الله الأمم الطاغية في كلّ حين ، ولا سيّما الذين يفتون المؤمنين والمؤمنات .
- ٥ - القرآن مجيد شريف ، وكفى شرفاً أنه كلام الله .

المبحث الثاني

الترابط الآيات في سورة «البروج»^(١)

تاریخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة البروج بعد سورة الشمس ، ونزلت سورة الشمس بعد سورة القدر ، ونزلت سورة القدر بعد سورة عبس ، وكان نزول سورة عبس فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة البروج في ذلك التاريخ أيضاً.

وقد سمّيت هذه السورة بهذا الاسم ، لقوله تعالى في أولها : ﴿وَالسَّمَاءُ ذَاتُ الْبُرُوجِ﴾

(١) وتبلغ آياتها اثنتين وعشرين آية.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة تثبيت المؤمنين وتصفيتهم على تعذيب أهل مكّة لهم ، وتنذيرهم بما جرى من التعذيب لمن آمن قبلهم ؛ وقد اقتضى هذا الإنذار من يعذّبهم ، فسارت به هذه السورة في سياق الإنذار كالسورة التي قبلها ؛ وهذا هو وجه المناسبة في ذكرها بعدها.

تثبيت المؤمنين

على إيذاء المشركين

الآيات [٢٢ . ١]

قال الله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءُ ذَاتُ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمُ الْمُؤْعُودُ (٢) وَشَاهِدٌ وَمَشْهُودٌ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ (٤)﴾ فأقسام بهذا على قتل أصحاب الأخدود من الأولين ، وهم الذين حفروا أخدود ووضعوا فيها

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «النظم الفتي في القرآن» ، للشيخ عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب بالجماييف . المطبعة النموذجية بالحكمة الجديدة ، القاهرة ، غير مؤرخ.

نارا وألقوا فيها من آمن منهم ؛ ثم ذكر سبحانه أن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات من كفار قريش ، كما فتن هؤلاء من آمن منهم لهم عذاب جهنم ، وأن المؤمنين لهم جنات تجري من تحتها الأنهر ؛ ثم ذكر جل وعلا أن بطشه شديد ، إلى غير هذا مما ذكره من صفات نعمته ورحمته بعد ما ذكر من عقابه وثوابه ، ثم ذكر النبي (ص) بما فعله بفرعون وثود ، وذكر أن هؤلاء المشركين مع هذا مستمرون في تكذيبهم ، وهددتهم بأنه محيط بهم ، وذكر أن ما أندرهم به من ذلك إنما هو قرآن مجید : ﴿فِي لَوْحٍ مَّخْفُوظٍ﴾ (٢٢).

المبحث الثالث

أسرار ترتيب سوري «البروج» و «الطارق»^(١)

أقول : هما متآخيان فقرننا ، وقدمت الأولى لطولها ، وذكرتا بعد الانشقاق للمؤاخاة في الافتتاح بذكر السماء ، ولهذا ورد في الحديث ذكر السموات مراداً بها السور الأربع^(٢) كما قيل المسبيحات.

(١). انتقي هذا المبحث من كتاب : «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطى ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، دار الاعتصام ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.

(٢). أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢ / ٣٢٧ عن أبي هريرة أن النبي (ص) أمر أن يقرأ بالسموات في العشاء . يعني : السور الأربع المفتتحة بذكر السماء .

المبحث الرابع

مكנותات سورة «البروج»^(١)

أخرج ابن جرير عن أبي هريرة مرفوعاً :

١ - ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ (٢) : يوم القيمة.

٢ - ﴿وَشَاهِدٍ﴾ [آلية ٣] : يوم الجمعة.

٣ - ﴿وَمَشْهُودٍ﴾ يوم عرفة.

وقال التّنخعي : الشاهد يوم النحر.

وقال مجاهد : الشاهد : آدم (ع).

وقال الحسن والحسين رضي الله عنهما . الشاهد : محمد (ص).

أخرج ذلك ابن أبي حاتم.

وأخرج ابن جرير . عن عكرمة قال : الشاهد محمد ، والمشهود يوم الجمعة.

٤ - ﴿أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾ [آلية ٤].

أخرج ابن أبي حاتم من طريق قتادة ، قال : كنّا نحدّث أنّ علياً قال : هم أناس كانوا

بمدارع اليمن.

وأخرج من طريق الحسن عنه قال : هم الحبشة^(٢).

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «مفہمات الأقران في میہمات القرآن» لسیوطی ، تحقیق إیاد خالد الطیّاع ، مؤسسة الرسالة ، بیروت ، غیر مؤرخ.

(٢). انظر قصة أصحاب الأخدود في «صحیح مسلم» کتاب الزهد ، باب قصة أصحاب الأخدود والسامر والراهب . و «سنن الترمذی» في التفسیر ، حدیث رقم : ٣٣٣٧.

وجاء في «الإتقان» ٢ / ١٥٠ أن أصحاب الأخدود : ذو نواس ، وزرعة بن أسد الحميري وأصحابه.

المبحث الخامس

المعاني اللغوية في سورة «البروج»^(١)

موضع قسمها ، والله أعلم ، على : ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُود﴾ (٤) بإضمار اللام كما قال : ﴿ وَالشَّمْسِ وَضَحاها﴾ (١) [الشمس] ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَاهَا﴾ (٩) [الشمس] أي : إن شاء الله «لقد أفلح من زَكَاهَا» بإلقاء اللام. وإن شئت على التقاديم ، كأن السياق : ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُود﴾ (٤) ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوج﴾ (١) ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ . (١٢).

وأما قوله تعالى : ﴿ النَّارُ ذَاتِ الْوُقُود﴾ (٥) فعلى البدل .
وقال تعالى : ﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيد﴾ (١٥) فـ ﴿ الْمَجِيد﴾ (١٥) جر كذلك على (العرش) (٢) والرفع على قوله ﴿ ذُو﴾ (٣) وكذلك ﴿ حَفْوَظِ﴾ (٢٢) جر على (اللوح) (٤) ورفع على

(١). انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش ، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد ، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب ، بيروت ، غير مؤرخ.

(٢). نسبت في معاني القرآن ٣ / ٢٥٤ إلى يحيى وأصحابه ، وفي الطبرى ٣٠ / ٩١٣ إلى عامة قراء الكوفة ، وفي الكشف ٢ / ٣٦٩ ، والتيسير ٢٢١ إلى حمزة والكسائي ، وفي السبعة ٦٧٨ زاد عاصما وفي الجامع ٩ / ٢٩٦ إلى الكوفيدين عدا عاصما ، وفي البحر ٨ / ٤٥٢ إلى الحسن وعمرو بن عبيد وابن ثابت والأعمش والمفضل عن عاصم والأخوين.

(٣). في الطبرى ٣٠ / ١٣٩ إلى عامة قراء المدينة ومكة والبصرة وبعض الكوفيدين ، وفي الكشف ٢ / ٣٦٩ ، والتيسير ٢٢١ إلى غير حمزة والكسائي ، وفي الجامع ١٩ / ٢٩٦ إلى عاصم وغيره مما عدا الكوفيدين ، وفي السبعة ٦٧٨ إلى ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر وعاصم.

(٤). نسبت في السبعة ٦٧٨ ، وحججة ابن خالويه ٣٤٠ ، والكشف ٢ / ٣٦٩ ، والجامع ١٩ / ٢٩٩ إلى غير نافع ، وفي البحر ٨ / ٤٥٢ إلى الجمهور ، وفي الطبرى ٣٠ / ١٤٠ إلى أبي جعفر القارئ وابن كثير من أهل الحجاز وعاصم والأعمش وحمزة والكسائي من أهل الكوفة.

(القرآن) ^(١) وأما ﴿الْوَقُود﴾ (٥) فالخطب و «الوقود» الفعل وهو الاتقاد».

(١). نسبت في معاني القرآن ٣ / ٢٥٤ إلى شيبة وأبي جعفر ، وفي الطبرى ٣٠ / ١٤٠ إلى ابن محيصن ونافع ، وفي السبعة ٦٧٨ ، وحجۃ ابن حالویه ٣٤٠ ، والکشف ٢ / ٣٦٩ ، والجامع ١٩ / ٢٩٩ إلى نافع ، وفي البحر ٨ / ٤٥٣ إلى الأعرج وزید بن علی وابن محيصن ونافع بخلاف عنہ.

المبحث السادس

لكل سؤال جواب في سورة «البروج»^(١)

إن قيل : أين جواب القسم؟

قلنا : فيه وجوه : أحدها أنه متزوك. الثاني : أنه قوله تعالى : ﴿قُتِلَ﴾ [آلية ٤] أي لقد قتل : أي لعن. الثالث : أنه قوله تعالى : ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ (١٢). الرابع : أنه مخدوف تقديره : لتبغضن أو نحوه. الخامس : أنه قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنَّثُوا﴾ [آلية ١٠].

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن الجيد وأجوبتها» ، محمد بن أبي بكر الرازي ، مكتبة البابي الحلي ، القاهرة ، غير مؤرخ.

سورة الطّارق

٨٦

المبحث الأول

أهداف سورة «الطارق»^(١)

سورة الطارق سورة مكية ، آياتها ١٧ آية ، نزلت بعد سورة البلد. وهي سورة تشتراك في خصائص سور هذا الجزء ، التي تمثل طرقات متواالية على الحسن ، طرقات عنيفة قوية عالية ، وصيحات بقوم غارقين في النوم ، تتولى على حسّهم تلك الطرقات تناديهم : تيقظوا ، تنبهوا ، انظروا ، تفكّروا ، تدبّروا : إن هناك إلها وحسابا وجزاء ، وعداها شديدا ، ونعماماً كبيرا. وبين المشاهد الكونية ، والحقائق الموضوعية في السورة تناصق مطلق ، دقيق ملحوظ ، يتّضح من استعراض السورة في سياقها القرآني الجميل.

مع آيات السورة

[الآيات ١ . ٤] : ﴿وَالسَّمَاءُ وَالْطَّارِقُ﴾ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ (٤) : أي السماء ونجومها الثاقبة للظلام ، النافذة من هذا الحجاب الذي يستر الأشياء.

وقد كثر في القرآن الحلف بالسماء وبالشمس وبالقمر وبالليل ، لأنّ في أحوالها وأشكالها ومسيرها ومطالعها وغارتها ، سمات القدرة وآيات الإبداع والحكمة. و ﴿الْطَّارِق﴾ : الذي يطرق ليلا ، و ﴿النَّجْمُ الثَّاقِب﴾ (٣) هو النجم المضيء الذي يشق الظلام ، ويهدى به في ظلمات البر والبحر ، وهو الشّريّا عند

(١). انتقى هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها» ، لعبد الله محمود شحاته ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩ - ١٩٨٤.

جمهرة العلماء ، أو جنس الشهاب التي يرجم بها الشياطين ؛ ويرى الحسن أنّ المراد كلّ كوكب ، لأنّ له ضوءاً ثاقباً لا محالة.

يقسم بالسماء ونجمها الثاقب ، أنّ كلّ نفس عليها من أمر الله رقيب ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ (٤) وفي هذا التعبير بهذه الصيغة معنى التوكيد ، ما من نفس إلا عليها حافظ يراقبها ويحصي عليها ، ويحفظ عنها ، وهو موكل بها بأمر الله. وقد خصّ النفس هنا لأنّها مستودع الأسرار والأفكار ، وهي التي يناظر بها العمل والجزاء .

[الآيات ٥ . ٧] : ﴿فَلَيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ (٥) خلقٌ من ماء دافقٍ (٦) يخرجُ من بَيْنِ الصُّلْبِ وَالرَّأْبِ﴾ (٧).

فلينظر الإنسان من أي شيء خلق ، والى أي شيء صار ، إلهه خلقٌ من ماء دافقٍ (٦) يخرجُ من بَيْنِ الصُّلْبِ وَالرَّأْبِ﴾ (٧) خلقٌ من هذا الماء الذي يجتمع من صلب الرجل ، وهو عظام ظهره الفقارية ، ومن ترائب المرأة وهي عظام صدرها العلوية. ولقد كان هذا سرّاً مكنوناً في علم الله لا يعلمه البشر ، حتى كان القرن العشرون ، حيث اطلع العلم الحديث على هذه الحقيقة بطريقته ، وعرف أنه في عظام الظهر الفقارية يتكون ماء الرجل ، وفي عظام الصدر العلوية يتكون ماء المرأة ، حيث يلتقيان في قرار مكين ، فينشأ منها الإنسان. «وقد ثبت في علم الأجنة أنّ البويضة ذات الخلية الواحدة تصير علقة ذات خلايا عدّة ، ثم تصير العلقة مضعة ذات خلايا أكثر عدداً ، ثم تصير المضعة جنيناً صغيراً وزُعّت خلاياه إلى طبقات ثلاثة ، يخرج من كل طبقة منها مجموعة من الأنسجة المشابهة في أول الأمر ، فإذا تم نموها تكونت جسم الإنسان.

«وما وراء هذه اللمحـة الخاطـفة عن صور الرحلـة الطـولـية العـجـيـبة بين الماء الدـافـقـ والإنسـانـ النـاطـقـ ، حـشـودـ لا تـحـصـىـ من العـجـائـبـ وـالـغـرـائـبـ ، في خـصـائـصـ الأـجـهـزةـ وـالـأـعـضـاءـ ، تـشـهـدـ كـلـهـاـ بـالـتـقـدـيرـ وـالـتـدـبـيرـ ، وـتـشـيـ بـالـلـيدـ الـحـافـظـةـ الـهـادـيـةـ الـمـعـيـنـةـ ، وـتـؤـكـدـ الـحـقـيقـةـ الـأـوـلـىـ الـتـيـ أـقـسـمـ عـلـيـهـاـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ بـالـسـمـاءـ وـالـطـارـقـ ، كـمـاـ تـمـهـدـ لـلـحـقـيقـةـ الـتـالـيـةـ ، حـقـيقـةـ النـشـأـةـ الـآـخـرـةـ الـتـيـ لـاـ يـصـدـقـهـاـ الـمـشـرـكـوـنـ ، الـمـخـاطـبـوـنـ أـوـلـ مـرـةـ بـهـذـهـ السـوـرـةـ».

[الآيات ١٠٠ - ٨] : ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ (٨) : إِنَّ الَّذِي قَدِرَ عَلَى خَلْقِ الْإِنْسَانِ وَأَنْشَأَهُ وَرَعَاهُ ، لَقَادِرٌ عَلَى رَجْعِهِ إِلَى الْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَإِلَى التَّجَدُّدِ بَعْدَ الْبَلَى ؛ فَالنِّشَاءُ الْأُولَى تَشَهَّدُ بِقَدْرِهِ وَحْكُمَتْهُ ، هَذِهِ النِّشَاءُ الْبَالِغَةُ الدِّقَّةُ وَالْحِكْمَةُ ، تَذَهَّبُ كُلُّهَا عَثْثَا إِذَا لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ رَجْعَةً لِتُخْتَبِرَ السَّرَّائِرَ ، وَتَجْزِي جَزَاءَهَا الْعَادِلَ .

﴿يَوْمَ تُبَلَّى السَّرَّائِرُ﴾ (٩) تَبَلَّى : أَيْ تُخْتَبِرُ وَتُمْتَحَنُ ، وَالْمَرَادُ تَظَهُرُ . وَ﴿السَّرَّائِرُ﴾

(٩) مَا يَسِّرَ فِي الْقُلُوبِ مِنَ الْعَقَائِدِ وَالنِّيَّاتِ ، وَمَا خَفِيَ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَاحِدُهَا سَرِيرَةٌ .
وَقَالَ الْأَحْوَصُ :

سيقى لها في مضمون القلب والحسنا سريرة وَدِيْ يوم تبلى السرائر إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَهُ قَادِرٌ
عَلَى إِعَادَةِ الْإِنْسَانَ لِلْحَيَاةِ يَوْمَ تُتَكَشَّفُ السَّرَّائِرُ ، وَتَظَهُرُ الْخَفَافِيَا ، وَيَتَجَرَّدُ الْإِنْسَانُ مِنْ كُلِّ
قُوَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عُوْنَ .

﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ (١٠) فَلَا يَكُونُ لِلْإِنْسَانِ قُوَّةٌ ذَاتِيَّةٌ أَوْ مَعْنَى مِنْ نَفْسِهِ
يَمْتَنَعُ بِهَا ، وَمَا لَهُ مِنْ نَاصِرٍ خَارِجٌ ذَاتِهِ يَنْصُرُهُ وَيَحْمِيهُ مَمَّا حَتَّمَ أَنْ يَقْعُدَ عَلَيْهِ .
وَالخَلاصَةُ : أَنَّ الْقُوَّةَ الَّتِي بِهَا يَدْافِعُ الْإِنْسَانُ عَنْ نَفْسِهِ ، إِمَّا مِنْ ذَاتِهِ ، وَقَدْ نَفَاهَا
بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الآية ١٠] ، وَإِمَّا مِنْ غَيْرِهِ وَقَدْ نَفَاهَا بِقَوْلِهِ : ﴿وَلَا
نَاصِرٍ﴾ (١٠) . وَبِذَلِكَ يُحَشِّرُ الْإِنْسَانَ مُنْفَرِداً ، مُكَشَّوفَ السَّرَّائِرِ ، مُتَجَرِّداً مِنَ الْقُوَّةِ
وَالنَّصِيرِ .

[الآيات ١١ - ١٤] : يَقْسِمُ اللَّهُ سَبَّحَهُ وَتَعَالَى بِالسَّمَاءِ ذَاتَ الْمَطَرِ الَّذِي يَنْزَلُ مِنْهَا ،
وَقَدْ كَانَ أَصْلُهُ مَاءُ الْأَرْضِ فَتَبَخَّرَ وَصَدَعَ إِلَى السَّمَاءِ ، ثُمَّ رَجَعَ مِنْهَا مَطْرًا إِلَى الْأَرْضِ ،
لِيُحْيِيهَا بَعْدَ موْتِهَا ؛ وَيَقْسِمُ بِالْأَرْضِ الَّتِي تَتَشَقَّقُ عَنِ النَّبَاتِ وَالْعَيْنَ ، يَقْسِمُ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ
الْقُرْآنَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَهُوَ الْقَوْلُ الْفَاسِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، وَلَيْسَ بِالْهَزْلِ وَلَا
بِاللَّهُو وَاللَّعْبِ .

أَخْرَجَ التَّرْمِذِيُّ وَالْدَّارَمِيُّ عَنْ عَلِيٍّ كَرَمُ اللَّهِ وَجْهَهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ص) يَقُولُ :
«إِنَّمَا سَتَكُونُ فَتَنَ . قَلْتُ : فَمَا الْمُخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ كِتَابُ اللَّهِ ، فِيهِ نَبَأٌ مِنْ قَبْلِكُمْ
، وَخَبَرٌ مَا بَعْدَكُمْ ، وَحِكْمَةٌ مَا بَيْنَكُمْ ، وَهُوَ الْفَصْلُ لِيُسَمِّي بِالْهَزْلِ ، مِنْ تَرْكِهِ مِنْ

جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلله الله ، وهو حبل الله المتنين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تشيع منه العلماء ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا يخلق على كثرة الرّدّ ، ولا تنقضي عجائبه ، هو الذي قال فيه الجن لما سمعوه : ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ [الجن]. من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم».

[الآيات ١٥ - ١٧] : ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهِلْ الْكَافِرِينَ أَمْهَلْهُمْ رُؤْيَاً﴾ (١٧). إنهم هؤلاء الذين خلقوا من ماء دافق ، يمكرون مكرا شديدا ، ويتأمرون على إطفاء نور القرآن ، والله سبحانه يقابل كيدهم وتأمرهم بما يحبطه ويبطله ، وشتان ما بين عمل الإنسان وعمل الواحد الديان ؟ فالمعركة ذات طرف واحد ، وإن صورت ذات طرفين لمجرد المشاكلاة ، انهم يكيدون ... وانا الله أكيد كيда. أنا المنشئ المبدئ الهايدي الحافظ الموجه المعيد المبتدلي القادر القاهر ، خالق السماء ذات الرجع ، والأرض ذات الصدع ، أنا الله أكيد كيدا ، وفي هذا تحديد ووعيد للكافرين ، وبشارة للمؤمنين بأن الله معهم يدبر أمرهم ؛ وإذا كان الله معنا فمن علينا؟

﴿فَمَهِلْ الْكَافِرِينَ أَمْهَلْهُمْ رُؤْيَا﴾ (١٧) لا تستعجل نزول العذاب بهم ، ولا تستبطئ نهايتهم ، بل أمهلهم قليلا ، وسترى ما يحل بهم من العذاب والنکال. وفي الآيات إيناس للنبي (ص) وللمؤمنين ، وبعث للطمأنينة في قلوبهم ، وتأكد لهم بأنّ عناية الله ترعاهم ، وأنّ كيد الكافرين ضعيف ، وأنّ العاقبة للمتقين : قال تعالى :

﴿نَتَعَذَّبُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (٢٤) [لقمان].

مقاصد السورة

- ١ . إثبات حفظ الله للإنسان ورعايته له.
- ٢ . إقامة الأدلة على أنّ الله قادر على بعث الخلق كرة أخرى.
- ٣ . أن القرآن منزل من عند الله سبحانه ، وأنّ محمدا (ص) رسول الله.
- ٤ . تحديد الكافرين بالعذاب والنکال.

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «الطارق»^(١)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة الطارق بعد سورة البلد ، ونزلت سورة البلد بعد سورة ق ، وكان نزول سورة ق فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة الطارق في ذلك التاريخ أيضا.

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم ، لقوله تعالى في أولاها : ﴿وَالسَّمَاءُ وَالْطَّارِقُ﴾^(٢) (١) وتبعد آياتها سبع عشرة آية.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة إثبات حفظ الأعمال على كلّ نفس ، وما يتبع هذا من حساب وعقاب ، وبهذا توافق السورة السابقة في أنها في سياق الإنذار أيضا ، وقد ذكرت بعدها هذه المناسبة.

إثبات حفظ الأعمال

الآيات [١٧ . ١]

قال الله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءُ وَالْطَّارِقُ﴾ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْطَّارِقُ (٢) التَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣)
إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ (٤) فأقسم بهذا على أن كلّ نفس عليها حافظ من الملائكة يحفظ أعمالها ؛ ثم أمر الإنسان أن ينظر في بدء خلقه ليعرف أنه ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ (٦)
يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالْتَّرَابِ﴾ (٧) ، يعني صلب الرجل وترائب المرأة ، وهي عظام الصدر والتنفس ، ول يعرف أيضا أنه قادر على

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «النظم الفي في القرآن» ، للشيخ عبد المعال الصعيدي ، مكتبة الآداب بالجمالية . المطبعة النموذجية بالحكمة الجديدة ، القاهرة ، غير مؤرخ.

رجعيه ليحاسبه على أعماله ؛ ثم أقسم جل وعلا بالسماء ذات الرجع أي المطر ، والأرض ذات الصندع أي الانشقاق عن النبات ، أن ما أذر به من هذا لقول فصل لا هزل فيه ؛ ثم ذكر سبحانه أئمهم يكيدون لدينه وأنه يكيد لهم كيدا : ﴿فَمَهْلِكُ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُؤْيَا﴾ .(١٧)

المبحث الثالث

مكونات سورة «الطارق»^(١)

١ . ﴿النَّجْم﴾ [الآية ٣].

قيل : زحل. وقيل : الشّرّيّا.

حكاہ ابن عسکر^(٢).

(١). انتقی هذا المبحث من كتاب «مفہمات القرآن فی مبھمات القرآن» للسیوطی ، تحقیق إیاد خالد الطبّاع ، مؤسسة الرسالة ، بیروت ، غیر مؤرخ.

(٢). انظر «تفسیر الطبری» . ٣٠ / ٩١ .

المبحث الرابع

لكل سؤال جواب في سورة «الطارق»^(١)

إن قيل : أين جواب القسم؟

قلنا **إِنْ كُلُّ نَفْسٍ** [الآية ٤]. فإن بمعنى ما. ولما بالتشديد بمعنى : إلا فيكون المعنى ما كل نفس إلا عليها حافظ ؛ ولما بالتحفيف ما فيه زائدة ، وإن هي المخففة من الثقيلة ، فيكون المعنى إن كل نفس لعليها حافظ.

فإن قيل : ما وجه ارتباط قوله تعالى : **فَلَيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ** [الآية ٥] بما قبله؟

قلنا : وجده أنه لما ذكر سبحانه أن على كل نفس حافظاً أتبعه بوصية الإنسان بالنظر في أول أمره ونشأته الأولى ، ليعلم أن من أنشأه قادر على إعادته ومجازاته ، فيعمل ليوم الإعادة والجزاء ، فلا يملى على حافظه إلا ما يسره في عاقبته.

فإن قيل : ما الحكمة في الجمع بين مهل و «أمهل» ومعناهما واحد؟

قلنا : التأكيد ، وإنما خولف بين اللفظين طلباً للخفة.

(١). انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها» ، لحمد بن أبي بكر الرازي ، مكتبة البابي الحلي ، القاهرة ، غير مؤرخ.

المبحث الخامس

المعاني المجازية في سورة «الطارق»^(١)

في قوله سبحانه : ﴿وَالسَّمَاءُ وَالْطَّارِقُ﴾ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْطَّارِقُ﴾ (٢) استعارة. لأنّ الطارق ها هنا كناية عن النجم. فحقيقة الطارق : الإنسان الذي يطرق ليلاً. فلتا كان النجم لا يظهر إلا في حال الليل حسن أن يسمى طارقاً. وأصل الطرق : الدقّ. ومنه المطرقة. قالوا : وإنما سمى الآتي بالليل طارقاً ، لأنّه يأتي في وقت يحتاج فيه إلى الدقّ أو ما يقوم مقامه للتنبيه على طرفة ، والإيدان بوروده.

وفي قوله سبحانه : ﴿خَلَقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالثَّرَابِ﴾ (٧) استعارة. وحقيقة هذا الماء أنه مدفوق لا دافق. ولكنه خرج على مثل قولهم : سرّ كاتم ، وليل نائم. وقد مضت لهذه الآية نظائر كثيرة.

وعندي في ذلك وجه آخر ، وهو أنّ هذا الماء لما كان في العاقبة يؤول إلى أن يخرج منه الإنسان المتصرف ، والقادر المميز ، جاز أن يقوى أمره فيوصف ، بصفة الفاعل لا صفة المفعول ، تمييزاً له عن غيره من المياه المهرافة ، والملائعات المدفوفة. وهذا واضح من تأمله.

وقوله سبحانه : ﴿وَالسَّمَاءُ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ (١١) وَالْأَرْضُ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ (١٢)

استعارة. والمراد بها صفة السماء بأنها ترجع بدورها ^(٢) الأمطار ، وتعاقب الأنواء ،

(١). انتقي هذا المبحث من كتاب : «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي ، تحقيق محمد عبد الغني حسن ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، غير مؤرخ.

(٢). درت الأمطار درولا : هطلت.

مرة بعد مرة وتعطي الخير حالة بعد حالة.

وقد قيل : إن الرّجع الماء نفسه . وأنشدوا للمنتخل^(١) الهذلي يصف السيف :
أبيض كالرجع رسوب إذا ما ثاخ في مختفل يختلني والمراد بالأرض ذات الصّدع :
انصداعها عن النبات ، وتشقّقها عن الأعشاب ؛ وأنشد صاحب «العين»^(٢) لبعض العرب
:

وجاءت سلتكم لا رجع فيها ولا صدع فتحتلب الرّعاء فالرجع : المطر والصدع :
العشب ، والسلتم : السنة الجدبة.

(١). هو مالك بن عمّر الهذلي ، من أشهر شعراء بني هذيل . والبيت في «ديوان الهذليين» ج ٢ ص ١٢٠ والرجع الغدير فيه ماء المطر . وثاخ مثل ساخ : أي غاب . والمحتفل : معظم الشيء ويختلني : يقطع . والرسوب : الذي إذا وقع غمض مكانه لسرعة قطعه .

(٢). هو الخليل بن أحمد الفراهيدي إمام اللغة والأدب وواضع علم العروض ، وكان أستاذًا لسيبوه النحوى المشهور ، ولد في البصرة ومات بها سنة ١٧٠ هـ . وعاش حياته فقيراً صابراً . قال فيه التضر بن شمبل : ما رأى الراؤون مثل الخليل ، ولا رأى الخليل مثل نفسه . واشتهر بكتاب «العين» في اللغة .

سورة الأعلى

٨٧

المبحث الأول

أهداف سورة «الأعلى»^(١)

سورة الأعلى سورة مكّية ، آياتها ١٩ آية ، نزلت بعد سورة التكوير. وهي أنشودة سماوية فيها تسبیح بحمد الله ، وبيان دلائل قدرته ، وإثبات الوحي الإلهي ، وتقرير الجزاء في الآخرة ، وبيان الوحدة بين الرسالات السماوية ، واشتمال الرسالة الحمدية على اليسر والسماحة ، وكل واحدة من هذه تحتها موحیات شتى ، ووراءها مجالات بعيدة المدى.

وفي صحيح مسلم : أنّ رسول الله (ص) كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة : ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (١) ، و﴿هَلْ أَنَا كَحَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ (١) [الغاشية] ، وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأهما. وفي رواية للإمام أحمد عن الإمام علي كرم الله وجهه : «أن رسول الله (ص) كان يحب هذه السورة ، ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (١).

مع آيات السورة

[الآيات ١ . ٥] : ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْءَى (٤) فَجَعَلَهُ غُنَاءً أَخْوَى﴾ (٥).

التسبيح هو التمجيد والتزييه ، واستحضار معاني الصّفات الحسنى لله ، والحياة بين إشعاعاتها وفيوضها ، وإشراقاتها ومذاقاتها الوجدانية بالقلب والشعور.

يقول الإمام محمد عبده : «واسم الله

(١). انتقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها» ، لعبد الله محمود شحاته ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩ - ١٩٨٤.

هو ما يمكن لأذهاننا أن تتوّجه إليه به ، والله يأمرنا بتسبّيح هذا الاسم ، أي تنزيهه عن أن يكون فيه ما لا يليق به من شبه المخلوقات أو ظهوره في واحد منها بعينه ، أو اخْتَاذه شريكًا أو ولدًا أو ما ينحو هذا النحو ، فلا نوجه عقولنا إليه إلّا بأنه خالق كل شيء ، المحيط علمه بدقائق الموجودات».

والخطاب في السورة موجّه إلى رسول الله (ص) ، وفيه من التلطف والإيناس ما يجعل عن التعبير ، وقد كان (ص) ينفّذ هذا الأمر فور صدوره.

وحينما نزل قوله تعالى : ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (٧٤) [الواقعة] قال النبي (ص) : أجعلوها في ركوعكم ، أي قولوا في الركوع : سبحان رب العظيم ، ولما نزل قوله تعالى : ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (١) قال النبي (ص) : أجعلوها في سجودكم ، أي قولوا في السجود : سبحان رب الأعلى .

﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ (٢) الذي خلق كلّ شيء فسواه وأكمل صنعته ، وبلغ به غاية الكمال الذي يناسبه بلا تفاوت ولا اضطراب ، كما تراه يظهر لك من خلق السماوات والأرض .

﴿وَالَّذِي قَدَرَ فَهَدَى﴾ (٣) أي قدر لكلّ حيٍّ ما يصلحه مدة بقائه ، وهداه إليه وعرفه وجه الانتفاع بما فيه منفعة له ، ووجه المُهرب بما يخشى غائلته .

«وَكُلّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ سُوِّيَ فِي صُنْعَتِهِ ، كَامِلٌ فِي خَلْقَتِهِ ، مُعَدٌ لِأَدَاءِ وَظِيفَتِهِ ، مُقْدَرٌ لِهِ غَايَةُ وَجُودِهِ ، وَهُوَ مُيسَّرٌ لِتَحْقِيقِ هَذِهِ الْغَايَةِ مِنْ أَيْسَرِ طَرِيقٍ . وَالْأَشْيَاءُ جَمِيعُهَا مُجَمَّعَةٌ كَامِلَةً التَّنْسِيقِ ، مُيَسِّرَةٌ لِكَيْ تَؤْدِيَ فِي تَجْمِعِهَا دُورُهَا الجَمَاعِيِّ ، مُثْلِمًا هِيَ مُيَسِّرَةٌ فَرَادِيٌّ لِكَيْ تَؤْدِيَ دُورُهَا الْفَرْدَيِّ» .

جاء في كتاب «العلم يدعو إلى الإيمان» ما يأتي : «إِنَّ الطَّيْورَ لَهَا غَرِيبةُ الْعُودَةِ إِلَى الْوَطَنِ ، فَعَصَفُورُ الْهَزَارِ الَّذِي عَشَّشَ بِبَابِكَ يَهَاجِرُ جَنُوبًا فِي الْخَرِيفِ ، وَلَكِنَّهُ يَعُودُ إِلَى عَشَّهِ فِي الرَّبِيعِ الْتَّالِيِّ ، وَفِي شَهْرِ سَبْتَمْبَرِ تَطِيرُ أَسْرَابٌ مِنْ مُعْظَمِ الطَّيْورِ إِلَى الْجَنُوبِ ، وَقَدْ تَقْطَعُ فِي الْغَالِبِ نَحْوِ أَلْفِ مِيلٍ فَوْقَ أَرْضِ الْبَحَارِ ، وَلَكِنَّهَا لَا تَضْلُلُ طَرِيقَهَا ؛ وَالنَّحْلَةُ تَجْدِدُ خَلِيلَهَا مَهْمَا طَمَسَتِ الرِّبِيعُ فِي هَيْوَبِهَا عَلَى الْأَعْشَابِ وَالْأَشْجَارِ كُلَّ دَلِيلٍ يُرَى ؛ وَأَنْتَ إِذَا تَرَكْتَ حَصَانَكَ الْعَجُوزَ وَحْدَهُ فَإِنَّهُ يَلْزَمُ الطَّرِيقَ مَهْمَا اشْتَدَتْ ظَلْمَةُ اللَّيْلِ ، وَهُوَ يَقْدِرُ أَنْ يُرَى وَلَوْ فِي غَيْرِ وَضْوَحٍ ؟

والبومة تستطيع أن ترى الفأر الدافئ اللطيف ، وهو يجري على العشب البارد مهما تكن ظلمة الليل ، ونحن نقلب الليل هاربا بإحداث إشعاع في تلك المجموعة التي نسمّيها الضوء». «والكلب بما أوتي من أنف فضولي ، يستطيع أن يحس الحيوان الذي مر».

«وسمك (السلمون) يمضي سنوات في البحر ، ثم يعود إلى نهره الخاص به ، والأكثر من ذلك أنه يصعد إلى جانب النهر الذي يصب عنده النهر الذي ولد فيه. مما الذي يجعل السمك يرجع إلى مكان مولده بهذا التحديد؟». إنه الله ﷺ

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ فَسَوْىٰ (٢) وَالَّذِي قَدَرَ فَهَدَى﴾ (٣).

وقد سجل البشر كثيرا من إبداع الخلقة ، في عوالم النبات والحيشرات والطيور والحيوان ، في هذا الوجود المشهود الذي لا نعرف عنه إلا أقل القليل ، ووراءه عالم الغيب بما فيه من كمال وجلال ؛ فسبحان الله الخالق العظيم.

﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ (٤) والمرعى كل نبات ، وما من نبات إلا وهو صالح لخلق من خلق الله. فهو هنا أشمل مما نعهد له من مرعى أنعامنا ، فالله خلق هذه الأرض ، وقدر فيها أقواتها لكل حي يدب فوق ظهرها أو يختبئ في جوفها ، أو يطير في جوها ، والنبات يتحايل على استخدام وكلاء لمواصلة وجوده ، دونما رغبة من جانبهم ، كالحشرات التي تحمل اللقاح من زهرة إلى أخرى ، والرياح ، وكل شيء يطير أو يمشي ، ليوزع بدوره.

﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ (٥) والغثاء هو الهشيم ، أو الهالك البالي ، والأحوى : الذي

يميل لونه إلى السواد ، فهو سبحانه قد أحكم كل شيء خلقه ، ما يبقى وما يفنى.

«فنحن مأمورون أن نعرف الله جل شأنه ، بأنه القادر العالم الحكيم ، الذي شهدت بصفاته هذه آثاره في خلقه ، التي ذكرها في وصف نفسه بقوله : ﷺ (٦) إلخ ، وأن لا ندخل في هذه الصفات معنى مما لا يليق به ، كما أدخل الملحدون الذين اتخذوا من دونه شركاء أو عرفوه بما يشبه به خلقه ؛ وإنما توجه إلينا الأمر بتسبیح الاسم ، دون تسبیح الذات ، ليرشدنا إلى أن مبلغ جهودنا ، ومتنهى ما تصل إليه عقولنا ، أن نعرف الصفات

بما يدلّ عليها ؛ أمّا الذات فهي أعلى وأرفع من أن تتوّجه عقولنا إليها إلّا بما نلحظ من هذه الصفات التي تقوم عليها الدلائل ، وترشد إليها الآيات ، وهذا أمرنا بتسبیح اسمه تكليفا لنا بما يسعه طوقنا ، والله أعلم».

﴿الآياتان ٦ و ٧﴾ : ﴿سَنُنْقِرُكُمْ فَلَا تَنْسِي﴾ (٦) إلّا ما شاء اللّهُ ستنزل عليك كتاباً تقرأه ، ولا تنسى منه شيئاً بعد نزوله عليك.

وهي بشرى للنبي (ص) ، ترجمة وتضمّنه على هذا القرآن العظيم الجميل الحبيب إلى قلبه ، الذي كان يندفع بعاطفة الحبّ له ، وبشعور الحرص عليه ، وبإحساس التّبة العظمى فيه ، إلى تردّيه آية آية وراء جبريل ، وتحريك لسانه به خيفة أن ينسى حرفًا منه ، حتّى جاءته هذه البشائر المطمئنة بأنّ ربّه سيتكلّف بهذا الأمر عنه. ﴿إلّا ما شاء اللّهُ﴾ [الآية ٧] أن تنساه بنسخ تلاوته وحكمه ، أمّا ما لا ينسخ فإنّه محفوظ في قلبك.

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفِي﴾ (٧) وكأنّ هذا تعليل لما مرّ في هذا المقطع من الإقرار والحفظ والاستثناء ، فكلّها ترجع إلى حكمـة يعلـمها من يعلمـ الجـهر وما يـخفـي ، ويـطـلعـ علىـ الأمـرـ منـ جـوانـبـهـ جـميـعاـ ، فيـقـرـرـ فيـهاـ ماـ تـقـضـيـهـ حـكمـتـهـ ، المـسـتـنـدـ إـلـىـ عـلـمـهـ بـأـطـافـ الـأـمـرـ جـميـعاـ.

﴿الآية ٨﴾ : ﴿وَنُيَسِّرُكُمْ لِيُيَسِّرُونِي﴾ (٨) أي نوفقك للشريعة السمحـةـ التي يـسهـلـ علىـ النـفـوسـ قـبـولـهاـ ، ولا يـصـعبـ علىـ العـقـولـ فـهـمـهاـ.

يسـرـ الشـرـيـعـةـ إـلـاسـلامـيـةـ

يسـرـ اللهـ سـبـحانـهـ القرآنـ للـقـرـاءـةـ ولـلـعـلـمـ بـأـحـكـامـهـ ، وـيـسـرـ الشـرـيـعـةـ ، وـيـسـرـ الأـحـكـامـ وـجـعـلـهاـ فيـ طـاقـةـ النـاسـ ، وـلـاـ حـرـجـ فـيـهاـ وـلـاـ عـنـتـ ، قـالـ تعـالـىـ : ﴿وَلَقَدْ يَسَرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ (٢٢) [القمر]. وـقـالـ سـبـحانـهـ : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج / ٧٨]. وـقـالـ تعـالـىـ : ﴿مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُم﴾ [المائدة / ٦]. وـقـالـ تعـالـىـ : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة / ٢٨٦].

وـكـانـ النـبـيـ (صـ) سـهـلاـ سـحـاـ مـؤـلـفـاـ مـحـبـاـ ، وـمـاـ خـيـرـ بـيـنـ أـمـرـيـنـ إـلـاـ اـخـتـارـ أـيـسـرـهـماـ مـاـ لـمـ يـكـنـ إـلـمـاـ فـكـانـ أـبـعـدـ النـاسـ عـنـهـ ، وـكـانـ سـلـوكـ النـبـيـ (صـ)

وهديه يعبران عن اختيار البسر ، وقلة التكلف في اللباس والطعام والفراش وكل أمور الحياة ، فكان (ص) يلبس لكل موطن ما يناسبه ، فلبس العمامة والقلنسوة في السلم ، ولبس المغفر وغطى رأسه ووجهه بحلقات الحديد في الحرب. جاء في «زاد المعاد» لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزي عن هديه (ص) في ملابسه : «والصواب أن أفضل الطرق طريق رسول الله (ص) ، التي سنها وأمر بها ورغم فيها داوم عليها ، وهي أن هديه في اللباس أن يلبس ما تيسر من اللباس من الصوف تارة ، والقطن تارة ، والكتان تارة ، ولبس البرود اليمانية والبرد الأخضر ، ولبس الجبة والقباء ، والقميص والسرويل ، والإزار والرداء ، والخلف والنعل ، وأرخي النؤابة من خلفه تارة وتركها تارة ... إلخ».

وقال عن هديه (ص) في نومه وانتباذه : «كان ينام على فراشه تارة ، وعلى النطع^(١) تارة ، وعلى الحصير تارة ، وعلى الأرض تارة ، وعلى السرير تارة بين رماليه ، وتارة على كساء أسود».

وقال في هديه في الطعام : «وكذلك كان هديه (ص) وسيرته في الطعام ، لا يردد موجودا ، ولا يتكلّف مفقودا ، فما قرب إليه شيء من الطبيات إلا أكله ، وما عاب طعاما فقط : إن اشتهر أكله ، وإن تركه.

فقد أكل الحلوى والعسل . وكان يجدهما . وأكل الرطب والتمر ، وأكل الشريد بالسمن وأكل الجبن ، وأكل الخبز بالزيت ، وأكل البطيخ بالرطب ، وأكل التمر بالزبد . وكان يحبه . ، ولم يكن يردد طيبا ولا يتكلّفه ، بل كان هديه أكل ما تيسر ، فإن أعزوه صبر ... إلخ». والأحاديث النبوية التي تحض على البساطة ، والرفق فيتناول الأمور كثيرة جداً يصعب تقصيها ، منها قوله (ص) : «إن هذا الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه» ، أخرجه البخاري. «لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد عليهم» أخرجه أبو داود.

(١) النطع : البساط.

«إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن المبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى» أخرجه البخاري . وفي التعامل يقول (ص) : «رحم الله رجلا سمحا إذا باع ، وإذا اشتري وإذا اقتضى» أخرجه البخاري . «المؤمن يألف ويؤلف» ، أخرجه الدارقطني . «إن أغض الرجال إلى الله الألد الخصم» ، أخرجه الشيخان.

وسيرة الرسول (ص) كلّها صفحات من السماحة واليسر ، والهداية واللين ، والتوفيق إلى اليسر في تناول الأمور جميعاً.

«اختلف معه أعرابي ، فأخذ النبي الأعرابي إلى بيته وزاده في العطاء حتى رضي ، وأعلن عن رضاه أمام الصحابة أجمعين».

ولقد كان النبي كريم النفس ، ميسّرا لحمل الرسالة فيأمانة ويسر ، ومودة ورحمة ، وعطف على الناس وحكمة ، قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٧) [الأنياء] ؛ وقال سبحانه : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَوْفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٨) [التوبة].

وكان عليه الصلاة والسلام رحمة مهداة ، فقد حارب لصد العدوان ، وتبلیغ الدعوة ، ومنع الاضطهاد والفتنة عن الضعفاء والمستضعفين ؛ ومع ذلك كان آية في الإنسانية ، فكان ينهى عن قتل النساء والأطفال ، وينهى عن الغدر والخيانة ، ويحث على الوفاء بالعهد في السلم وال الحرب ، ولا عجب فقد جمع المكارم والمحامد ، وصدق الله العظيم إذ قال : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٤) [القلم].

[الآية ٩] : ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَعَّتِ الذِّكْرِ﴾ (٩) لقد يسره الله لليسري ، لينهض بالأمانة الكبيرة ، ليذكر الناس فلهذا أعدد ، وهذا بشّر ، فذكر حيثما وجدت فرصة للتذكرة ، ومنفذًا للقلوب ووسيلة للبلاغ.

قال النيسابوري في تفسير الآية : إن تذكرة العالم واجب في أول الأمر ، وأما التكرير فالضابط فيه هو العرف ، فلعله إنما يجب عند رجاء حصول المقصود ، فلهذا أردف بالشرط حيث قال تعالى : ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَعَّتِ الذِّكْرِ﴾ (٩).

وقال الإمام محمد عبده : «وليس الشرط قيدا في الأمر فقد أجمع أهل الدين . سلفهم وخلفهم . على أنّ

الأمر بالذكرى عام ، نفعت الذكرى أم لم تنفع ، وعمله (ص) شاهد على ذلك».

[الآية ١٠] : ﴿ سَيَذَّكِرُ مَنْ يَخْشِي ﴾ (١٠) ، ذلك الذي يستشعر قلبه التقوى

فيخشى غضب الله وعذابه ، فإذا ذكر ذكر ، وإذا بصر أبصر ، وإذا عظ اعتبر .

[الآيات ١١ و ١٢] : ﴿ وَتَحْبَبُهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلِي النَّارَ الْكُبْرَى (١٢)

أي ويبتعد عن هذه التذكرة ، المعاند المتصر على الجحود عنادا واستكبارا ، حتى مات قلبه وشققت روحه ، فسيلقى النار الكبرى ، وهي نار جهنم ، وهي كبرى إذا قيس ب النار الدنيا ، أي هي كبرى لشدتها ومدتها وضخامتها ، حيث يمتد بقاوئها فيها ، فلا هو ميت يجد طعم الراحة ، ولا هو حي فيحياة السعادة . تقول العرب : ممن ابتلي بمرض أفعده : لا هو حي فيرجى ، ولا ميت فيينعى .

[الآيات ١٤ و ١٥] : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَرَكَ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥)

قد أدرك الفلاح من تطهر من كل رجس ودنس ، وأيقن بالحق وسعد بالإيمان ، فهو في فلاح وسعادة بذكره اسم الله ، وبصلاته وخشوعه لله ، واعتماده عليه ؛ فهو في فلاح في الدنيا لأنّه عاش موصولا بالله ، مؤديا للصلوة ، مراقبا مولاه ، وهو في فلاح في الآخرة ، بنجاته من النار الكبرى ، وفوزه بالنعيم والرضا .

[الآيات ١٦ و ١٧] : ﴿ بَلْ ثُوَّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧)

، بل أنتم ، لقصر أنظاركم ، تؤثرون الفانية على الباقيه . والحال أن الآخرة أفضل من الدنيا في نوعها ، وأبقى في أمدها ، ولو كانت الدنيا من ذهب يفنى ، والآخرة من خزف يبقى ، لوجب إيشار ما يبقى على ما يفنى ؛ فكيف الحال والدنيا من خزف يفنى ، والآخرة من ذهب يبقى .

[الآيات ١٨ و ١٩] : ﴿ إِنَّ هَذَا لِفِي الصُّحْفِ الْأُولَى (١٨) صُحْفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (١٩)

، أصول هذه الشريعة العادلة ، وقواعد المؤاخذة والحساب ، وما ورد في هذه السورة من أصول العقيدة الكبرى ، هو الذي في الصحف الأولى ، صحف إبراهيم وموسى ، فدين الله واحد ، وإنما تتعدد صوره ومظاهره .

ومجمل ذلك أنّ الرسول (ص) ما

جاء إلّا مذكرا بما نسيته الأجيال من شرائع المسلمين ، وداعيا إلى وجهها الصحيح ، الذي أفسده كرّ الغدّة ومرّ العشّي ، كما طمس معالمه اتّباع الأهواء ، واقتفاء سنن الآباء والأجداد.

مقاصد سورة الأعلى

- ١ - تسبیح الله وتنزیهه وبيان قدرته.
- ٢ - وعد الرسول بحفظ القرآن وعدم نسيانه.
- ٣ - وعده بالتوفيق الى الطريقة السهلة الميسرة في الدعوة.
- ٤ - تکلیفه أن یذكر الناس.
- ٥ - الناس صنفان امام الدعوة :
 - (أ) مستجيب ناج.
 - (ب) ومعرض هالك.
- ٦ - قواعد العدل وأصول الشريعة متتشابهة في القرآن وفي الكتب السماوية السابقة.

المبحث الثاني

الترابط الآيات في سورة «الأعلى»^(١)

تاریخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة الأعلى بعد سورة التكوير ، وكان نزول سورة التكوير فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة الأعلى في ذلك التاريخ أيضاً . وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم ، لقوله تعالى في أولها : ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾^(١) وتبلغ آياتها تسع عشرة آية .

الغرض منها وترتيبها

نزلت هذه السورة في أوائل ما نزل من السور بمكة ، والغرض منها بيان منهاج الدعوة ، ليُرَغَّب الناس في الإيمان بها ويُحَذَّرُهم من مخالفتها ، فسلكت بهذا مسلك الإنذار والترغيب والترهيب كما سلكته السورة السابقة ، وهذا هو وجه المناسبة في ذكرها بعدها .

منهاج الدعوة

الآيات [١٩ . ١]

قال الله تعالى : ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾^(١) فأجمل منهاج الدعوة في ثلاثة أمور : تنزيهه عمّا لا يليق به من الشرك ونحوه ، وإنزال القرآن ليكون أصلاً لتلك الدعوة ، والهدایة للشريعة اليسرى الصالحة للناس جميعاً . ثم أمر النبي (ص) أن يعظ بهذا من تنفعه العظة ، وذكر أنه سيتعظ بها من يخشأه ، ويتجنبها الأشقي الذي يصلى

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «النظم الفي في القرآن» ، للشيخ عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب بالجمانير . المطبعة النموذجية بالمحكمة الجديدة ، القاهرة ، غير مؤرخ .

النار الكبرى ، ثم ذكر أن من يعرض عنها يؤثر الحياة الدنيا عليها مع أن الآخرة خير وأبقى ، وأن ما ذكره من هذا موجود في الصحف الأولى : ﴿صُّحْفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ (١٩).

المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «الأعلى»^(١)

أقول : في سورة الطارق ذكر خلق النبات والإنسان في قوله تعالى : ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ (١٢) ، قوله : ﴿فَلَيْسُوا بِالْأَنْجَانِ﴾ (٥) إلى ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ (٨) . وذكره في هذه السورة في قوله سبحانه : ﴿خَلَقَ فَسَوَّى﴾ (٢) .

وقوله في النبات : ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ (٤) فجعله غناءً آخر (٥).

وقصة النبات في هذه السورة أبسط ، كما أنّ قصة الإنسان هناك أبسط . نعم ، ما في هذه السورة أعمّ ، من جهة شموله للإنسان وسائر المخلوقات .

(١). انتقي هذا المبحث من كتاب : «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطى ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، دار الاعتصام ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.

المبحث الرابع

لكل سؤال جواب في سورة «الأعلى»^(١)

إن قيل : لم قال الله تعالى : ﴿فَدَّكِرْ إِنْ نَفَعَتِ الدِّكْرِ﴾ (٩) مع أنه كان (ص)
مأموراً بالذكر ، نفعت أو لم تنتفع؟

قلنا : معناه إذ نفعت. وقيل : معناه قد نفعت. وقيل : إن نفعت وإن لم تنتفع ،
فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه. وذكر الماوردي أَنَّهَا بمعنى «ما» ، وكأنه أراد معنى ما
الظرفية ؛ و «إن» بمعنى «ما» الظرفية ليس معروفة. وإن قيل : لم قال الله تعالى : ﴿لَا يَمُوتُ
فِيهَا وَلَا يَحْيَ﴾ (١٣). مع أن الحيوان لا يخلو عن الاتصال بأحد هذين الوصفين؟

قلنا : معناه لا يموت موتاً يستريح به ، ولا يحيا حياة ينتفع بها. وقال ابن جرير رحمة
الله تعالى عليه : تتصعد نفسه إلى حلقومه ثم لا تفارقها فيموت ، ولا ترجع إلى موضعها من
الجسم فيحيا ، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن الجيد وأجوبتها» ، لحمد بن أبي بكر الرازي ، مكتبة البابي
الحلبي ، القاهرة ، غير مؤرخ.

سورة الغاشية

٨٨

المبحث الأول

أهداف سورة «الغاشية»^(١)

سورة «الغاشية» سورة مكّيّة ، وآياتها ٢٦ آية نزلت بعد سورة الذاريات ، وهي سورة قصيرة الآيات ، متناسقة الفواصل ، تطوف بالقلب البشري أمام الآخرة وأحوالها ، فأصحاب الجحيم يلقون أشدّ ألوان الألم والعذاب ، وأهل الجنة يتمتعون بألوان النعيم ، وصنوف التكريم ، ثم تعرض أمام الناظرين مشاهد الكون ، وآيات الله المبثوثة في خلائقه ، المعروضة للجميع.

ثم تذكر الناس بحساب الآخرة ، وسيطرة الله ، وحتمية الرجوع إليه في نهاية المطاف ، ذلك كله بأسلوب عميق الإيقاع ، هادئ ، ولكنه نافذ ؛ رصين ، ولكنه رهيب.

مع آيات السورة

[الآية ١] : الغاشية هي الداهية التي تغشى الناس بشدائدها ، وتغمرهم بأحوالها ، والمراد منها هنا يوم القيمة ، وقد سبق في هذا الجزء وصف القيمة بالطامة والصاحة ، وسيأتي وصفها بالقارعة ، بما يناسب طبيعة التذكير والتهديد للمعاندين. والاستفهام هنا لتعظيم الأمر وتقريره ، أي هل سمعت قصة يوم القيمة وما يقع فيه؟

وعن عمر بن ميمون ، قال : مر النبي (ص) على امرأة تقرأ : ﴿هَلْ أَتَكَ حَدِيثُ
الْغَاشِيَةِ﴾ (١) فقام يستمع ويقول : «نعم قد جاءني».

(١). انتقى هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها» ، لعبد الله محمود شحاته ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩ - ١٩٨٤.

والخطاب مع ذلك عام لكل من يسمع القرآن.

[الآيات ٢ . ٧] : إن وجوه الكفار في هذا اليوم تكون ذليلة ، لما يظهر عليها من الحزن والكآبة ، وسوف يلقون تعبا وإرهاقا في النار ، بسبب أعمالهم السيئة ، وسيدخلون النار المتأججة التي تلتهمهم ، وإذا عطشوا من شدة حرّها ، وطلبو ما يطفئ ظمائمهم ، سقوا **﴿مِنْ عَيْنٍ آتَيْنَا﴾** : أي من ينبع شديد الحرارة ، **﴿وَإِنْ يَسْتَعْجِلُوكُمْ بِمَا كَانُوا يَكْلُمُهُمْ يَشْوِي﴾** **﴿الْوُجُوهَ بِثَسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقَا﴾** [الكهف] (٢٩). وليس لهم طعام في النار إلا من ضريع ، والضريع : شجر ذو شوك لائط بالأرض ، فإذا كان رطا سمي بالشّرق ، وإذا جنى صار اسمه الضريع. ولم تستطع الإبل مذاقه فهو عندئذ سام ، والأكل منه لون من ألوان العذاب الشديد ، يضاف إلى ذلك الغسلين والغساق ، وبافي الألوان التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

[الآيات ٨ . ١١] : **﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾** (٨) **﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾** (٩) في جنة عالية **﴾﴾** (١٠) لا تسمع فيها لاغية **﴾﴾** (١١).

هنا وجوه يبدو عليها النعيم ، وفيض منها الرضى ، وجوه تنعم بما تجد ، وتشعر بالرضى عن عملها ، حينما ترى رضى الله عنها ، وهذا النعيم في جنة عالية المقام ، مرتفعة على غيرها من الأماكن ، لأن الجنة منازل ودرجات بعضها أعلى من بعض ، كما أن النار دركات بعضها أسفل من بعض.

لا يسمع أهل الجنة لغوا ولا باطل ، وإنما يعيشون في جو من السكون والمهدوء ، والسلام والاطمئنان ، واللود والرضى ، والنماء والسرور بين الأحباء ، والتنزه والارتفاع عن كل كلمة لاغية ، لا خير فيها ولا عافية ، وهذه وحدتها نعيم وسعادة ؛ وتوحي الجملة بأن المؤمنين في الأرض حينما ينأون عن اللغو والباطل ، إنما ينعمون بطرف من حياة الجنة ، ويتشبّهون بأهلها.

[الآية ١٢] : **﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾** (١٢) ، والعين الجارية : اليابس المتدفق ، والمياه الجارية متعدة للنفس وللناظر ، وقد افتخر بمثلها فرعون فقال : **﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَهْمَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾** (٥١) [الزخرف].

[الآية ١٣] : **﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾** (١٣) وفيها سرر عالية المكان والمقدار ،

ليرى المؤمن وهو عليها ما خوّله الله من النعم.

[الآية ١٤] : ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ (١٤) مصفوفة مهيأة للشرب ، لا تحتاج الى طلب ولا إعداد.

[الآية ١٥] : ﴿وَفَارِقٌ مَصْفُوفَةٌ﴾ (١٥) . والنمارق الوسائل والحسايا ، قد صفت بعضها الى بعض ، للاتكاء في ارتياح.

[الآية ١٦] : ﴿وَرَازِيٌّ مَبْثُوثٌ﴾ (١٦) و (الرزابي) البسط (أي السجاجيد) (مبثوثة) أي مبسوطة أو مفرقة هنا وهناك ، كما تراه في بيوت أهل النعمة. ذلك كله لتصوير النعمة والرفاهية واللذة ، وتقربيها لتصور الناس في الدنيا ، وإنما فنعيم تلك الدار نعيم لا يشبهه في هذه الدار نعيم ، فمتع الدنيا قليل ، ومتع الآخرة لا شبيه له ولا مثيل ، ﴿وَفِيهَا مَا تَشَهِّدُهُ الْأَنْفُسُ وَتَلَدُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾ (٧١) [الزخرف].

فيها النعيم والرضى ؛ فيها السرور بالنجاة ، والأنس برضوان الله ؛ فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر.

[الآية ١٧] : ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (١٧).

يلفت القرآن الأنظار الى دلائل قدرة الله سبحانه ، وبديع صنعته ، فلينظر الإنسان إلى الجمال كيف خلقت؟ وليتدبّر كيف وجدت على هذا النحو المناسب لوظيفتها ، المحقق لغاية خلقها ، المتناسق مع بيئتها ووظيفتها جيّعا. إنّ الناس لم يخلقواها ، وهي لم تخلق نفسها ، فلا يبقى إلا أن تكون من إبداع المفترّد بصنعته ، التي تدل عليه وتطقطع بوجوده ، كما تشي بتدبّره وتقديره.

[الآية ١٨] : ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعْتُ﴾ (١٨) أفلًا ينظرون إليها كيف رفعت؟

من ذا رفعها بلا عمد ، ونشر فيها التجوم بلا عدد ، وجعل فيها هذه البهجة وهذا الجمال؟

[الآية ١٩] : ﴿وَإِلَى الْجَبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ (١٩) والجبل ملجاً وملادّ ، وأنيس

وصاحب ، ومشهد يوحى إلى النفس الإنسانية جلالاً واستهواها ، حيث يتضاءل الإنسان إلى جواره ويستكين ، ويخشع للجلال السامي للرّزّين ، «ونصب الجبال إقامتها علما للسّائر ، وملجاً من الجائر ، وهي في

الأغلب نزهة للناظر» ، وأمان وحفظ لتوازن الأرض ، قال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمْيِدَ بِحِمْ﴾ [الأنبياء / ٣١] وقال سبحانه : ﴿وَالْجِبالُ أَوْتَادٌ﴾ (٧) [النَّبَأُ] أي وسيلة لحفظ نظام الأرض من الزلازل والبراكين وغيرها.

[الآية ٢٠] : ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحْتُ﴾ (٢٠) والأرض مسطوحة أمام النظر ، ممهدة للحياة والسير والعمل ، والناس لم يسطحوها كذلك ، فقد سطحت قبل أن يكونوا هم ، أفلأ ينظرون إليها؟ ويتذمرون ما وراءها ، ويسألون من سطحها ومهدها هكذا للحياة تمهيدا؟

«وقد أيقظ القرآن الحس ، ولفت النظر ، إلى مشهد كلّي يضم منظر السماء المروعة ، والأرض المسوطة ، وفي هذا المدى المتطاول تبرز الجبال منصوبة السنان ، لا رأسية ولا ملقاء ، وتبرز الجمال منصوبة السنام : خطان أفقيان ، وخطان رأسيان ، في المشهد الهائل ، في المساحة الشاسعة ، وهي لوحة متناسقة الأبعاد والاتجاهات ، على طريقة القرآن في عرض المشاهد ، وفي التعبير بالتصوير على وجه الإجمال».

والآن بعد الجولة الأولى في عالم الآخرة ، والجولة الثانية في مشاهد الكون المعروضة ، يخاطب القرآن النبي الكريم ، بقول الله تعالى :

[الآيات ٢١ - ٢٤] : ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ﴾ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِعُصَيْطِرٍ (٢٢) إِلَّا مَنْ تَوَلَّ وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذَّبَ اللَّهُ الْعَذَابُ الْأَكْبَرُ﴾ (٢٤).

فعظمهم يا محمد بآيات القرآن ، وذكّرهم بالدعوة إلى الإله الواحد القهار ؛ فالإنسان بفطرته ميسّر للإذعان بقدرة الله جل جلاله وبديع صنعته ؛ وإنما قد تتحمّل الغفّارات ، فتحتاج النفوس إلى مذكور يردها إلى الحق والصواب.

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ﴾ (٢١) أي إنما بعثت للتذكير فحسب ، وليس عليك هداهم ؟ إن عليك إلا البلاغ ، وتبلغ الدعوة وترك الناس أحرازاً في اعتقادهم ، فلا إكراه في الدين ، ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِعُصَيْطِرٍ﴾ (٢٢) والمسيطير : المسلط ، فأنت لا تجبرهم على الإيمان. قال تعالى : ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَيَارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدٍ﴾ (٤٥) [ق].

فمن تولى عن الحق ، وكفر بآيات

الله ، وأنكر الدعوة ، فإنّ حسابه ، إلى الله المطلّع على القلوب ، وصاحب السلطان على السرائر ، وسوف يعذّبه الله العذاب الأكبير في الآخرة ، وقد يضمّ إلى عذاب الآخرة عذاب الدنيا.

[الآياتان ٢٥ و ٢٦] : ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَّاكُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابُكُمْ﴾ (٢٦) ؛ وتحتم السورة بهذا الإيقاع المناسب ، لتأكيد دور الرسول في البلاغ. أمّا الجزاء والحساب فسيكون في يوم الدين ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ، إن إلينا إياكم ورجوعهم ، ثم إن علينا وحدينا حسابهم وجزاءهم ، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١٩٩) [آل عمران]. قال تعالى : ﴿وَنَصَّعَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا هَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (٤٧) [الأنبياء].

مقاصد السورة

- ١ - وصف أهل النار وأهل الجنة.
- ٢ - وصف مشاهد الكون وبدائع الصناعة الإلهية.
- ٣ - تحديد مهمة الرسول (ص) بالبلاغ والدعوة إلى الهدایة.

γ\λ

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «الغاشية»^(١)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة الغاشية بعد سورة الذاريات ، ونزلت سورة الذاريات بعد الإسراء وقبل الهجرة ، فيكون نزول سورة الغاشية في ذلك التاريخ أيضاً .
وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم ، لقوله تعالى في أولها : ﴿هَلْ أَتَكَ حَدِيثُ
الْغَاشِيَةِ﴾^(١) ، وتبلغ آياتها ستاً وعشرين آية .

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة تفصيل الشواب والعقاب في يوم القيمة ، وهذا هو سياق الإنذار والترحيب والترغيب ، وبهذا تشبه هذه السورة سورة الأعلى في سياقها ، وتكون هناك مناسبة في ذكرها بعدها .

تفصيل الثواب والعقاب

الآيات [٢٦ . ١]

قال الله تعالى : ﴿هَلْ أَتَكَ حَدِيثُ
الْغَاشِيَةِ﴾^(١) (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ^(٢) (٢) فسائل
سؤال تهويل عما يكون في يوم القيمة ، وأجاب عنه بأنه يكون فيها وجوه خاشعة عاملة
ناصبة ، تصلى نارا حامية إلخ ؛ ووجوه ناعمة ، لسعيها راضية ، في جنة عالية إلخ ؛ ثم
أمرهم سبحانه أن ينظروا كيف خلق الإبل ورفع السماء ، إلى غير هذا مما ذكره ليستدل به
على قدرته على بعثهم ،

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «النظم الفيّي في القرآن» ، للشيخ عبد المعال الصعيدي ، مكتبة الآداب بالجمايـر . المطبعة النموذجية بالحكمة الجديدة ، القاهرة ، غير مؤرخ .

ليلقوا ما ذكره من عقابهم وثوابهم ؛ ثمّ أمر النبي (ص) أن يقتصر على تذكيرهم بهذا ، ولا يهمّه أن يؤمّنوا أو يكفروا لأنّه ليس بمسيطر عليهم ، ولكن من كفر منهم فيعذّبهم العذاب الأكبر : ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَاجُهُمْ﴾ (٢٥) ثمّ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ﴾ (٢٦).

المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «الغاشية»^(١)

أقول : لما أشار سبحانه في سورة الأعلى بقوله تعالى : ﴿سَيَدْكُرُ مَنْ يَخْشِي﴾ (١٠) و﴿يَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى﴾ (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ (١٢) إلى قوله : ﴿وَالآخِرَةُ حَيْزٌ وَأَبْقَى﴾ (١٧) ، إلى المؤمن والكافر ، والنار والجنة إجمالاً ، ففصل ذلك في هذه السورة ، فبسط صفة النار والجنة مستندة إلى أهل كلّ منهما ، على نمط ما هنالك ، ولذا قال هنا : ﴿عَامِلَةٌ نَاصِيَةٌ﴾ (٣) ، في مقابل : ﴿الْأَشْقَى﴾ (١١) هناك وقال هنا : ﴿تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾ (٤) إلى : ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ (٧) ، في مقابل : ﴿يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ (١٢) هناك . ولما قال هناك في الآخرة : ﴿حَيْزٌ وَأَبْقَى﴾ (١٧) ؛ وبسط هنا صفة الجنة أكثر مما بسط صفة النار ، تحقيقاً لمعنى الحيرية .

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب : «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطى ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، دار الاعتصام ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.

المبحث الرابع

لغة التنزيل في سورة «الغاشية»^(١)

قال تعالى : ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ (٦).

والضرّيع : نبات أخضر منتن. أقول : وما زال القرويون في العراق يصفون طعامهم كالتمر والسمك بأنه «مضريع» أي : منتن فاسد.

(١) انتقى هذا المبحث من كتاب «من بدائع لغة التنزيل» ، لإبراهيم السامرائي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، غير مؤرخ.

المبحث الخامس

المعاني اللغوية في سورة «الغاشية»^(١)

واحد «نمارق» في الآية ١٥ : النمرة.

وقال تعالى : ﴿لَاغِيَةً / ١١﴾ [الآية ١١] أي : لا تسمع كلمة لغو ، وجعلها (لاغية). والحجّة في هذا أنك تقول : «فارس» لصاحب الفرس ، و «دارع» لصاحب الدّرع ، و «شاعر» لصاحب الشّعر. وقال الشاعر^(٢) [من مجزوء الكامل وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد المائتين] :

أغْرَرْتِنِي وَزَعَمْتَ أَنِّي لَابْنٌ بِالصَّيْفِ تَامِّرٌ^(٣)
أي : صاحب ابن ، وصاحب تمّر.

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش ، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد ، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب ، بيروت ، غير مؤرخ.

(٢). هو الخطيب. ديوانه ١٦٨ ، والكتاب وتحصيل عين الذهب ٢ / ٩٠ ، وإعراب القرآن ٣ / ١٤٧٩.

(٣). في إعراب القرآن والخصائص ب «غررتني» وفي الكتاب وتحصيل عين الذهب ب «فغررتني».

المبحث السادس

لكل سؤال جواب في سورة «الغاشية»^(١)

فإن قيل : لم قال الله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ (٢) عاملةً ناصيةً (٣) تصلى ناراً حاميةً (٤) مع أن جميع أبدانهم أيضاً تصلى النار؟

قلنا : الوجه يطلق ويراد به جميع البدن ، كما في قوله تعالى ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُومِ﴾ [طه / ١١١] وقيل : إن المراد بالوجوه هنا الأعيان والرؤساء ، كما يقال : هؤلاء وجوه القوم ، ويا وجه العرب : أي ويا وجههم ، وبؤيد هذا القول ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال : إن المراد به الرهبان وأصحاب الصوامع .

فإن قيل : كيف ارتبط قوله تعالى : ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَيِ الْأَيْلِ كَيْفَ خُلِقُتْ﴾ (١٧) بما قبله ، وأيّ مناسبة بين السماء والإبل والجبال والأرض حتى جمع بينهما؟

قلنا : لما وصف الله تعالى الجنة بما وصف ، عجب من ذلك الكفار ، فذكرهم بعجائب صنعه . وقال قتادة : لما ذكر ارتفاع سرر الجنة قالوا : كيف نصعدها؟ فنزلت هذه الآية : ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَيِ الْأَيْلِ﴾ [آلية ١٧] اعتبار كيف (خليقت) للنهوض بالأثقال وحملها إلى البلاد البعيدة ، وجعلت تبرك حتى تحمل وتركب عن قرب ويسر ، ثم تنهض بما حملت ، فليس في الدواب ما يحمل عليه وهو بارك ويطيق النهوض إلا هي ، وسحرت لكل من قادها حتى الصبي الصغير ، ولما

(١). انتقي هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها» ، لحمد بن أبي بكر الرازي ، مكتبة البابي الحلي ، القاهرة ، غير مؤرخ.

جعلت سفائن البر أعطيت الصبر على احتمال العطش عشرة أيام فصاعدا ، وجعلت ترعى كل نبات في البراري والمفاوز مما لا يرعاه سائر البهائم ، وإنما لم يذكر الفيل والزرافة وغيرها مما هو أعظم من الجمل لأن العرب لم يروا شيئاً من ذلك ولا كانوا يعرفونه ، ولأن الإبل كانت أنفس أموالهم وأكثرها لا تفارقهم ولا يفارقونها ؛ وإنما جمع بينها وبين ما بعدها لأن نظر العرب قد انتظم هذه الأشياء في أوديتيهم وبواديهم ، فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظيرهم وكثرة ملابستهم ومخالفتهم ؛ ومن فسر الإبل بالسحاب والماء ، قصد بذلك طلب المناسبة بطريق تشبيه الإبل بالسحاب في السير وفي النشط أيضاً في بعض الأوقات ، لا أنه أراد أن المراد من الإبل السحاب حقيقة ؛ وقد جاء في أشعار العرب تشبيه السحاب بالإبل كثيراً ، وقد شبهه ابن دريد أيضاً بالسحاب في قصيده. وقرأ أبي بن كعب وعائشة رضي الله عنهمما الإبل بتشديد اللام. قال أبو عمرو وهو اسم للسحاب الذي يحمل الماء ، والله أعلم.

المبحث السابع

المعاني المجازية في سورة «الغاشية»^(١)

في قوله سبحانه : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ (٢) عاملة ناصية^(٣) استعارة.

والمراد بالوجوه هاهنا أرباب الوجوه. ومثل ذلك قوله تعالى : في السورة التي يذكر فيها القيامة : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ (٢٢) إلى رِكَابِ نَاطِرَةٍ^(٤) [القيامة]. والدليل على ما قلنا إضافته سبحانه النظر إليها ، والنّظر إنما يصح من أربابها لا منها : لأنّه تعالى قال عقب ذلك : ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ (٢٤) تَنْطُنُ أَنْ يُفْعَلَ إِلَيْهَا فَاقِرَةٌ^(٥) (٢٥) [القيامة] وكذلك قوله تعالى هاهنا : ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ^(٦) (٩) ، والرضا والستخط إنما يوصف به أصحاب الوجوه. فانكشف الكلام على الغرض المقصود.

وقوله تعالى : ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ (١٠) لا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً^(٧) (١١) استعارة. وقد مضت لها نظائر كثيرة جداً فيما تقدم من كلامنا. أي لا تسمع فيها كلمة ذات لغو. فلما كان صاحب تلك الكلمة يسمى لاغيا بقولها ، سميت هي لاغية ، على المبالغة في وصف اللغو الذي فيها.

وقال بعضهم : معنى ذلك : لا يسمع فيها نفس حالفة على كذب ، ولا ناطقة برفث. لأن الجنة لا لغو فيها ولا رفت ، ولا فحش ولا كذب.

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب : «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي ، تحقيق محمد عبد الغني حسن ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، غير مؤرخ.

سورة الفجر

٨٩

المبحث الأول

أهداف سورة «الفجر»^(١)

سورة «الفجر» سورة مكّية ، آياتها ٣٠ آية ، نزلت بعد سورة «الليل». تبدأ السورة بالقسم ، فتقسم بالفجر ، والليالي العشر ، والشفع والوتر ، على أن الإسلام حق ، وأنّ البعث والحساب حق. وقد ضربت أمثلة من أهللكه الله تعالى من المعاندين كعاد وثود ، وذكرت تصوّرات الإنسان غير الإيمانية ، وسوء فهمه لاختبار الله له بهذه النعم. ثم ردّت على هذه التصوّرات ، ببيان الحقيقة التي تتبع منها هذه التصوّرات الخاطئة ، وهي الجحود والأثرة وحبّ المال والملتهة.

ثم وصفت مشهداً عنيفاً من مشاهد الآخرة ، ويظهر فيها جلال الله سبحانه ، وتظهر الملائكة للحساب ، وتظهر جهنّم أمام العصاة ؛ وفي الختام نداء نديّ رخيّ للنفس المطمئنة ، بأنّ تعود إلى رضوان الله وجنته.

ومن هذا الاستعراض السريع ، تبدو الألوان المتعددة في مشاهد السورة ، كما يبدو تعدد نظام الفواصل ، وتغيير حروف القوافي ، بحسب تنوع المعاني والمشاهد.

[فالآيات ١ . ٥] تنتهي بالراء مثل ﴿وَالْفَجْرُ﴾ (١) و﴿لَيَالٍ عَشْرٍ﴾ (٢) والآيات [٦ -

١٤] تنتهي بحرف الدال مثل ﴿أَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رِبُّكَ بِعَادٍ﴾ (٦).

[والآيات ١٥ و ١٦] : تنتهيان بحرف النون ، والآيات الباقية متنوّعة فيها الميم والتاء

والهاء.

(١). انتقى هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها» ، لعبد الله محمود شحاته ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩ - ١٩٨٤.

والقسم الأول من السورة فيه ندأة الفجر وجماله. وفضل الليالي العشر ، وثواب الشفع والوتر من الصلاة.

والقسم الثاني ينتهي بالدال ، وفيه بيان القوة في الاتقام من الظالمين. وقد ذكر الفيروزآبادي أن معظم مقصود السورة ما يأتي : «تشريف العيد وعرفة ، وعشر الحرم ، والإشارة إلى هلاك عاد وثود وأضرابهم ، وتفاوت حال الإنسان في النعمة ، وحرصه على جمع الدنيا والمال الكثير ، وبيان حال الأرض في القيامة ، ومجيء الملائكة ، وتأسف الإنسان يومئذ على التقصير والعصيان ؛ وأن مرجع العبد المؤمن عند الموت إلى الرحمن والرضوان ونعميم الجنان».

مع آيات السورة

[الآية ١] : أقسم الله سبحانه وتعالى بالفجر ، وهو الوقت الذي يدبر فيه الليل ، ويتنفس الصباح في يسر وفرح وابتسم ، وإناس ودود ندي ، ويستيقظ الوجود رويدا رويدا.

[الآية ٢] : ﴿وَلِيَالِ عَشْر﴾ (٢) قيل هن العشر الأوائل من الحرم ، وقيل العشر الآخر من رمضان ، وفيها ليلة القدر ، وقيل هي العشر الأوائل من ذي الحجة وفيها يوم عرفة وعيد الأضحى.

[الآية ٣] : ﴿وَالشَّفْعُ وَالوَتْر﴾ (٣) أي الزوج والفرد من الأعداد ، والشفع والوتر من الصلاة ، أو أيام التشريق وفيها رمي الجمار بمنى ، فمن شاء رمى في يومين ومن شاء مكث ثلاثة أيام.

واليومان : شفع ، والثلاثة : وتر ، قال تعالى : ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمٌ عَلَيْهِ﴾ [البقرة / ٢٠٣].

[الآية ٤] : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ (٤) أي يسرى فيه ، كما يقال ليل نائم ، أي ينام فيه. وقيل معنى ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ (٤) أي ينصرم وينقضي مسافرا بعيدا ، ويسري راحلا ، وأصله يسري فحذفت الياء لدلالة الكسرة عليها في الوصل ، وحذفت الياء ، مع الكسرة في الوقف.

[الآية ٥] : ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسْمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ (٥) : أي هل في ما أقسمت به ، من جمال الفجر ، وجلال الأيام العشر ، وثواب الشفع والوتر ، ولطف الليل إذا يسر ، مقنع لذي لب وعقل. وسي العقل حجرا لأنه يمنع صاحبه عن الشر ، ويجراه عمما لا يليق.

[الآيات ٦ - ٨] : ألم تعلم يا محمد ، أو ألم تعلم أيها المخاطب ، كيف فعل ربك بعد ، وهم الذين أرسل إليهم هود عليه السلام فكذبواه ، ومن قبيلة عاد «إرم» وكانوا طوال الأجسام ، أقوياء الشكيمة ، يقطنون ما بين عمان وحضرموت واليمن ، وكانوا بدوا ذوي خيام تقوم على عماد ، وقد وصفوا في القرآن بالقوة والبطش ، فقد كانت قبيلة عاد أقوى قبيلة في وقتها وأميزها : ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلِقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ (٨) في ذلك الأوان.

[الآية ٩] : ﴿وَتَحْوِدُ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ (٩) وكانت ثمود تسكن بالحجر ، في شمال الجزيرة العربية بين المدينة والشام ، وقد قطعت الصخر وشيدته قصورا ، كما نحتت في الجبال ملاجئ ومغارات.

[الآية ١٠] : ﴿وَفَرْعَوْنُ﴾ [الآية ١٠] وهو حاكم مصر في عهد موسى عليه السلام ، وهو صاحب المباني العظيمة والهيكل الضخمة ، التي تمثل شكل الأوتاد المقلوبة. وقيل الأوتاد تعني القوة والملك الثابت ، لأن الوتد هو ما تشد إليه الخيام لتشتيتها ، واستعمل هنا مجازا إشارة إلى بسطه ، وحكمه الوطيد الأركان.

وقد جمع الله ، سبحانه ، في هذه الآيات القصار ، مصارع أقوى الجبارين ، الذين عرفهم التاريخ.

[الآيات ١١ - ١٤] : ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾ (١١) ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ (١٢) أي هؤلاء الذين سلف ذكرهم ، من عاد وثمود وفرعون وجنده ، جميعاً تجاوزوا الحد وكفروا بنعمة الله عليهم ، وأكثروا في البلاد الفساد ، وارتكاب المعاصي ، فكفروا وقتلوا وظلموا ، فأنزل الله عليهم العذاب بشدة مع توالي ضرباته.

وقد شبه الله تعالى ما يصبه عليهم من ضروب العذاب بالسوط ، من قبل أن السوط يضرب به في العقوبات ، وما وقع بهم من ألوان العذاب ، كان عقوبة لأنواع الظلم والفساد. إن الله سبحانه وتعالى يرى ويحاسب ويجازي وفق ميزان دقيق لا يخطئ ولا يظلم ، وقد سجل الله عليهم أعمالهم كما يسجل الراصد الذي يرقب فلا يفوته شيء.

[الآيات ١٥ و ١٦] : إن الإنسان إذا اختبره الله سبحانه وتعالى : فوسع عليه في الرزق ، وبسط له في النعمة ، ظن

غوروا أَنَّ اللَّهَ راضٌ عَنْهُ ، وَتَخَيَّلَ أَنَّهُ لَنْ يَحْاسِبَهُ عَلَى ظُلْمِهِ وَأَفْعَالِهِ .

وإذا امتحنه بالفقر فضيق عليه رزقه وقته ، فلم يسع عليه ، فيقول إنَّ ربي أذلني بالفقر ، ولم يشكر الله على ما وهب له ، من سلامه الجوارح ، وما رزقه من الصحة والعافية . قال الإمام محمد عبده : «وَأَنْتَ تُرِي أَنَّ أَحْوَالَ النَّاسِ إِلَى الْيَوْمِ لَا تَرَالَ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ، فَإِنَّ أَرْبَابَ السُّلْطَةِ وَالْقُوَّةِ يَظْنُونَ أَنَّهُمْ فِي أَمْنٍ مِّنْ عِقَابِ اللَّهِ ، وَلَا يَعْرِفُونَ شَيْئاً مِّنْ شَرِّهِ يَمْنَعُهُمْ عَنِ الْعَمَلِ مَمَّا تَسْوِقُ إِلَيْهِ شَهْوَاتِهِمْ ، وَإِنَّمَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ بِأَسْنَتِهِمْ ، وَلَا تَتَأْثِيرُ قُلُوبُهُمْ بِهَذَا الذِّكْرِ . وَقَرِيبٌ مِّنْ هَذِهِ الْمَعْانِي قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ حَلْقَ هَلْوَاعًا﴾ (٢١) ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَرُوعًا﴾ (٢٠) ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنْوِعًا﴾ (٢٢) [المعاج] .

«تعلم أن المخاطبين بهذه الآيات كانوا يرعمون أنهم على شيء من دين إبراهيم (ع) ، أو أنهم كانوا يدعون أن لهم دينا يأمرهم وينهاهم ، ويقتربون إلى الله زلفي ، فإذا سمعوا هذا التهديد وذلك الوعيد ، وسوست لهم نفوسهم بأن هذا الكلام إنما ينطبق على أناس ممن سواهم ؛ إنما هم ، فلم يزالوا من الشاكرين الذاكرين غير الغافلين» ، فالله جل جلاله يرد عليهم زعمهم ويقيم لهم دليلا واضحا على كذب ما تحدّثهم به أنفسهم ، ويقول :

[الآية ١٧] : ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتَيمَ﴾ (١٧) أي لو كان غنيّكم لم يعمه الطغيان ، وفقيركم لم يطمس بصيرته الهوان ، لشاطرتم اليتيم إحساسه ، فواسيتموه وعطفتم عليه ، حتى ينشأ كريم النفس .

[الآية ١٨] : ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ (١٨) وقد كان مجتمع مكّة مجتمع التكالب على جمع المال بكلفة الطرق ، فورثت القلوب القسوة والبخل ، وانصرفت عن رحمة اليتيم ، وعن التعاون على رحمة المسكين .

[الآية ١٩] : ﴿وَتَأْكُلُونَ الْرِّثَاثَ أَكْلًا لَمَّا﴾ (١٩) والتراث هو الميراث الذي يتركه من يتوفّ ، أي إنّكم تشتدّون في أكل الميراث حتى تحرموا صاحب الحق حقّه .

[الآية ٢٠] : ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمِّا﴾ (٢٠) وقيلون إلى جمع المال ميلاً شديداً ، يصل إلى حد الشرابة .

«وَخَلَاصَةُ ذَلِكَ : أَنْتُمْ تُؤثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ ، إِذْ لَوْ كُنْتُمْ مِّنْ غَلْبِ عَلَيْهِمْ حَبَّ الْآخِرَةِ لَا نَصْرَفْتُمْ عَمَّا يَرْتَكِبُ الْمَوْتَى مِيراثًا لِأَيْتَامِهِمْ ، وَلَكُنُّكُمْ تَشَارِكُونَهُمْ فِيهِ ، وَتَأْخُذُونَ شَيْئًا لَا كَسْبٌ لَكُمْ فِيهِ ، وَلَا مَدْخَلٌ لَكُمْ فِي تَحْصِيلِهِ وَجْعَهُ ؛ وَلَوْ كُنْتُمْ مِنْ اسْتَحْبَّوْا الْآخِرَةِ ، لَمَا ضَرَبْتُ نُفُوسَكُمْ عَلَى الْمَالِ ، تَأْخُذُونَهُ مِنْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُ مِنْ حَلَالٍ أَوْ مِنْ حَرَامٍ . فَهَذِهِ أَدْلَلَةٌ تُرْشِدُ إِلَى أَنَّكُمْ لَسْتُمْ عَلَى مَا ادْعَيْتُمْ مِنْ صَلَاحٍ وَإِصْلَاحٍ ، وَأَنْكُمْ عَلَى مَلْهُةِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ» .

[الآيات ٢١ - ٢٤] : ﴿كَلَّا إِذَا دَكَّتِ الْأَرْضُ دَكَّا دَكَّا﴾ (٢١) ، وَدَكَّ الْأَرْضَ تَحْطِيمَ مَعَالِمِهَا وَتَسوِيتِهَا ، وَهُوَ أَحَدُ الْانْقَلَابَاتِ الْكُوْنِيَّةِ ، الَّتِي تَقْعُدُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ . يَرِدُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ مَقَالَتِهِمْ وَفَعْلَتِهِمْ ، وَيَنْذِرُهُمْ أَهْوَالَ الْقِيَامَةِ ، إِذَا دَكَّتِ الْأَرْضُ وَأَصْبَحَتْ هَبَاءً مِنْبَتاً ، وَزَلَّتْ زَلَّالًا شَدِيدًا ، وَبَخَلَّتْ عَظَمَةُ اللَّهِ سَبْحَانَهُ ، وَنَزَّلَتْ مَلَائِكَةً كُلَّ سَمَاءٍ فَيَصْطَطُونَ صَفَّا بَعْدَ صَفَّ ، بِحَسْبِ مَنَازِلِهِمْ وَمَرَابِطِهِمْ ، وَكَشَفَتْ جَهَنَّمُ لِلنَّاظِرِينَ ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ غَايَةً عَنْهُمْ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿وَبُرِزَّتِ الْجَحِيْمُ لِمَنْ يَرِي﴾ (٣٦) [النَّازُّاتِ] .

حِينَئِذٍ تَذَهَّبُ الْغَفَلَةُ ، وَيَنْدَمُ الْإِنْسَانُ عَلَى مَا فَرَّطَ فِي حَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَيَتَذَكَّرُ مَعَاصِيهِ ، وَيَتَمَّنِي أَنْ يَكُونَ قَدْ عَمِلَ صَالِحًا فِي دُنْيَا ، لِيَنْفَعَهُ فِي حَيَاةِ الْآخِرَةِ ، الَّتِي هِيَ الْحَيَاةُ الْحَقِيقِيَّةِ .

«وَتَرِى مِنْ خَلَالِ هَذِهِ الْآيَاتِ ، مَشَهِداً تَرْتَحَفُ لَهُ الْقُلُوبُ وَتَخْشَعُ لَهُ الْأَبْصَارُ ، وَالْأَرْضُ تَدَكُّ دَكَّا ، وَالْجَبَارُ الْمُتَكَبِّرُ يَتَجَلَّ وَيَتَوَلَّ الْحُكْمُ وَالْفَصْلُ ، وَتَقْفَ الْمَلَائِكَةُ صَفَّا صَفَّا ، ثُمَّ يَجِاءُ بَجَنَّهُمْ فَتَقْفَ مَتَّهَبَةً هِيَ الْأُخْرَى» (١) . وَتَبَعُ الْحَسْرَةُ وَالذِّكْرُ الْأَلِيمَةُ مِنْ فَرَطِهِ فِي حُقُوقِ اللَّهِ ، فَيَتَذَكَّرُ بَعْدَ فَوَاتِ الْأُوَانِ ، وَيَتَمَّنِي أَنْ يَكُونَ قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ .

[الآيَاتِ ٢٥ وَ ٢٦] : ﴿فَيُؤْمِنُ الَّذِي لَا يُعَذَّبُ بِعَذَابَةٍ أَحَدٌ﴾ (٢٥) وَلَا يُؤْثِقُ وَثَاقَةً أَحَدٌ﴾ (٢٦) الْوَثَاقُ : الشَّدَّ بِالْأَغْلَالِ .

فِي هَذَا الْيَوْمِ الْعَصِيبُ نَرِى لَوْنًا مُتَفَرِّدًا مِنْ أَلْوَانِ الْعَذَابِ ، لَقَدْ كَانَ

(١) فِي ظَلَالِ الْقُرْآنِ لِلْأَسْتَاذِ سَيِّدِ قَطْبٍ ، ٣٠ / ١٥٧ ، بِتَصْرِيفٍ .

المجبارون يملكون أن يعذّبوا من خالفهم في الدنيا ، لكن العذاب اليوم في الآخرة لا يملكه إلا الله ، وهو سبحانه القهار المجبار . الذي يعذّب يومئذ عذابه الفدّ الذي لا يملك مثله أحد ، والذي يوثق وثاقه الفدّ ، ويشدّ المجرمين بالأغلال شدا لا يملك مثله أحد.

وعذاب الله ووثاقه يفصلهما القرآن في موضع آخر ، وفي مشاهد كثيرة ، ولكنّه يجملهما هنا ، حيث يصفهما بالتفرد بلا شبيه من عذاب الخلق جميعاً وواثقهم ، وكأنّ الآية تشير إلى ظلم عاد وثمود وفرعون ذي الأوتاد ، وتتبّه إلى أنّ عذاب الطغاة وواثقهم للناس مهمماً اشتَدَّ في الدنيا ، فسوف يعذّب الطغاة ويُوثقون ، عذاباً ووثاقاً وراء التصورات والظنون.

وفي وسط هذا الهول المرّع ، وهذا العذاب ، والواثق الذي يتجاوز كلّ تصوّر ، تنادي النفس المؤمنة من الملأ الأعلى :

[الآيات ٢٧ - ٣٠] : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَةُ (٢٧) إِذْ جَاءَكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ (٣٠) ، ينادي الله ، عَزَّوجَلَّ ، النفس الثابتة على الحق ، أن تعود إلى جوار الله ، راضية عن سعيها ، مرضيّاً عنها ، فتدخل مع العباد الصالحين ، ومع الرفقـة المؤمنـين ، حيث يدخلـون جميعـاً جـنة الله ، في تكـريم ورـضوان . وفي هذا النداء الرّاضـي ما يمسـح آلام هـذه النـفـس ، وما يـشعرـها بالـغـبـطة مع عـبـاد الله ، وجـنة الله ورـضـوانـه ، فـنعمـ الجـزـاء ، وـنعمـ الشـوـاب ، وـحسنـتـ مـرـتفـقاـ.

خلاصة أهداف السورة

تشتمل سورة الفجر على الأهداف والمقدّسات الآتية :

- ١ - القسم على أنّ عذاب الكافرين واقع لا محالة.
- ٢ - ضرب المثل بالأمم البائدة كعاد وثمود.
- ٣ - كثرة النّعم على إنسان ليست دليلاً على إكرام الله له ، ولا البلاء دليلاً على إهانته وخذلانه.
- ٤ - وصف يوم القيمة وما فيه من أهوال.
- ٥ - تمنّي الأشقياء العودة إلى الدنيا.
- ٦ - كرامة النفوس الرّاضية المرضيّة ، وما تلقـاه من النـعـيم بـجـوارـ رـبـهـ.

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «الفجر»^(١)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة الفجر بعد سورة الليل ، ونزلت سورة الليل بعد سورة الأعلى ، ونزلت سورة الأعلى فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة الفجر في ذلك التاريخ أيضا.

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم ، لقوله تعالى في أواها : ﴿وَالْفَجْرِ﴾ (١) وليالٍ عشرين^(٢) (٢) وتبلغ آياتها ثلاثين آية.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة إثبات عذاب الكافرين ، وقد جاء أكثرها في إنذارهم وتحديدهم ، إلى أن ختمت بشيء من الترغيب لتجتمعهما معا ، وبهذا يشبه سياقها سياق سورة الغاشية ، ويكون ذكرها بعدها مناسبا لها.

إثبات العذاب

الآيات [٣٠ . ١]

أقسم تعالى بالفجر وما ذكر بعده على أئمهم سيعذبون ، وانتقل من إثباته بالقسم إلى إثباته بما حصل لأسلافهم من عاد وثمود وفرعون ؛ ثم ذكر سبحانه أنه لهم بالمرصاد ، فلا يريد منهم إلا السعي للمصلحة العامة في الدنيا والآخرة ؛ وأئمما هم ، فلا يريد الواحد منهم إلا مصلحته الخاصة ، فإذا أكرمه ونعمه رضي ، وإذا أفتر عليه سخط ، ثم يبلغ في الحرص إلى حد

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «النظم الفي في القرآن» ، للشيخ عبد المعال الصعيدي ، مكتبة الآداب بالجمالية . المطبعة النموذجية بالحكمة الجديدة ، القاهرة ، غير مؤرخ.

أنه لا يكرم اليتيم ، ولا يحضّ على طعام المسكين ، ويجمع المال من حيث يتهيأ له من حلال أو حرام ؛ وسيعرف عاقبة ذلك إذا جاء يوم القيمة ، فيومئذ يندم على ما فعل ، ويرى عذابا لا يعذبه أحد ، وواثقا لا يوثقه أحد ؛ أمّا النفس المطمئنة ، فيقال لها : ﴿إِنَّمَا جُنَاحَكُمْ إِلَى رِبِّكُمْ رَاضِيَةٌ مَرْضِيَةٌ﴾ (٢٨) ﴿فَادْخُلُوا فِي عِبَادِي﴾ (٢٩) ﴿وَادْخُلُوا جَنَّتِي﴾ (٣٠).

المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «الفجر»^(١)

أقول : لم يظهر لي من وجہ ارتباطها سوی أنّ أولاً کاالإقسام على صحة ما ختم به السورة التي قبلها ، من قوله جل جلاله : ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ﴾ (٢٥) ثمّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ﴿﴾ (٢٦) [الغاشية]. وعلى ما تضمنه من الوعيد . كما أنّ أول «الذاريات» قسم على تحقيق ما في «ق» ، وأول «المرسلات» قسم على تحقيق ما في «ع». هذا ، مع أنّ جملة : ﴿أَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رِئَكَ بِعَادِ﴾ (٦) هنا ، مشابهة لجملة ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ﴾ [الآية ١٧] في سورة الغاشية^(٢).

(١). انتقي هذا المبحث من كتاب : «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطى ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، دار الاعتصام ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.

(٢). بل هناك وجوه ارتباط أوضح مما ذكر المؤلف . وذلك : أنه تعالى ذكر في «الغاشية» صفة النار والجنة مفصلاة على ترتيب ما ذكر في سورة الأعلى . ثمّ زاد الأمر تفصيلا في «الفجر» بذكرأسباب عذاب أهل النار ، فضرب لذلك مثلاً بقوم عاد ، وقوم فرعون ، في قوله جل وعلا : ﴿أَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رِئَكَ بِعَادِ﴾ (٦) إلى ﴿إِنَّ رِئَكَ لِبِالْمُرْصَادِ﴾ (١٤). ثمّ ذكر بعض عناصر طغيانهم في قوله سبحانه : ﴿كَلَّا بَنَ لَا ثُكْرُونَ الْبَيْتَمِ﴾ (١٧) وما بعدها . فكأنّ هذه السورة إقامة الحجة عليهم.

وكذلك جاء في الغاشية : ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ﴾ (٢١) ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ (٢٢) [الغاشية]. ثم ذكر في «الفجر» مادة تذکیر من كان قبلهم من الكفار ، وأنه سيعذبهم في الآخرة ، وأن الندم لن ينفعهم شيئاً ، فقال تعالى : ﴿وَجِيءُ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّ لَهُ الذَّكْرَ﴾ (٢٣) يقول يا لئيني قدَّمتْ حَيَاتِي﴾ (٢٤).

المبحث الرابع

مکنونات سورۃ «الفجر»^(۱)

أخرج سعيد بن منصور عن ابن عباس قال :

١ . ﴿وَالْفَجْر﴾ (١).

الحرّم ، هو فجر السنة^(٢).

٢ . ﴿وَلِيَالِ عَشْر﴾ (٢).

هي عشر الأضحى. كما أخرجه أحمد والنسائي عن جابر مرفوعا. وأخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس^(٣).

وأخرج عنه أيضاً أنها العشر الأواخر^(٤) من رمضان.

٣ . ﴿فَإِنَّمَا الْإِنْسَان﴾ [١٥].

قال ابن جريح : نزلت في أمية بن خلف أخرجه ابن أبي حاتم.

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «مفہمات القرآن فی مبھمات القرآن» للستیوطی ، تحقیق إیاد خالد الطبّاع ، مؤسسة الرسالة ، بیروت ، غیر مؤرخ.

(٢). ذکر الطبری فی «تفسیره» ٣٠ / ١٠٧ أقوالاً أخرى فی معنی «الفجر» هنا ، فقيل : هو النهار ، وقيل : صلاة الصبح ، وقيل : فجر الصباح.

(٣). والطبری ٣٠ / ١٠٧.

(٤). وذكر الطبری فی «تفسیره» أقوالاً فی بعض السلف قالوا : بأن «العشر» أول السنة من محّرم. قال أبو جعفر الطبری علیه السلام : «والصواب من القول فی ذلك عندنا أنها عشر الأضحى لإجماع الحجّة من أهل التأویل عليه».

γξξ

المبحث الخامس

لغة التنزيل في سورة «الفجر»^(١)

١ . قال تعالى : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ (٤).

﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسْمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ (٥).

حذفت الياء من ﴿يَسْرِ﴾ (٤) اكتفاء بالكسرة ، ذلك أمر يقتضيه تناسب الفواصل

والفجر ، وليال عشر ، والشفع والوتر ﴿وَالنَّعْجَر﴾ (١) ﴿وَلَيَالٍ عَشْر﴾ (٢) ﴿وَالشَّفْعُ وَالوَتْر﴾ (٣)

...

وقوله تعالى : «حجر» أي : عقل. أقول : ومن المفيد أن نشير إلى أن «الحجر» و«الحصاة» من كلمات العقل. ألا يكون هذا لأن العقل وصف عندهم بالرزانة والرسوخ

فاستعير له شيء من مادة صلبة قوية هي الحجر والحصى ! لعل شيئاً من هذا!

وليس كما قالوا لأن العقل «يحجر» عن التهافت فيما لا ينبغي.

وعندى أن الفعل «حجر» ، بمعنى : منع ونهي «ولد» بعد استعارة كلمة «الحجر»

للعقل ، والله أعلم.

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «من بدیع لغة التنزيل» ، لإبراهيم السامرائي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، غير مؤرخ.

المبحث السادس

المعاني اللغوية في سورة «الفجر»^(١)

قال تعالى : ﴿بِعَادِ﴾ (٦) ﴿إِرَم﴾ [الآية ٧] فجعل بعضهم ﴿إِرَم﴾^(٢) اسم عاد وبعضهم قرأ ﴿بِعَادِ﴾ (٦) فأضافه إلى ﴿إِرَم﴾^(٣) فإما أن يكون اسم أبيهم إضافة إليهم ، وإما بلدة ؛ والله أعلم. وقال تعالى : ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ [الآية ١٦]. وقرأ بعضهم (قدّر)^(٤) مثل (قتّر) ؛ وأما (قدّر) فمعناه : يعطيه بالقدر.

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش ، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد ، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب ، بيروت ، غير مؤرخ.

(٢). نسبت في إعراب ابن خالويه ٧٦ إلى الضّحّاك ، وفي المحتسب ٢ / ٣٥٩ إلى ابن التّبّير ، وفي الجامع / ٢٠ ، والبحر ٨ / ٤٦٩ إلى العامة والجمهور.

(٣). في الشواذ ١٧٣ إلى ابن التّبّير ، وكذلك في المحتسب ٢ / ٣٥٩ ، وفي الجامع ٢٠ / ٤٤ إلى الحسن وأبي العالية ، وفي البحر ٨ / ٤٦٩ إلى الحسن وحده.

(٤). نسبت في معاني القرآن ٣ / ٢٦١ إلى أبي جعفر ونافع ، وفي الطّبرى ٣٠ / ١٨٢ إلى أبي جعفر وأبي عمرو بن العلاء ، وفي الجامع ٢٠ / ٥١ إلى ابن عامر ، وفي البحر ٨ / ٤٧٠ إلى أبي جعفر وعيسيٍ وخالد والحسن بخلاف عنه ، وابن عامر.

γξλ

المبحث السابع

لكل سؤال جواب في سورة «الفجر»^(١)

إن قيل : لم نَّكِرْتُ الْلَّيَالِي الْعَشْرَ دُونَ سَائِرِ مَا أَقْسَمْتُ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى ، وَلَمْ لَمْ تَعْرِفْ بِلَامِ
الْعَهْدِ وَهِيَ لِيَالِي مَعْلُومَة ؟ فَإِنَّمَا لِيَالِي عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ فِي قَوْلِ الْجَمَهُورِ ؟

قلنا : لَأَنَّهَا مُخْصوصَةٌ مِّنْ بَيْنِ جِنْسِ الْلَّيَالِي الْعَشْرِ بِفَضْلِيَّةٍ لَيْسَ لِغَيْرِهَا ، فَلَمْ يَجْمِعْ
بَيْنَهَا وَبَيْنَ غَيْرِهَا بِلَامِ الْجِنْسِ ، وَإِنَّمَا لَمْ تَعْرِفْ بِلَامِ الْعَهْدِ لِأَنَّ التَّنْكِيرَ أَدْلٌ عَلَى التَّفْخِيمِ
وَالْتَّعْظِيمِ ، بَدْلِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿فَإِنَّهُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الحج / ٣٤] وَنظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿لَا
أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (١) [البلد] بِالتَّعْرِيفِ ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿وَوَالْإِلَهُ﴾ بِالتَّنْكِيرِ ، وَالْمَرَادُ بِهِ آدَمَ
وَإِبْرَاهِيمَ أَوْ مُحَمَّدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، وَلِأَنَّ الْأَحْسَنَ أَنْ تَكُونَ الْلَّامَاتِ كُلُّهَا مُتَجَانِسَةً
، لِيَكُونَ الْكَلَامُ أَبْعَدُ مِنِ الإِلْغاَزِ وَالتَّعْمِيَّةِ ، وَهِيَ فِي الْبَاقِي لِلْجِنْسِ .

فَإِنْ قِيلَ : لَمْ ذَمَ اللَّهُ تَعَالَى إِنْسَانَ عَلَى قَوْلِهِ : ﴿رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ [الآية ١٥] مَعَ أَنَّهُ
صَادِقٌ فِيمَا قَالَ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَكْرَمَهُ بَدْلِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾ [الآية ١٥] ثُمَّ
إِنَّ هَذَا تَحْدِثُ بِالنِّعْمَةِ ، وَهُوَ مَأْمُورٌ بِهِ ؟

قلنا : الْمَرَادُ بِهِ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ مُفْتَخِراً عَلَى غَيْرِهِ ، مُتَطاوِلاً بِهِ عَلَيْهِ ، مُعْتَقِداً اسْتِحْقَاقِ

ذَلِكَ عَلَى رَبِّهِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها» ، محمد بن أبي بكر الرازي ، مكتبة البابي
الحلبي ، القاهرة ، غير مؤرخ.

[القصص / ٧٨] ، مستدلا به على علو منزلته في الدار الآخرة ؛ وكل ذلك منهي عنه. وأما إذا قاله على وجه الشكر والتحدة بنعمة الله ، فليس بذموم ولا منهي عنه.
فإن قيل : لم قال الله تعالى في الجملة الأولى : ﴿فَأَكْرَمَهُ﴾ [آلية ١٥] ولم يقل في الجملة الثانية «فأهانه»؟

قلنا : لأنّ بسط الرزق إكرامه لأنّه إنعام وإفضال من غير سابقة ، وقبضه ليس بإهانة لأنّ ترك الإنعام لا يكون إهانة بل هو واسطة بين الإكرام والإهانة ، فإنّ المولى قد يكرم عبده وقد يهينه ، وقد لا يكرمه ولا يهينه ؛ وتضييق الرزق ليس إلا عبارة عن ترك إعطاء القدر الرائد ، ألا ترى أنه يحسن أن تقول : زيد أكرمني إذا أهدى لك هدية ، ولا يحسن أن تقول : أهانني إذا لم يهد لك؟

فإن قيل : لم قال الله تعالى : ﴿وَجَاءَ رَبِّكَ﴾ [آلية ٢٢] والحركة والانتقال على الله محalan لأنهما من خواص الكائن في جهة؟

قلنا : قال ابن عباس رضي الله عنهم : وجاء أمر ربك لأنّ في القيامة تظهر جلائل آيات الله تعالى ، ونظيره قوله تعالى : ﴿هَلْ يُنْظَرُونَ إِلَّا أَنْ ثَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [النحل / ٣٣] وقيل معناه وجاء ظهور ربك لضرورة معرفته يوم القيمة ؛ ومعرفة الشيء بالضرورة تقوم مقام ظهوره ورؤيته ؛ فمعناه : زالت الشكوك وارتقت الشبه كما ترتفع عند مجيء الشيء الذي كان يشك فيه.

المبحث الثامن

المعاني المجازية في سورة «الفجر»^(١)

في قوله سبحانه : ﴿وَاللَّيلُ إِذَا يَسْرِ﴾ (٤) استعارة. والمراد بسرى الليل دوران فلكه ، وسيران نجومه حتى يبلغ غايته ، ويسبق في قاصيته ، ويختلف النهار موضعه.

وفي قوله سبحانه : ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ (١٠) استعارة. والمراد وفرعون ذي الملك المترقّم (٢) والأمر المتوطّد ، والأسباب المتمهّدة التي استقرّ بها بنيانه ، وتمكّن سلطانه ، كما تثبت البيوت بالأوتاد المضروبة ، والدعائم المنصوبة. وقد مضى نظير ذلك. وقوله سبحانه : ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رِئَكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ (١٣) هو من مكشوفات الاستعارة. والمراد بها العذاب المؤلم ، والتّكال المرمض. لأنّ السوط في عرف عادة العرب يكون على الأغلب سبباً للعقوبات الواقعة ، والآلام الموجعة.

وقال بعضهم : يجوز أن يكون معنى ﴿سَوْطَ عَذَابٍ﴾ أي أوقع عذاب يخالط اللحوم والدماء ، فيسوطها سوطاً ، إذا حرك ما فيها وخلطه. فالسوط على هذا القول هاهنا مصدر وليس باسم.

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب : «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي ، تحقيق محمد عبد الغني حسن ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، غير مؤرخ.

(٢). المترقّم : المتأصل بالسيادة والمجد.

سورة البلد

٩٠

المبحث الأول

أهداف سورة «البلد»^(١)

سورة «البلد» آياتها عشرون ، نزلت بعد سورة «ق». وقد اشتغلت على تعظيم البلد الحرام ، والرسول الأمين ، وتكريم آدم وذراته ، وبيان أن الإنسان خلق في معاناة ومشقة ، في حمله وولادته ورسالته في الحياة ، وحسابه في الآخرة. وجابت السورة أحد المشركين ، وكشفت سوء أفعاله ، ورسمت الطريق الأمثل للوصول إلى رضوان الله.

مع آيات السورة

[الآية ١] : ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلْدِ﴾ (١) : أقسم الله عزّوجلّ بمكّة ، وفيها البيت الحرام والكعبة ، وعندها قبلة المسلمين ، وفيها زمزم والمقام ، والأمن والأمان ، قال تعالى : ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِياماً لِلنَّاسِ﴾ [المائدة / ٩٧]. معنى قياماً : قواماً ، أي يقوم عندها أمر الدين ، حيث يقدم الحجيج فيطوفون ويسعون ، ويؤدون المناسك ، ويشاهدون مهبط الوحي ، وبصير الرجل آمناً بدخوله الحرم : ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران / ٩٧]. وقد ذكر القرآن تكريم مكّة في آيات كثيرة ، فقد ولد بها النبي (ص) ، وبدأ بها نزول الوحي ، ومنها انطلق فجر الإسلام ، وإليها يحجّ الناس ، قال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾

(١). انتقي هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها» ، لعبد الله محمود شحاته ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩ - ١٩٨٤.

لِتُنذِرَ أَمَّا الْقُرْيَ وَمَنْ حَوْهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعَيْرِ ﴿٧﴾

(٧) [الشوري].

[الآية ٢] : **وَأَنْتَ حِلٌّ إِهْدَا الْبَلَدِ** ﴿٢﴾ وأنت مقيم بهذا البلد ، يكرم الله تعالى نبيه محمدا (ص) ، الذي جعله خاتم المسلمين ، وأرسله هداية للعالمين ، وجعل مولده بمكة ؛ وهذا الميلاد يزيد مكّة شرفاً وتعظيمها : لأن أفضل خلق الله يقيم بها ، ويحل بين شعابها ، ويتنقل بين أماكنها داعيا إلى دين الله ، حاملاً وحي السماء ، وهداية الناس.

[الآية ٣] : **وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ** ﴿٣﴾ أقسم الله بأدّم وذراته لكرامتهم على الله ، قال تعالى : **وَلَقَدْ كَرِمْنَا بَنِي آدَمَ** ﴿٢٠﴾ [الإسراء / ٢٠] وقيل : كل والد ومولود ، «والآكثرون على أنّ الوالد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، والولد محمد (ص) ، كأنه أقسم بيده ثمّ بوالده ثمّ به».

[الآية ٤] : **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ** ﴿٤﴾ (الكبد) : المشقة والتعب ، أي أوجدت الإنسان في تعب ومعاناة في هذه الحياة ، فهو في مشقة متتابعة (من وقت احتباسه في الرحم إلى انفصاله ، ثمّ إلى زمان رضاعه ، ثمّ إلى بلوغه ، ثمّ ورود طوارق السرّاء وبوارق الضّراء ، وعلاقة التكاليف ، وعواقب التمدن والععيش عليه إلى الموت ، ثمّ إلىبعث ، من المسائلة وظلمة القبر ووحشته ، ثمّ إلى الاستقرار في الجنة أو النار ، من الحساب والعتاب والحريرة والحسرة) ونظير الآية قوله تعالى : **بِاَيْهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَذَّحاً فَمُلَاقِيهِ** ﴿٦﴾ [الإنشقاق] وقوله سبحانه : **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَنْلُوْكُمْ اَيُّكُمْ اَحْسَنُ عَمَلاً** ﴿٧﴾ [الملك / ٢].

[الآيات ٥ . ١٠] : **أَيْخَسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ** ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لِي بَدِأْ
٦) **أَيْخَسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ** ﴿٧﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدِينَا
النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾. (لبدا) : أي كثيراً ، (النجددين) : الطريقين ، وهما طريقاً الحير والشر.

روي أن هذه الآيات نزلت في بعض صناديد قريش ، الذين كان رسول الله (ص) ، يكابد منهم ما يكابد ، وهو أبو الأشدّ أسيد بن كلدة الجمحى ، وكان مغترّاً بقوته البدنية ، وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة. وسواء أكانت هذه الآيات نزلت في أحدهما أم في غيرهما فإن معناها عام.

والمعنى : أَيْطَرَنِي ذَلِك الصَّنْدِيدُ فِي قَوْمِهِ ، الْمُفْتُونُ بِمَا أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ، أَن لَن يَقْدِرَ أَحَدٌ عَلَى الانتقام مِنْهُ ، وَأَن لَن يَكُونَ هُنَاك حِسَابٌ وَجْزَاءٌ ، فَتَرَاهُ يَبْحَدُ الْقِيَامَةَ ، وَيَتَصَرَّفُ تَصَرُّفَ الْقَوِيِّ الْقَادِرِ ، فَيَطْعُنُ وَيَغْيِي ، وَيَبْطِشُ وَيَظْلِمُ ، وَيَفْسُقُ وَيَفْجُرُ ، دُونَ أَن يَتَرَحَّجُ ، وَهَذِه هِي صَفَاتُ الْإِنْسَانِ الَّذِي يَتَعَرَّى قَلْبَهُ مِنَ الْإِيمَانِ.

ثُمَّ إِنَّهُ إِذَا دُعِيَ لِلْخَيْرِ وَالْبَذْلِ يَقُولُ : ﴿أَهْلَكْتُ مَا لَبِدَ﴾ (٦) وَأَنْفَقَتْ شَيْئًا كَثِيرًا ، فَحَسِبَتْ مَا أَنْفَقَتْ وَمَا بَذَلتْ ، أَيْحَسِبَتْ أَنَّ عَيْنَ اللَّهِ لَا تَرَاهُ ، وَتَعْلَمُ أَنَّ مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ لَهُ أَكْثَرَ مَمَّا أَنْفَقَهُ ، وَتَعْلَمُ أَنَّهُ إِنَّمَا أَنْفَقَ رِيَاءً وَسَعْيًا ، وَطَلَبًا لِلْمُحَمَّدةِ بَيْنَ النَّاسِ.

ثُمَّ بَيْنَ اللَّهِ ، سَبْحَانَهُ ، جَلَائِلُ نِعَمِهِ عَلَى هَذَا الْإِنْسَانِ ، وَعَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ فَقَالَ :

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ (٨) يَبْصِرُ بِهِمَا الْمَرَيَّاتِ ، ﴿وَلِسَانًاً وَشَفَقَتَيْنِ﴾ (٩) لِيَعْبُرَ عَمَّا فِي نَفْسِهِ ، وَلِيَتَمَكَّنَ مِنَ الْأَكْلِ وَالشَّرَابِ ، وَالنَّفْخِ وَالنَّطْقِ. ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (١٠) لِيَخْتَارَ أَيَّهُمَا شَاءَ ، فَفِي طَبِيعَتِهِ الْإِسْتِعْدَادُ لِسُلُوكِ طَرِيقِ الْخَيْرِ أَوْ طَرِيقِ الشَّرِّ ، لَأَنَّ اللَّهَ مِنْهُهُ الْعُقْلُ وَالْتَّفْكِيرُ ، وَالْإِرَادَةُ وَالْإِخْتِيَارُ ، وَمِيزَهُ عَلَى الْمَخْلُوقَاتِ جَمِيعَهَا ، فَالْكُوْنُ كُلُّهُ خَاضِعٌ لِلَّهِ خَضْوَ الْقَهْرِ وَالْغَلْبَةِ ، وَالْإِنْسَانُ هُوَ الْمُتَمَيَّزُ بِالْإِخْتِيَارِ وَالْحِرْبَةِ ، لِيَكُونَ سُلُوكُهُ مُتَسَمًا بِالْمَسْؤُلِيَّةِ.

مفردات الآيات ١١ - ٢٠ :

اقْتَحَمَ الشَّيْءَ : دَخَلَ فِيهِ بَشْدَةً.

الْعَقْبَةُ : هِيَ الطَّرِيقُ الْوَعْرَةُ فِي الْجَبَلِ يَصْعُبُ سُلُوكُهَا.

الْمَسْغَبَةُ : الْمَجَاعَةُ.

مَقْرَبَةُ : قِرَابَةُ.

مَتْرَبَةُ : يَقَالُ تَرَبُ الرَّجُلُ إِذَا افْتَرَ.

الْمَرْحَمَةُ : الرَّحْمَةُ.

أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ : السَّعْدَاءُ.

أَصْحَابُ الْمَشَأْمَةِ : الْأَشْقِيَاءُ.

مَؤْصَدَةُ : مَطْبَقَةُ عَلَيْهِمْ ، مَنْ أَوْصَدَتِ الْبَابَ إِذَا أَغْلَقَتْهُ.

[الآيات ١١ - ١٣] : ﴿فَلَا افْتَحْمَ الْعَقْبَةَ﴾ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقْبَةُ (١٢) فَلَكُ

﴿رَقَبَةٍ﴾ (١٣) بَعْدَ أَنْ بَيْنَ السِّيَاقِ جَلِيلٌ نَعْمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْإِنْسَانِ ، وَبِخَاصَّةِ الْأَغْنِيَاءِ ، أَخْذَ يَحْثُّ أَغْنِيَاءَ مَكَةَ عَلَى صَلَةِ الرَّحْمِ ، وَالْعَطْفِ عَلَى الْمَسَاكِينِ ، وَالْمُشارِكةِ فِي عَنْقِ الرِّقَابِ ، وَالتَّخْفِيفِ عَنِ الْعَبِيدِ وَالْإِمَاءِ.

وقد بدأت الآيات بالحث والتحرير على اقتحام العقبة ، ثم استفهم عنها في أسلوب يراد به التفحيم والتهويل ، ثم أجاب بأنها فك رقبة ، وهي عتق العبد أو الإعانة على عتقه ، والمشاركة في نقله من عالم الأرقاء إلى عالم الأحرار.

[الآية ١٤] : ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْعَةٍ﴾ (١٤) أو إطعام في أيام عوز ومجاعة.

[الآية ١٥] : ﴿بَيْمَا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ (١٥) : إطعام يتيم في يوم المجاعة.

[الآية ١٦] : ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ (١٦) أو إطعام مسكين عاجز عن الكسب ، لصقت بطنه بالتراب من شدة فقره.

[الآية ١٧] : ﴿لَمْ كَانَ مِنَ الظَّالِمِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ (١٧) ،

أي جمع إلى الصفات المتقدمة الإيمان الصادق ، والصبر الجميل وحث الناس عليه والوصية به ، والتواصي بالرحمة والعطف.

ونلحظ أن التواصي بالصبر أمر زائد على الصبر ، ومعناه إشاعة الثبات واليقين والطمأنينة بين المؤمنين. وكذلك التواصي بالرحمة ، فهو أمر زائد على الرحمة ، ويتمثل في إشاعة الشعور بواجب التراحم ، في صفوف الجماعة ، من طريق التواصي به ، والتحاضر عليه ، والخاده واجبا جماعيا فرديا في الوقت ذاته ، يتعارف عليه الجميع ، ويتعاون عليه الجميع. فمعنى الجماعة قائم في هذا التوجيه ، لأن الإسلام دين جماعة ، ومنهج أمة ، مع وضوح التبعية الفردية والحساب الفردي فيه ووضوها كاملا.

[الآية ١٨] : ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ (١٨) أولئك الذين يقتحمون العقبة ،

كما وصفها القرآن وحددها ، هم أصحاب الميمنة ، وأهل الحظ والسعادة ، وهم أصحاب اليمين الفائزون.

[الآية ١٩] : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ وجحدوا دلائل قدرتنا ، وأنكروا آيات الله العظام ، من بعث وحساب ، ونشرور وجراء ، وكذبوا بآيات القرآن ﴿هُمْ أَصْحَابُ الْمَشَأْمَةِ﴾ (١٩) هم أصحاب الشمال ، أو هم أصحاب الشؤم والنحس والخسران.

[الآية ٢٠] : ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ (٢٠) يصلون نارا مطبقة عليهم ، ومغلقة أبوابها لا يستطيعون الفرار منها ،

وسيخلدون فيها.

هذه هي الحقائق الأساسية في حياة الكائن الإنساني ، وفي التصور الإيماني ، تعرض في هذه السورة الصغيرة ، بهذه القوة وبهذا الوضوح ، وهذه هي خاصية التعبير القرآني الفريد.

مقاصد السورة

- ١ . القسم بِكَة وَبَالْنِي الْكَرِيم يبيانا لفضله.
- ٢ . ما ابتلي به الإنسان في الدنيا من التصب والتعب.
- ٣ . اعتبار الإنسان بقوته.
- ٤ . تعداد أنعم الله على الإنسان ، كالعين واللسان والعقل والفكر.
- ٥ . بيان سبيل النجاة الموصولة إلى السعادة.
- ٦ . كفران الآيات سبيل الشقاء.

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «البلد»^(١)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة البلد بعد سورة «ق» ، ونزلت سورة «ق» فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة البلد في ذلك التاريخ أيضاً . وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم ، لقوله تعالى في أولها ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾^(١) وتبليغ آياتها عشرين آية.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة ذم الحرص على الدنيا ، وإنذار من يحرص عليها بأنه من أصحاب المشامة ، وتبشير من لا يحرص عليها بأنه من أصحاب الميمنة ، وهذا هو وجه ذكرها بعد السورة السابقة ، لأنها تأخذ في سياقها ، وتسلك في الترغيب والترهيب مسلكها.

ذم الحرص على الدنيا

الآيات [٢٠ . ١]

قال الله تعالى : ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾^(١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ^(٢) وَوَالِدٌ وَمَا وَلَدَ^(٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبِدٍ^(٤) . فأقسم بمكنته وما ذكر بعدها على أن الإنسان خلق في تعب وشدة ، وأنكر عليه أن يغتر بقوته وهذه حاله في الدنيا ، وأن يستكثر ما ينفقه من القليل فيها ، كأنه يحسب أنه لا يرى ما ينفقه ، ثم ذكر جل وعلا أنه أنعم عليه بنعمة البصر والكلام والعقل ليتبصر بها ،

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «النظم الفي في القرآن» ، للشيخ عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب بالجمايير . المطبعة النموذجية بالحكمة الجديدة ، القاهرة ، غير مؤرخ.

ويقتحم عقبة الحرص على الدنيا ببذل المال في فلك رقبة ، أو إطعام في مجاعة ، ويجمع إلى هذا أن يكون من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر والمرحمة ، وأولئك أصحاب الميمنة ، والذين كفروا هم أصحاب المشأمة : ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾ (٢٠).

المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «البلد»^(١)

أقول : وجه اتصالها بما قبلها ، أنه لما ذُمَّ فيها من أحبّ المال ، وأكثُر التراث ، ولم يحضّ على طعام المسكين ، ذكر في هذه السورة الخصال التي تطلب من صاحب المال ، من فك الرقبة ، والإطعام في يوم ذي مسغبة^(٢).

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب : «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطى ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، دار الاعتصام ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.

(٢). ومن التنااسب أيضاً بين هذه سور وسابقتها : أنه تعالى لما ذكر في تلك ابتلاء الإنسان بضيق الرزق بسبب عدم إطعام المسكين ، وعدم إكرام اليتيم ، ونعي عليه حبّ المال ، ذكر في هذه ندمه يوم القيمة ، وتذكرة حبس المال ، وذلك حين يقول : ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ حِلَابِي﴾ (٢٤) [الفجر].

المبحث الرابع

مكونات سورة «البلد»^(١)

١ - ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلْدَ﴾^(١).

قال ابن عباس : هو مكّة. أخرجه ابن أبي حاتم.

٢ - ﴿وَوَالْدِ﴾.

قال أبو صالح : آدم. أخرجه ابن أبي حاتم^(٢).

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «مفہمات القرآن فی مبھمات القرآن» للسیوطی ، تحقیق إیاد خالد الطیاع ، مؤسسة الرسالة ، بیروت ، غیر مؤرخ.

(٢). والطبری فی «تفسیره» ٣٠ / ١٢٥.

المبحث الخامس

لغة التنزيل في سورة «البلد»^(١)

١ . قال تعالى : ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مُتْرَبَةً﴾ (١٦).

و (المتربة) : الفقر ، وتراب إذا افتقر ، والأصل التصق بالتراب.

وأيما «أترب» فمعناه استغنى ، أي صار ذا مال كالتراب في الكثرة.

وهذا شيء من فوائد استعمال الهمزة في الأفعال. ومن المفيد أن نشير إلى أن العربية

جرت على فهم خاص ، في اختراع المعاني : ألا ترى أن شيئاً من هذا ولد الفعل «أدقع» ،

أي : صار مدفعاً ، أي : فقيراً. والأصل : التصق بالدّفعاء أي : الأرض أو التراب.

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «من بدیع لغة التنزيل» ، لإبراهيم السامرائي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، غير مؤرخ.

المبحث السادس

المعاني اللغوية في سورة «البلد»^(١)

قال تعالى : ﴿وَأَنْتَ حِلٌ﴾ [الآية ٢] فمن العرب من يقول «أنت حلّ» و «أنت حلال» و «أنت حرم» و «أنت حرّة» و «هو الحلّ» و «الحرّم» وتقول : «أحللنا» و «أحرمنا» وتقول «حللنا» وهي الجيدة.

وقال تعالى : ﴿فَلَكُ رَقَبَةٌ﴾ (١٣) أي : «العقبة فلك رقبة» ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ (١٤) وقرأ بعضهم (فلك رقبة) ^(٢) ، وليس هذا بذلك و ﴿فَلَكُ رَقَبَةٌ﴾ (١٣) ^(٣) هو الجيد.

وقال تعالى : ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ (١٤) **يَتِيمًا** بنصب «اليتيم» على «الإطعام».

وقال تعالى : ﴿فَلَا اقْتَحِمُ الْعَقَبَةَ﴾ (١١) أي : «فلم يقتتحم» كما في قوله تعالى : ﴿فَلَا صَدَقَ﴾ [القيامة / ٣١] أي : «فلم يصدق».

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش ، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد ، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب ، بيروت ، غير مؤرخ.

(٢). نسبها في معاني القرآن ٣ / ٢٦٥ إلى الحسن البصري ، وابن كثير ، وأبي عمرو ، والكسائي ، وفي السبعة ٦٨٦ ، والكشف ٢ / ٣٧٥ ، والتيسير ٢٢٣ ، والجامع ٢٠ / ٧٠ ، إلى أبي عمرو والكسائي وابن كثير ، وفي البحر ٨ / ٤٧٦ كذلك.

(٣). نسبت في معاني القرآن ٣ / ٢٦٥ إلى العوام ، وفي السبعة ٦٨٦ إلى ابن عامر ونافع وعاصم وحمزة وأبي عمرو في رواية ، وفي الكشف ٢ / ٣٧٥ ، والتيسير ٢٢٣ ، والجامع ٢٠ / ٧٠ إلى غير ابن كثير وأبي عمرو والكسائي ، وفي البحر ٨ / ٤٧٦ إلى بعض التابعين.

المبحث السابع

لكل سؤال جواب في سورة «البلد»^(١)

إن قيل : لم قال تعالى : ﴿وَوَالِّدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ (٣) ولم يقل سبحانه وتعالى «ومن ولد»؟
قلنا : لأن في «ما» من الإبهام ما ليس في «من» ، فقصد به التفخيم والتعظيم ،
كأنه تعالى قال : وأي شيء عجيب غريب ولد ، ونظيره قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
وَضَعَتْ﴾ [آل عمران / ٣٦].

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها» ، محمد بن أبي بكر الرازي ، مكتبة البابي الحلي ، القاهرة ، غير مؤرخ.

المبحث الثامن

المعاني المجازية في سورة «البلد»^(١)

في قوله سبحانه : ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَبِدَ﴾ (٦) استعارة. وقد مضى نظير لها. والمراد باللّبد هاهنا المال الكثير الذي قد تراكم بعضه على بعض ، كما تلّبدت طائق الشعر ، وسبائخ^(٢) القطن.

وقد يجوز أن يكون ذلك مأخوذا من قوله : رجل لبد. إذا كان لازما لبيته لا يبرحه. وبه ستي نسر لقمان لبدا ، لمماطلته للعمر ، وطول بقائه على الدهر. فكأنه قال : أهلكت مالا كان باقيا لي ، وثابتا عندي.

وفي قوله سبحانه : ﴿وَهَدَيْنَا التَّجَدِينَ (١٠) فَلَا افْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ (١١) استعارة. والمراد بالتجدين هاهنا الطريقان المفضيان إلى الخير والشر. والتجد : المكان العالي ، وإنما سمى تعالى هذين الطريقين بالتجدين ، لأنّه بينهما للمكلفين بيانا واضحا ليتبعوا سبيل الخير ، ويختبوا سبيل الشر. فكأنه تعالى بفرط البيان لهم ، قد رفعهما للعيون ، ونصبهما للناظرين.

وقوله سبحانه : ﴿فَلَا افْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ (١١) استعارة أخرى. وفسّر تعالى المراد بالعقبة ، فقال : ﴿فَكُّ رَبَّةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْعَةٍ﴾ (١٤). فشبه سبحانه هذا الفعل . إذا فعله الإنسان . باقتحام العقبة ، أي صعودها أو قطعها. لأن الإنسان ينجو بذلك

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب : «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي ، تحقيق محمد عبد الغني حسن ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، غير مؤرخ.

(٢). سبائخ القطن : ما تناثر أو انتفاث منه. يقال : طارت سبائخ القطن. انظر «الحيط».

كالناجي من الطريق الشاق ، إذا اقتحم عقبته ، وتجاوز مخافته. وحسن تمثيل هذا الفعل
ها هنا بالعقبة لما شبه سبحانه سبيلاً للخير والشر بالنجدين اللذين هما الطريقان الواضحان ؛
والعقاب ^(١) إنما تكون في طريق السالكين ، وسبيل المسافرين. وعليها يكون بحر الأنفاس ،
وشدة الضغاط والمراس.

(١). العقاب أي العقبات.

سورة الشّمْس

٩١

المبحث الأول

أهداف سورة «الشمس»^(١)

سورة «الشمس» سورة مكية ، آياتها ١٥ آية ، نزلت بعد سورة «القدر» . وهي سورة قصيرة ذات قافية واحدة ، وإيقاع موسيقي واحد ، تتضمن عدة لمسات وجدانية تنبثق من مشاهد الكون وظواهره التي تبدأ بها السورة ، والتي تظهر كأنها إطار للحقيقة الكبيرة التي تتضمنها السورة ، حقيقة النفس البشرية واستعدادها الفطري ، ودور الإنسان في شأن نفسه ، وتبنته في مصيرها. هذه الحقيقة التي يربطها سياق السورة بحقائق الكون ، ومشاهده الثابتة.

«كذلك تتضمن قصة ثمود وتكتفي بها بإذار رسوها ، وعقرها للناقة ، ومصرعها بعد ذلك وزوالها ، وهي نموذج من الخيبة التي تصيب من لا يرثي نفسه ، فيدعها للفجور». ولا يلزمها تقوتها : كما جاء في الفقرة الأولى من السورة : ﴿قُدْ أَفْلَحَ مَنْ رَّكَّا هَا﴾ (٩) . ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّا هَا﴾ (١٠).

مع آيات السورة

[الآيات ٦ - ١] :

المفردات : ضحاها : ضحى الشمس ضوءها.

تلها : جاء بعدها.

جلّها : أظهرها.

يعشاها : يغطيها ويحجب نورها.

طحاها : وطأها وجعلها فراشا.

دستها : التدسيبة النقص والإخفاء.

(١). انتقى هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها» ، لعبد الله محمود شحاته ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩ - ١٩٨٤ .

لله تعالى كتابان : كتاب مقرئ ، وهو القرآن الكريم ، وكتاب مفتوح ، وهذا هو الكون العظيم ، ومشاهد الكون تأثر القلوب ، وتبهج النفس ، وتوقظ الحس ، وتنبه المشاعر .

«ومن ثم يكثُر القرآن من توجيه القلب الى مشاهد الكون بشتى الأسلوب في شتى الموضع ، تارة بالتوجيهات المباشرة ، وتارة باللمسات الجانبيّة ، كهذا القسم بتلك الخلائق والمشاهد ، ووضعها إطارا لما يليها من الحقائق» .

[الآية ١] : أقسم الله بالشمس ، وبنورها الساطع في وقت الضحى ، وهو الوقت الذي يظهر فيه ضوء النهار ، ويتجلى نور الشمس ، ويعم الدفء في الشتاء ، والضياء في الصيف ، قبل حر الظهيرة وقيظها .

[الآية ٢] : وأقسم الله بالقمر إذا جاء بعد الشمس ، بنوره اللطيف الهادئ الذي يغمر الكون بالضياء والأنس والجمال .

[الآية ٣] : وأقسم بالنهار إذا أظهر الشمس ، وأتمَّ وضوحاها ، وللنهر في حياة الإنسان آثار جليلة ، ففيه السعي والحركة والنشاط .

[الآية ٤] : وأقسم الله بالليل إذا غشي الكون ، فغطى ظلامه الكائنات ، وحجب نور الشمس وأخفاها .

[الآية ٥] : وأقسم الله بالسماء ومن قدر خلقها ، وأحكم صنعها على النحو الذي نشاهده .

[الآية ٦] : وأقسم الله بالأرض ، والذي بسطها ومهدها للسكنى .
لقد جمع القسم بين ضياء الشمس ونور القمر ، وضوء النهار وظلام الليل ، وارتفاع السماء وبسط الأرض ، وتلحظ في هذا القسم المقابلة بين النور والظلام ، بين السماء والأرض ، مما يلفت النظر إلى بديع صنع الله ، وجليل وحيه وإعجاز كتابه .

[الآيات ٧ - ١٠] : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاها (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠) .﴾

خلق الله الإنسان مزودا باستعدادات متساوية للخير والشر والهدى والضلال ، فهو قادر على توجيه نفسه إلى الخير وإلى الشر .

لقد خلق الله الإنسان بيده ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وزوّده

بالعقل والإرادة ، والحرية والاختيار. وقد بين الله للإنسان طريق الهدى وطريق الضلال ، وأودع في النفس البشرية أصول المعرفة ، والتمييز بين الحق والباطل ، فمن حمل نفسه على الاستقامة ، وصانها عن الشر ، فقد رزق الفلاح والسداد. ومن أهمل نفسه واتّبع شهواته ، وأرخى العنان لنزواته ، فقد خاب ، لأنّه هو بنفسه من سبّو الطاعة إلى حضيض المعصية.

[الآيات ١٥ . ١١ : ﴿كَذَّبُتْ ثُمَودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذْ أَنْبَعْتَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ هُنْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةُ اللَّهِ وَسُقِيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنِّهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ (١٤).

ثُمُود : قوم من العرب البائدة ، بعث الله إليهم نبياً اسمه صالح عليه السلام .

بطغواها : بطغيانها.

أنبعث : قام بعقر الناقة.

أشقاها : أشقي رجل في قوم ثُمُود ، وهو قدار بن سالف.

سقياها : شرابها الذي اختصّها به في يومها.

فعقووها : فذبحوها ، والعاقر واحد ، ونسب إليهم جميعهم لرضاهن به. دمدم عليهم : أطبق عليهم بالعذاب.

سوّاهما : فسوّى القبيلة في العقوبة ، فلم يفلت منها أحد.

عقباتها : عاقبة الدمدمة وتبعتها.

ذكرت قصة ثُمُود في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، وقد ذكر هنا طغيانها وعتواها على أمر الله ، وقد أعطى الله نبيهم صالحًا الناقة آية مبصرة ، فكانت تشرب وحدها من الماء في يوم ، وتحلّب لهم لبنا يكفيهم جميعاً في ذلك اليوم ، ثم يشربون من الماء في اليوم التالي. وقد حذرهم رسول الله صالح من الإساءة إلى الناقة ، ولكنّهم خالفوا أمره ، وذهب شقي منهم فعقر الناقة ، ولما سكتوا عنه صاروا كأهّم قد اشتراكوا معه ، لأنّهم أهملوا التناصح ، ولم يأخذوا على يد الظالم ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنِّهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ (١٤) فأطبق عليهم العذاب ، وسوى الله القبيلة بالأرض ، أي دمر مساكنها على ساكنيها.

﴿وَلَا يَخَافُ عَقْبَاهَا﴾ (١٥) أي أن الله أهلك القبيلة دون أن يخشى عاقبة ما فعل ، لأنّه عادل لا يخاف عاقبة ما فعل ، قوي لا يخاف أن يناله مكروه من أحد ، تعالى الله عن ذلك علّوة كبيرة.

مقاصد السورة

- ١ . القسم بالشمس والقمر ، والنهار والليل ، والسماء والأرض والنفس ، على أنَّ من طَهَرَ نفسه بالأخلاق الفاضلة ، فقد أفلح وفاز ؛ ومن سلك طريق الهوى والغواية ، فقد خاب وشقى .
- ٢ . ذكر ثمود مثلاً لمن دسَّى نفسه فاستحق عقاب الله .

المبحث الثاني

ترتبط الآيات في سورة «الشمس»^(١)

تاریخ نزولها و وجه تسمیتها

نزلت سورة الشمس بعد سورة القدر ، ونزلت سورة القدر بعد سورة عبس ، ونزلت سورة عبس فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة الشمس في ذلك التاريخ أيضا.

وقد سمّيت هذه السورة بهذا الاسم ، لقوله تعالى في أوّلها : ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴾)١(وتبلغ آياتها خمس عشرة آية.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة الترغيب في الطاعات ، والتحذير من المعاصي ، فهـي في سياق الترغيب والترهيب كسورـة البـلد ، وهذا هو وجه المناسبـة في ذكرـها بعدهـا.

الْتَّغِيَّةُ فِي الطَّاعَاتِ وَالْتَّحْذِيرُ

العواصي من

الآيات [١٥-١]

قال الله تعالى : ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ (١) الآيات إلى قوله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَاهَا﴾ (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (١٠) ، فأقسم بالشمس وما ذكر بعدها على فلاح من زكي نفسه بالطاعات ، وخيبة من دساهها بالمعاصي ، ثم أثبت هذا بعد القسم بما حصل لشود بمعصيتها حينما أمرهم

(١). انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفي في القرآن» ، للشيخ عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب بالجمائز . المطبعة النموذجية بالحكمة الجديدة ، القاهرة ، غير مؤرخ.

صالح أن يتركوا ناقة الله وشربها ، فكذبوا في رسالته وذبحوا هذه الناقة. فدمدم عليهم رجهم أي أطبق عليهم عذابه فسوها : ﴿وَلَا يَخَافُ عَقْبَاهَا﴾ (١٥).

المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «الشمس»^(١)

أقول : هذه الثلاث حسنة التناسق جدا ، لما في مطالعها من المناسبة ، لما بين الشمس والليل والضحى من الملابسة ، ومنها سورة الفجر ، لكن فصلت بسورة البلد لنكتة أهم ، كما فصل بين الانفطار والانشقاق وبين المسبيحات ، لأن مراعاة التناسق بالأسماء والفوائح وترتيب النزول ، إنما يكون حيث لا يعارضها ما هو أقوى وأكدر في المناسبة.

ثم إن سورة الشمس ظاهرة الاتصال بسورة البلد ، فإنه سبحانه لم يختتمها بذلك أصحاب الميمنة ، وأصحاب المشامة ، أراد الفريقين في سورة الشمس على سبيل الفذلقة قوله ، في الشمس : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَاهَا﴾ (٩) ، هم أصحاب الميمنة في سورة البلد ؛ قوله تعالى : ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَاهَا﴾ (١٠) في سورة الشمس ، هم أصحاب المشامة في سورة البلد ، فكانت هذه السورة فذلكرة تفصيل تلك السورة : وهذا قال الإمام : المقصود من هذه السورة الترغيب في الطاعات ، والتحذير من المعاصي.

ونزيد في سورة الليل : أنها تفصيل إجمال سورة الشمس ، قوله تعالى : ﴿فَآمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَآتَقَى﴾ (٥) [الليل] وما بعدها ، تفصيل قوله : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَاهَا﴾ (٩) . قوله تعالى ﴿وَآمَّا مَنْ بَخَلَ

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب : «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطى ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، دار الاعتصام ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.

(٢). الفذلقة : خلاصة ما فصل من أمر ما.

وَاسْتَغْفِي ﴿٨﴾ [الليل] الآيات ، تفصيل قوله : ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (١٠).

ونزيد في سورة الضحى : أنها متصلة بسورة الليل من وجهين . فإن فيها ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلآخرة والأول﴾ (١٣) [الليل] . وفي الضحى : ﴿وَلَلآخرة خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ (٤) . وفي الليل : ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ (٢١) وفي الضحى : ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رِزْكَ فَتَرْضَى﴾ (٥) . ولما كانت سورة الضحى نازلة في شأنه (ص) فقد افتتحت بالضحى ، الذي هو نور . ولما كانت سورة الليل سورة أبي بكر ، يعني : ما عدا قصة البخيل (١) ، وكانت سورة الضحى سورة محمد (ص) ، عقب بها ، ولم يجعل بينهما واسطة ، ليعلم ألا واسطة بين محمد (ص) وأبي بكر .

(١) الذي نزل في أبي بكر من هذه السورة قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ (٥) [الليل] إلى ﴿فَسَيِّسُرُ اللَّيْسُرِ﴾ (٧) [الليل] . أخرج ابن حجر أنه كان يغدق على الإسلام بمكة عجائز ونساء إذا أسلمن ، فلامه أبوه ، فنزلت . تفسير ابن حجر الطبرى : ٣٠ / ١٤٢ .

المبحث الرابع

مكونات سورة «الشمس»^(١)

١ - ﴿إِذْ أَنْبَعْتَ أَشْقَاها﴾ (١٢).

هو قدار^(٢).

وقال الفراء^(٣) والكلبي : هما رجلان : قدار بن سالف ومصدع بن دهر ولم يقل :
(أشقياها) للفاصلة^(٤).

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «مفہمات القرآن فی مبھمات القرآن» للسیوطی ، تحقیق إیاد خالد الطیاع ، مؤسسة الرسالة ، بیروت ، غیر مؤرخ.

(٢). قدار بن سالف. انظر «تفسیر الطبری» ٣٠ / ١٣٦ - ١٣٧.

(٣). فی «معانی القرآن» ٣ / ٢٦٨.

(٤). فی «الإنقان» ٢ / ١٤٨ فی قوله تعالى فی هذه السورة : ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [آلیة ١٣] هو صالح.

المبحث الخامس

لغة التنزيل في سورة «الشمس»^(١)

قال تعالى : ﴿وَقَدْ خَابَ مِنْ دَسَّاهَا﴾ (١٠).

قالوا : معنى (دسّها) دسّها في أهل الخير ، وليس منهم.

ويقال : قد خاب من دسّي نفسه فأحملها بترك الصدقة والطاعة. وإذا كان أصل (دسّها) دسّها ، فقد بدلّت بعض سيناتحها ياء كما قالوا : تظنّيت من الظن.

أقول : إذا كان ذلك ، فالمراد هو المراعاة للفوائل التي اقتضت تبديل بناء الفعل.

(١). انتقي هذا المبحث من كتاب «من بديع لغة التنزيل» ، لإبراهيم السامرائي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، غير مؤرّخ.

γλλ

المبحث السادس

المعاني اللغوية في سورة «الشمس»^(١)

قال تعالى : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (٧) أي : «والذي سوّاها» فأقسم الله تبارك وتعالى بنفسه ، وأنّه ربّ النفس التي سوّاها. ووقع القسم على ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَّغَّاهَا﴾ (٩).
وقال تعالى : ﴿نَاقَةً اللَّهُ﴾ [آلية ١٣] أي : ناقة الله فاحذروا أذها.

(١). انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش ، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد ، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب ، بيروت ، غير مؤرخ.

المبحث السابع

لكل سؤال جواب في سورة «الشمس»^(١)

إن قيل : لم نَّكِرَ اللَّهُ تَعَالَى النَّفْسَ دُونَ سَائِرِ مَا أُقْسِمَ بِهِ حِيثُ قَالَ تَعَالَى : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (٧).

قلنا : لأنَّه لا سبِيلٌ إِلَى لَامِ الْجِنْسِ ، لأنَّ نفوسَ الْحَيَوانَاتِ غَيْرُ الْإِنْسَانِ خارجةٌ عن ذلك ، بدليل قوله تعالى : ﴿فَأَهْمَمُهَا فُجُورُهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (٨). ولا سبِيلٌ إِلَى لَامِ الْعَهْدِ ، لأنَّ المراد ليس نفساً واحدةً معهودةً ، وعلى قول من قال : المراد منه نفس آدم عليه السلام ، فالتنكير للتخصيم والتعظيم كما سبق في سورة الفجر. فإنَّ قيل : أين جواب القسم؟

قلنا : قال الزجاج وغيره : إنَّ قوله تعالى : ﴿فَدَأْلَحَ مَنْ زَكَاهَا﴾ (٩) وحذفت اللام لطول الكلام. وقال ابن الأباري : جوابه محنوف. وقال الزمخشري : تقديره ليتم مدحمنَ اللَّه عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ لِتَكْذِيبِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ (ص) ، كَمَا دَمِدَمَ عَلَى ثُمُودَ لِتَكْذِيبِهِمْ صَالِحَا عَلَيْهِمَا . قال : وأما ﴿فَدَأْلَحَ مَنْ زَكَاهَا﴾ (٩) ، فكلامٌ تابعٌ لما قبله على طريق الاستطراد ، وليس من جواب القسم في شيء.

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها» ، محمد بن أبي بكر الرازي ، مكتبة البابي الحلبي ، القاهرة ، غير مؤرخ.

سورة اللّيل

٩٢

المبحث الأول

أهداف سورة «الليل»^(١)

سورة «الليل» سورة مكّيّة ، آياتها إحدى وعشرون آية ، نزلت بعد سورة «الأعلى».
وتصف السورة مشاهد الكون ، ومظاهر القدرة ، وتقرير حقيقة العمل والجزاء ، وتبين
أنّ الجزاء الحق من جنس العمل.

ونلاحظ في السورة التقابل بين الليل والنهار ، والذكر والأثنى ، ومن أعطى واتقى ،
ومن بخل واستغنى ، وبين الأشقي الذي كذب وتولى ، والأتقى الذي يؤتي ماله يتزكّى ، وهذا
من بدائع التناسق في التعبير القرآني.

مع آيات السورة

[الآيات ١ . ٤] : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشِي (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّ (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرُ
وَالْأُنْثَى (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَّائِقٌ﴾ (٤).

يعشي : يعطي كل شيء فيواريه بظلمه.

تجلّى : ظهر وانكشف بظهوره كل شيء.

وما خلق : والذي خلق.

شّائِقٌ : واحدها شتيت ، وهو المتبعده بعضه عن بعض.

يقسم الله سبحانه وتعالى بالليل حينما يغشى البسيطة ، ويغمرها ويخفيها ، وبالنهار
حينما يتجلّى ويظهر ، فيظهر في تجلّيه كل شيء ويسفر.

ويقسم بال قادر العظيم الذي خلق

(١). انتقى هذا الفصل من كتاب «أهداف كلّ سورة ومقاصدها» ، عبد الله محمود شحاته ، الهيئة العامة
للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩ - ١٩٨٤.

الذكر والأنثى ، وميّز بين الجنسين مع أن المادّة التي تكونوا منها مادة واحدة ، والمحلّ الذي تكونوا فيه محلّ واحد.

يقسم الله بهذه الظواهر ، والحقائق المقابلة في الكون وفي الناس ، على أن سعي الناس مختلف ، وعملهم متباعد ومتفرق ، فمنه السّيئ ومنه الحسن ، ومنه التقوى ومنه الفجور ، ومنه ما يجازى عليه بالنعم المقيم ، ومنه ما يعاقب عليه بالعذاب الأليم.

[الآيات ١١ . ٥] : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخْلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ (١١).

أعطى : بذل ماله.

اتقى : خاف عذاب الرحمن واجتنب المحارم.

الحسنى : الكلمة الحسنى وهي مؤنة الأحسن ؛ فسنيسره : فسنهايمه.

لليسرى : لليسر والسهولة.

العسرى : العسر والعنق والمشقة.

تردى : هلك ، وهو تفعّل من الردى.

فأما من أعطى الفقراء ، وأنفق المال في وجوه الخير ، وراقب الله وابتعد عن المحرمات ، وأيقن أنّ الله سيختلف عليه ما أنفق ، مصدقاً بالفضيلة ، وميّزاً بينها وبين الرذيلة ، وابتعد من طريق الغواية ، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ (٧) فسنجعل اليسر يفيض من نفسه على كلّ ما حوله ، وعلى كلّ من حوله ، اليسر في خطوه ، واليسير في طريقه ، واليسير في تناوله للأمور كلّها ، والتوفيق الهادئ المطمئن في كلّياتها وجزئياتها.

وأما من بخل بما له ، واستغنى عن ربّه وهداه ، وكذب بالدين الحقّ ، ولم يصدق بأنّ الله سيختلف على المنافقين ، وسيجزي المحسنين ، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ (١٠) فيسلب الله منه الهدى واليسير ، ويحرمه كلّ تيسير ، وبجعل في كلّ خطوة من خطاه مشقة وحرجاً ، ينحرف به عن طريق الرشاد ، فإذا تردى وسقط في نهاية العثرات والانحرافات ، لم يغن عنه ماله الذي بخل به ، والذي استغنى به كذلك عن الهدى والسداد.

[الآيات ١٢ . ٢١] :

تلطّى : أصله تتلّظى ، أي تتوقّد وتلتهب.

لا يصلّاها : لا يحيّر بها.

الأشقي : من هو أشدّ شقاء من غيره.

كذب : كذب الرسول فيما جاء به عن ربه.

تولى : أعرض عن طاعة ربه.

يتزكي : يتظاهر.

تجزى : تجازى وتكافأ.

[الآية ١٢] : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَهُمْهِدِي﴾ (١٢) أي أَنَّا خلقنا الإنسان وأَهْمَنَاهُ التمييز بين الحق والباطل ، وبين الخير والشر ، ثم أرسلنا له الرسل ، وأنزلنا له الكتب لترشده إلى الهدایة والإيمان.

[الآية ١٣] : ﴿وَإِنَّ لَنَا لِلآخرةِ وَالْأُولَى﴾ (١٣) وأنّ المالكون لكل ما في الآخرة ولكلّ ما في الأولى ، فأين يذهب من يريد أن يذهب بعيداً من الله؟

[الآياتان ١٤ و ١٥] : ﴿فَإِنَّرَبُّكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ (١٤) لا يصلها إلا الأشقي (١٥) وأنّ من هداية الله للبشر ، أن خوّفنا رسوله الكريم محمد (ص) ناراً تلظى : تتسعّر ، وتشتدّ ألسنة هبها ، هذه النار لا يقاسي حرقها إلا أشدّ الناس شقاوة ، وهو الكافر.

[الآية ١٦] : ﴿الَّذِي كَذَبَ وَتَوَلَّ﴾ (١٦) الذي كذب بالدعوة ، وكذب الرسول (ص) فيما جاء به عن ربّه من الآيات ، وأعرض أيضاً عن اتّباع شرائعه ، وانصرف عن الحق دون دليل يستند إليه ، حتى صار التكذيب والإعراض أبرز أوصافه.

[الآياتان ١٧ و ١٨] : ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَنْقَى﴾ (١٧) الّذِي يُؤْتَى مَالهُ يَتَزَكَّى (١٨) وسيبعد عن النار من اتقى الله ، وابتعد عن الموبقات ، الذي ينفق أمواله في وجوه البر ، طالباً بذلك طهارة نفسه ، وقرها من ربه ، ولا يريد بذلك رباء على معروف ، وإنما يقدم الخير ابتغاء مرضاة الله ، وحجاً في ذاته سبحانه. ولو سوف يرضى من فعل ذلك بأحسن ثواب ، في أفضل مكان وفي أحسن جوار.

روي أنّ هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق (رض) ، وقد كان من أمره أنّ بلال بن رباح ، وكان مولى عبد الله بن جدعان ، دخل في الإسلام ، فكان سيده يعذّبه ، ويخرجه إلى الرمضان في حرّ الظهيرة ، ويضع الحجر على بطنه ، ويقول له لا تنزال كذلك حتى ثوت ، أو تكفر بمحمد ، فلا يزيد بلال على أن يقول أحد أحد.

وكان رسول الله (ص) يمرّ به وهو يعذّب فيقول له ينجيك أحد أحد ؛ ثمّ أخبر رسول الله (ص) أبا بكر (رض) بما يلقى بلال في الله ، فاشتراه أبو بكر وأعتقه ، فقال المشركون ما فعل ذلك أبو بكر إلّا ليد كانت لبلال عنده ، فنزل قوله تعالى : ﴿وَسَيُجَنِّبُهَا الْأَتْقَى﴾ (١٧) إلى آخر السورة.

مقاصد السورة

- ١ - بيان أن الناس في الدنيا فريقان : (أ) فريق يهيء الله للخصلة اليسرى ، وهم الذين أعطوا الأموال ملء يستحقها وصدقوا بما وعد الله من الأخلاف على من أنفق.
(ب) وفريق يهيء الله للخصلة المؤدية إلى العسر والشدة ، وهم الذين بخلوا بالأموال ، واستغنو بالشهوات وأنكروا ما وعد الله به من ثواب الجنة.
- ٢ - الجزاء في الآخرة من جنس العمل ، فالأشقى له النار ، والأتقى له الجنة والرّضوان.

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «الليل»^(١)

تاريخ نزولها ووجه تسميتها

نزلت سورة الليل بعد سورة الأعلى ، ونزلت سورة الأعلى فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة الليل في ذلك التاريخ أيضاً . وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم ، لقوله تعالى في أولاها : ﴿وَاللَّيلُ إِذَا يَغْشِي﴾^(١) وتبليغ آياتها إحدى وعشرين آية.

الغرض منها وترتيبها

الغرض من هذه السورة الترغيب في بذل المال في سبيل الله ، والتحذير من البخل ، فهذا في سياق السورة السابقة أيضاً ، وهذا هو وجه المناسبة في ذكرها بعدها .

الترغيب في البذل والتحذير

من البخل

الآيات [٢١ . ١]

قال الله تعالى : ﴿وَاللَّيلُ إِذَا يَغْشِي﴾^(١) ﴿وَالنَّهارُ إِذَا تَحَلَّ﴾^(٢) ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾^(٣) ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَّتَّ﴾^(٤) ، فأقسم ، بالليل وما ذكر بعد ، على أنّ سعيهم مختلف في المجزء . فأمّا من بذل من ماله في سبيل الله مع التقوى والتصديق بما جاء به النبي (ص) ، فسيكون جزاؤه الجنّة ؛ وأمّا من بخل ولم يصدق بذلك فجزاؤه النار ، ولا يعني عنه ماله شيئاً ؛ ثم ذكر أنه قد قضى بذلك حُقُّهم

(١). انتقي هذا المبحث من كتاب «النظم الفيّي في القرآن» ، للشيخ عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب بالجمايّز . المطبعة النموذجية بالحكمة الجديدة ، القاهرة ، غير مؤرخ .

في الإرشاد ، وأنّ له ملك الدّارين فلا يضره تركهم الاهتداء ، ثمّ أندرهم النار التي لا يصلّها
إلاّ غير المهتدي ، وسيجنّبها من اهتدى ببذل ماله ليطهر نفسه ، ولا يتغيّر بذلك إلاّ وجهه
ربه الأعلى ﴿وَلَسْوَفَ يَرْضى﴾ (٢١).

المبحث الثالث

مكونات سورة «الليل»^(١)

١ - ﴿الأشقى﴾ (١٥).

هو أمية بن خلف. أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن مسعود.

٢ - ﴿الأنقى﴾ (١٧).

هو أبو بكر الصديق. كما في أحاديث في «المستدرك» وغيره^(٢).

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «مفہمات الأقران في مبھمات القرآن» للسیوطی ، تحقیق إیاد خالد الطیاع ، مؤسسة الرسالة ، بیروت ، غیر مؤرخ.

(٢). أنظر «المستدرک» للحاکم ٢ / ٥٢٥ و «تفسير الطبری» ٣٠ / ١٤٢ ، و «سیرة ابن هشام» ١ / ٢١٩ ، و «تفسير ابن کثیر» ٤ / ٥٢١ .

المبحث الرابع

لغة التنزيل في سورة «الليل»^(١)

١ . قال تعالى : ﴿فَسَنِّي سِرُّهُ لِلْيُسْرَى﴾ (٧).

﴿فَسَنِّي سِرُّهُ لِلْعُسْرَى﴾ (١٠).

أقول : اليسرى والعسرى مصدران كالحسنى والبقيا وغير ذلك. أو قل هي أسماء من اليسر والعسر والحسن والبقي.
والأصل كما أرى أنها مؤنثة الوصف بـ «أ فعل» وهو الأيسر والأعسر والأحسن والأبقى.

(١) . انتقى هذا المبحث من كتاب «من بدیع لغة التنزيل» ، لإبراهيم السامرائي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، غير مؤرخ.

المبحث الخامس

المعاني اللغوية في سورة «الليل»^(١)

قال تعالى : ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا نَجَّلَ﴾ (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴿ (٣) فهذا الواو واو عطف عطف بها على الواو التي في القسم الأول. وقال بعضهم في قوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ (٣) إنه جعل القسم بالخلق ، كأنه جل جلاله أقسم بما خلق ، ثم فسّره بجعله بدلاً من (ما).

(١). انتقي هذا المبحث من كتاب «معاني القرآن» للأخفش ، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد ، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب ، بيروت ، غير مؤرخ.

المبحث السادس

لكل سؤال جواب في سورة «الليل»^(١)

إن قيل : لم قال الله تعالى : ﴿لَا يَصْلَحُهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ (١٥) مع أن الشقيّ أيضاً يصلاحها : أي يقاسي حرها وعذابها؟

قلنا : قال أبو عبيدة : الأشقي هنا بمعنى الشقي ، والمراد كلّ كافر ، والعرب تستعمل أفعال في موضع فاعل ولا تزيد به التفضيل ، وقد سبق تقرير ذلك والشاهد عليه في سورة الروم في قوله تعالى : ﴿وَهُوَ أَهُونُ عَلَيْهِ﴾ [الآية ٢٧].

وقال الزجاج : هذه نار موصوفة معينة ، فهو درك مخصوص ببعض الأشقياء ، ورد عليه ذلك بقوله تعالى : ﴿وَسَيُجَنِّبُهَا الْأَتَقَى﴾ (١٧) والأتقى يجنب عذاب أنواع نار جهنّم كلّها ، والمراد بالأتقى هنا أبو بكر الصديق (رض) بإجماع المفسرين ، ولهذا قال الزمخشري : إنّ الأشقي ليس بمعنى الشقي بل هو على ظاهره ، والمراد به أبو جهل أو أميّة بن خلف. فالآلية واردة للموازنة بين حالي أعظم المؤمنين وأعظم المشركين ، فبلغ في صفتיהם المنتاقضتين ، وجعل هذا مختصاً بالصلّى (أي بالنار) ، لأنّ النار لم تخلق إلا له لوفر نصيبه منها ، وجاء قوله تعالى : ﴿وَسَيُجَنِّبُهَا الْأَتَقَى﴾ (١٧) على موازنة ذلك وم مقابلته ، مع أنّ كلّ تقى يجنبها.

(١). انتقى هذا المبحث من كتاب «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها» ، محمد بن أبي بكر الرازي ، مكتبة البابي الحلي ، القاهرة ، غير مؤرخ.

الفهرس

سورة «المرسلات»

المبحث الأول

أهداف سورة «المرسلات»	٣
تسلسل أفكار السورة.....	٤
مع آيات السورة.....	٥
مقاصد السورة	٩

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «المرسلات»	١١
تاريخ نزولها ووجه تسميتها.....	١١
الغرض منها وترتيبها	١١
إثبات وقوع العذاب	١١

المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «المرسلات».....	١٢
----------------------------------	----

المبحث الرابع

مكونات سورة «المرسلات»	١٥
------------------------------	----

المبحث الخامس

لغة التنزيل في سورة «المرسلات»	١٧
--------------------------------------	----

المبحث السادس

المعاني اللغوية في سورة «المرسلات» ١٩

المبحث السابع

لكل سؤال جواب في سورة «المرسلات» ٢١

المبحث الثامن

المعاني المجازية في سورة «المرسلات» ٢٣

سورة «النَّبِيُّ»

المبحث الأول

أهداف سورة «النَّبِيُّ» ٢٧

مع آيات السورة ٢٨

معنى الآيات ٢٨

م الموضوعات السورة ٣١

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «النَّبِيُّ» ٣٢

تاريخ نزولها ووجه تسميتها ٣٢

الغرض منها وترتيبها ٣٢

إثبات البعث ٣٣

المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «النَّبِيُّ» ٣٥

المبحث الرابع

مكونات سورة «النَّبِيُّ» ٣٧

المبحث الخامس

المعاني اللغوية في سورة «النَّبِيُّ» ٣٩

المبحث السادس	
لكل سؤال جواب في سورة «النَّبِيُّ».....	٤١
المبحث السابع	
المعاني المجازية في سورة «النَّبِيُّ»	٤٣
سورة «النَّازِعَاتِ»	
المبحث الأول	
أهداف سورة «النَّازِعَاتِ».....	٤٧
مع آيات السورة.....	٤٨
م الموضوعات سورة النازعات.....	٥١
المبحث الثاني	٥٢
ترابط الآيات في سورة «النَّازِعَاتِ».....	٥٣
تاريخ نزولها ووجه تسميتها.....	٥٣
الغرض منها وترتيبها	٥٣
إثبات البعث.....	٥٣
المبحث الثالث	
مكبوتات سورة «النَّازِعَاتِ».....	٥٥
المبحث الرابع	
لغة التنزيل في سورة «النَّازِعَاتِ»	٥٧
المبحث الخامس	
المعاني اللغوية في سورة «النَّازِعَاتِ».....	٥٩
المبحث السادس	
لكل سؤال جواب في سورة «النَّازِعَاتِ»	٦١

المبحث السابع

المعاني المجازية في سورة «النازعات» ٦٣

سورة «عبس»

المبحث الأول

أهداف سورة «عبس» ٦٧

فقرات السورة ٦٧

مع آيات السورة ٦٨

مقاصد السورة ٧١

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «عبس» ٧٢

تاريخ نزولها ووجه تسميتها ٧٣

الغرض منها وترتيبها ٧٣

التسوية بين الناس في الدعوة ٧٣

المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «عبس» ٧٥

المبحث الرابع

مكونات سورة «عبس» ٧٧

المبحث الخامس

لغة التنزيل في سورة «عبس» ٧٩

المبحث السادس

المعاني اللغوية في سورة «عبس» ٨١

المبحث السابع

لكل سؤال جواب في سورة «عبس» ٨٣

سورة «التكوير»

المبحث الأول

أهداف سورة «التكوير» ٨٧

مع آيات السورة ٨٧

المقطع الثاني ٨٩

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «التكوير» ٩٣

تاريخ نزولها ووجه تسميتها ٩٣

الغرض منها وترتيبها ٩٣

إثبات الحساب على الأعمال ٩٣

المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «التكوير» ٩٥

المبحث الرابع

مكونات سورة «التكوير» ٩٧

المبحث الخامس

لغة التنزيل في سورة «التكوير» ٩٩

المبحث السادس

المعاني اللغوية في سورة «التكوير» ١٠١

المبحث السابع

لكل سؤال جواب في سورة «التكوير» ١٠٣

المبحث الثامن

المعاني المجازية في سورة «التكوير» ١٠٥

سورة «الانفطار»

المبحث الأول

أهداف سورة «الانفطار»	١٠٩
مع آيات السورة.....	١٠٩
مقاصد السورة	١١٤

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «الانفطار»	١١٥
تاريخ نزولها ووجه تسميتها.....	١١٥
الغرض منها وترتيبها	١١٥
إثبات الحساب على الأعمال.....	١١٥

المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «الانفطار».....	١١٧
----------------------------------	-----

المبحث الرابع

المعاني اللغوية في سورة «الانفطار».....	١١٩
---	-----

المبحث الخامس

لكل سؤال جواب في سورة «الانفطار».....	١٢١
---------------------------------------	-----

سورة «المطففين»

المبحث الأول

أهداف سورة «المطففين»	١٢٥
مقاطع السورة.....	١٢٥
من أسباب نزول السورة.....	١٢٦
مع آيات السورة.....	١٢٦
مقاصد السورة	١٣٠

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «المطففين» ١٣٣

تاريخ نزولها ووجه تسميتها ١٣٣

الغرض منها وترتيبها ١٣٣

تحريم التطفيق ١٣٣

المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «المطففين» ١٣٥

المبحث الرابع

لغة التنزيل في سورة «المطففين» ١٣٧

المبحث الخامس

المعاني اللغوية في سورة «المطففين» ١٣٩

المبحث السادس

لكل سؤال جواب في سورة «المطففين» ١٤١

المبحث السابع

المعاني المجازية في سورة «المطففين» ١٤٣

سورة «الإنشقاق»

المبحث الأول

أهداف سورة «الإنشقاق» ١٤٧

مقاطع السورة ١٤٧

مع آيات السورة ١٤٨

مقاصد السورة ١٥١

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «الإنشقاق» ١٥٣

١٥٣	تاريخ نزولها ووجه تسميتها.....
١٥٣	الغرض منها وترتيبها
١٥٣	إثبات المعاد.....
	المبحث الثالث
١٥٥	أسرار ترتيب سورة «الانشقاق».....
	المبحث الرابع
١٥٧	لغة التنزيل في سورة «الانشقاق».....
	المبحث الخامس
١٥٩	المعاني اللغوية في سورة «الانشقاق»
	المبحث السادس
١٦١	لكل سؤال جواب في سورة «الانشقاق».....
	المبحث السابع
١٦٣	المعاني المجازية في سورة «الانشقاق»
	سورة «البروج»
	المبحث الأول
١٦٧	أهداف سورة «البروج»
١٦٧	أصحاب الأخدود.....
١٦٧	فقرات السورة.....
١٦٨	مع آيات السورة.....
١٧٠	مقاصد السورة.....
	المبحث الثاني
١٧١	ترابط الآيات في سورة «البروج».....
١٧١	تاريخ نزولها ووجه تسميتها.....

الغرض منها وترتيبها	١٧١
تشييت المؤمنين.....	١٧١
المبحث الثالث	
أسرار ترتيب سورة «البروج» و «الطارق».....	١٧٣
المبحث الرابع	
مكونات سورة «البروج».....	١٧٥
المبحث الخامس	
المعاني اللغوية في سورة «البروج»	١٧٧
المبحث السادس	
لكل سؤال جواب في سورة «البروج».....	١٧٩
سورة «الطارق»	
المبحث الأول	
أهداف سورة «الطارق»	١٨٣
مع آيات السورة.....	١٨٣
مقاصد السورة	١٨٦
المبحث الثاني	
ترابط الآيات في سورة «الطارق».....	١٨٧
تاريخ نزولها ووجه تسميتها.....	١٨٧
الغرض منها وترتيبها	١٨٧
إثبات حفظ الأعمال	١٨٧
المبحث الثالث	
مكونات سورة «الطارق».....	١٨٩

المبحث الرابع

لكل سؤال جواب في سورة «الطارق» ١٩١

المبحث الخامس

المعاني المجازية في سورة «الطارق» ١٩٣

سورة «الأعلى»

المبحث الأول

أهداف سورة «الأعلى» ١٩٧

مع آيات السورة ١٩٧

يسر الشريعة الإسلامية ٢٠٠

مقاصد سورة الأعلى ٢٠٤

المبحث الثاني

ترابط الآيات في سورة «الأعلى» ٢٠٥

تاريخ نزولها ووجه تسميتها ٢٠٥

الغرض منها وترتيبها ٢٠٥

منهاج الدعوة ٢٠٥

المبحث الثالث

أسرار ترتيب سورة «الأعلى» ٢٠٧

المبحث الرابع

لكل سؤال جواب في سورة «الأعلى» ٢٠٩

سورة «الغاشية»

المبحث الأول

أهداف سورة «الغاشية» ٢١٣

٢١٣	مع آيات السورة.....
٢١٧	مقاصد السورة
٢١٩	المبحث الثاني
٢١٩	ترابط الآيات في سورة «الغاشية»
٢١٩	تاريخ نزولها ووجه تسميتها.....
٢١٩	الغرض منها وترتيبها
٢١٩	تفصيل الثواب والعقاب
	المبحث الثالث
٢٢١	أسرار ترتيب سورة «الغاشية».....
	المبحث الرابع
٢٢٣	لغة التنزيل في سورة «الغاشية».....
	المبحث الخامس
٢٢٥	المعاني اللغوية في سورة «الغاشية»
	المبحث السادس
٢٢٧	لكل سؤال جواب في سورة «الغاشية».....
	المبحث السابع
٢٢٩	المعاني المجازية في سورة «الغاشية»
	سورة «الفجر
	المبحث الأول
٢٣٣	أهداف سورة «الفجر»
٢٣٤	مع آيات السورة.....
٢٣٨	خلاصة أهداف السورة

المبحث الثاني

٢٣٩	ترابط الآيات في سورة «الفجر»
٢٣٩	تاريخ نزولها ووجه تسميتها.....
٢٣٩	الغرض منها وترتيبها
٢٣٩	إثبات العذاب ..

المبحث الثالث

٢٤١	أسرار ترتيب سورة «الفجر»
-----------	--------------------------------

المبحث الرابع

٢٤٣	مكونات سورة «الفجر» ..
-----------	------------------------

المبحث الخامس

٢٤٥	لغة التنزيل في سورة «الفجر»
-----------	-----------------------------------

المبحث السادس

٢٤٧	المعاني اللغوية في سورة «الفجر»
-----------	---------------------------------------

المبحث السابع

٢٤٩	لكل سؤال جواب في سورة «الفجر»
-----------	-------------------------------------

المبحث الثامن

٢٥١	المعاني المجازية في سورة «الفجر»
-----------	--

سورة «البلد»

المبحث الأول

٢٥٥	أهداف سورة «البلد».....
-----------	-------------------------

٢٥٥	مع آيات السورة.....
-----------	---------------------

٢٥٩	مقاصد السورة ..
-----------	-----------------

المبحث الثاني

٢٦١ ترابط الآيات في سورة «البلد»

٢٦١ تاريخ نزولها ووجه تسميتها

٢٦١ الغرض منها وترتيبها

٢٦١ ذم الحرص على الدنيا

المبحث الثالث

٢٦٣ أسرار ترتيب سورة «البلد»

المبحث الرابع

٢٦٥ مكونات سورة «البلد»

المبحث الخامس

٢٦٧ لغة التنزيل في سورة «البلد»

المبحث السادس

٢٦٩ المعاني اللغوية في سورة «البلد»

المبحث السابع

٢٧١ لكل سؤال جواب في سورة «البلد»

المبحث الثامن

٢٧٣ المعاني المجازية في سورة «البلد»

سورة «الشمس»

المبحث الأول

٢٧٧ أهداف سورة «الشمس»

٢٧٧ مع آيات السورة

٢٨٠ مقاصد السورة

المبحث الثاني

٢٨١	ترابط الآيات في سورة «الشمس».....
٢٨١	تاريخ نزولها ووجه تسميتها.....
٢٨١	الغرض منها وترتيبها
٢٨١	الترغيب في الطاعات والتحذير من المعاصي
	المبحث الثالث

٢٨٣	أسرار ترتيب سورة «الشمس»
-----------	--------------------------------

المبحث الرابع

٢٨٥	مكونات سورة «الشمس».....
	المبحث الخامس

٢٨٧	لغة التنزيل في سورة «الشمس»
	المبحث السادس

٢٨٩	المعاني اللغوية في سورة «الشمس».....
	المبحث السابع

٢٩١	لكل سؤال جواب في سورة «الشمس»
-----------	-------------------------------------

سورة «الليل»

المبحث الأول

٢٩٥	أهداف سورة «الليل»
٢٩٥	مع آيات السورة.....
٢٩٨	مقاصد السورة
٢٩٩	المبحث الثاني
٢٩٩	ترابط الآيات في سورة «الليل».....
٢٩٩	تاريخ نزولها ووجه تسميتها.....

٢٩٩	الغرض منها وترتيبها
٢٩٩	الترغيب في البذل والتحذير من البخل
	المبحث الثالث
٣٠١	مكونات سورة «الليل».....
	المبحث الرابع
٣٠٣	لغة التنزيل في سورة «الليل»
	المبحث الخامس
٣٠٥	المعاني اللغوية في سورة «الليل»
	المبحث السادس
٣٠٧	لكل سؤال جواب في سورة «الليل».....